

قُبِّرَ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

الفتح

١٣١٥

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ رَمَن يُوْنِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

﴿ قُلْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ۖ إِنَّ الْإِسْلَامَ سُبُوِي وَ «مَارَا» كَنَارِ الطَّرِيقِ ﴾

١١ شوال ١٣٣٥ — ٧ الأسد (٢٠) ١٢٩٥ هـ ٣٠ يوليو ١٩١٧

فاتحة السنة العشرين للهدار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى واشكر له توفيقه وتأيدده، حمدا يوافي نعمه وشكرا
يكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله، ورحمته العامة
المرسلة وحبته الثائرة على خلقه، محمد النبي الأمي العربي الذي بعث في
الأميين، أعلمهم الكتاب والحكمة ويجمعهم الأئمة الوارثين، ويصلح بهم
فساد الأم والشعوب المتعالمين وغير المتعلمين، وعلى عترته آل بيته
الطاهرين، وأصحابه الذين نشروا دعوتهم بين العالمين، وعلى التابعين لهم
في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين

أما بعد فقد دخل المنار في العام العشرين ، داعياً الى الاعتصام
 بمجلد الله المتين ، والاهتداء بنوره المبين ، والآستمسك بسنة رسوله
 الأمين ، والسير على منهج السلف الصالحين ، — ناهياً عن الأحداث والبدع ،
 وتقليد الأحزاب والشيوع ، — مبيناً أن الخير كل الخير في اتباع من سلف ،
 وإن الشر كل الشر في ابتداع من خلف ، لأن الله تعالى قد أكمل الدين
 فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه كالنقص منه خزي وضلال ، وإنما الناقص
 الذي يحتاج دائماً الى الاكمال والاصلاح ، ما كان من أوضاع البشر عرضة
 للنقص والفساد ، — مثبتاً أن ضعف الشعوب الاسلامية ، إنما جاء من
 عملهم بعكس هذه القضية ، أعني الابتداع في الامور الدينية ، واتباع
 من قبلهم في الامور الدنيوية . فالأثم في ارتقاء دائم ، وهم في جمود
 ملازم ، غلب عليهم الجهل المركب فهم للعالم يدعون ، ورزقوا بالفقر المدقع وهم
 في الدنيا طامعون ، وخضعوا للضيم والذل وهم معجبون متكبرون ، وخضعوا
 لظلم المتغلبين وهم بالملك والسيادة مفتونون ، (إنهم ألقوا آباءهم ضالين
 فهم على آثارهم يهرعون)

خسروا أنفسهم تخسروا كل شيء ، وهل خسران النفس ، الا فقد
 استقلالها في الفهم والعلم والحكم ، وتقليد الآباء والاشياخ المتأخرين ،
 في جميع أمور الدنيا والدين ، فالتحقيق انهم مقلدون حتى في الابتداع ،
 لانهم فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع ، وقد ساروا بحسب الظاهر على
 الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهي كون علوم المتأخرين وفنونهم
 أجدر بالثقة والاعتبار ، سنة الله في التدريج والارتقاء ، على أنهم يعتقدون
 بحق أن متقدمي هذه الامة خير من متأخريها في جميع العلوم والاعمال ، لان

انخلف لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ؛ ولو ساروا
عليها لناقوهم في كل ماهو من كسب الناس . وهم انما يقلدون المتأخرين ،
لانهم لا يرون أنفسهم أهلا لاتباع المتقدمين ، اذ يزعمون ان المتأخر
أضعف من المتقدم عقلا وفهما ، وربما اعتدوا أنه أقل قوة وانحف جسما ؛
وأن هذا التفضيل منحة إلهية وهبية ، لا يمكن ادراكه بالاسباب الكسبية ،
غافلين عن سنة الله تعالى في سائر الامم والاجيال ، وسبق المتأخرين
للمتقدمين في جميع العلوم والاعمال ، حتى ان الله تعالى سخر لمراكبهم
الهواء ، كما سخر لها الماء ، وسخر لها من البحار لجحها وأعماقها ، كما سخر
لها ما يتوونها وأمواجها ، بل سخر الله تعالى لهم ما في السموات وما في
الارض ، فما كان مسخرا لغيرهم بالقوة صار مسخرا لهم بالفعل . فما بال
جماهير المسلمين لا يسمعون ولا يبصرون ، ولا ينظرون ولا يتفكرون ، (أفلم
يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون
بها ، فإنها لا تسمي إلا بصارا ولكن تسمى القلوب التي في الصدور)
كل ما هو مسخر للبشر ، وكل ما هو من كسب البشر ، فهو قابل
للارتقاء ، اذا لم يحمد البناء فيه على ما ورثوه عن الآباء . وكل ما ينفع
الناس من العلوم والفنون والاعمال ، فهو مما يتناوله كسبهم وتصرفهم
بمقتضى الاستعداد الخاص والتسخير العام ، الا الدين الإلهي ، والوحي
السموي ، وقد أكمل الله لنا الدين ، كما ثبت بنص الكتاب المبين ، فما بالنا
قد ابتدعنا فيه كثيرا من الشعائر ، كمواسم الايام الفاضلة والموالد ، وكثيرا
من العبادات التي لا أصل لها من السنة والكتاب ، كأذكار أهل الطرق
وما استحدثوا من الاوراد والاحزاب ؛ بل ما بالنا نبني المساجد على ما

نشرف من القبور ، ونوقد عليها السرج والشموع ؛ ونحن نعلم أن فاعلي ذلك ملعونون على لسان الرسول ؛ بل ما بالناس لطوف بهذه القبور كما لطوف بيت الله ، وندعوها مع الله أو من دون الله ، ونحن نعلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله ، أن هذا عبادة لها من دون الله ؛ أتتبع في هذا عمل الآباء المتأخرين ، ونحن نملو ويُنلى علينا قول الله تعالى في المشركين ، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آباءُ نَاءُ أُولُو كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)

إنا لندعو الناس الى عقيدة السلف ونحن بها موقنون ، ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقته ان شاء الله مستقيمون ؛ وانما نورد في باب التفسير وغيره من المنار ، بعض تأويلات الخلف للآيات والاخبار ؛ وما قد يخالف مذهبهم من الآراء العصرية ، وخاصة في مقام الدفاع عن القرآن والسنة النبوية ، لأن الضرورة أُلجأت اليها ، بتوقف إقامة الحجة او دحض الشبهة عليها ، فان المنار ليس خاصا بالمدعين للكتاب والسنة من المؤمنين ، بل يكتب لهم ولغيرهم من المبتدعين والمنافقين والكافرين ، ومنهم المنكر الجاحد ، والمجادل المماند ، ومنهم المشتبه المنزور بشبهته ، والمرتاب المتردد في ريبه ؛ وحسبنا من الفلج أن نقنع بتأويل الخلف ، من تعذر اقناعه بتفويض السلف ، وأن ندحض الشبهة برأي جديد ، اذا أعيادحضا برأي تليد ، اذ يكفي في صحة الايمان الجزم بأن كل ما جاء به الرسول عن ربه فهو حق ، وفي صحة الادعاء موافقة السلف في مسائل الاجماع العملية وما لا يحتمل التأويل من النص ، ولا خرج في دين الفطرة فيما اقتضته الفطرة من تفاوت الافهام ، مع صحة

قواعد الايمان وإقامة أركان الاسلام ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقر أصحابه على مثل ذلك في مسائل الأحكام ، كتارك الصلاة والمصلي بالتيمة للجناية ، والمختلفين في صلاة العصر يوم نبي قريظة .^(١) ورب فهم جديد ، يؤيد دين الحق أعظم التأيد ، ومن مزايا القرآن انه لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي غرائبها ، وان من آياته ما يظهر في زمان دون زمان ، وهل يظهرها الا افهام أهل العرفان ، الذين هم حجة الله في أرضه ، على الجاهلين والجاحدين من خلقه ، ولن يخلو عنهم عصر من الأعصار ، وان خلت منهم بعض البلاد والأعصار ، وكم من علم ينتفع بعلمه الغائب البعيد ، ويحرم منه القريب العتيد (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)

تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يتلوه من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل البدع ، ومتعصي الأحزاب والشيوع ، وقد آذانا لأجلها الظالمون فصبرنا لله بالله ، ولم نكن كمن أودى في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجهل علينا بعض أحداث السياسة المفرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، فقلنا « سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيدا خفيا ، أضرت بنا ضررا جليا ، اذ حجب المنار عن كثير من قرائه الاختيار ، وحرمتنا بذلك وبغيره كثيرا من المال ، وحسبنا أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الإصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ، وأما الأزهريون خاصة ، فقد كانوا أزواجاً ثلاثة ، فقليل من الشيوخ وكثير من الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام

في هذا الزمان، وكثير من الشيوخ والشبان يكرهون منه هذا الاستقلال وذم التقليد، ورأي جماهير علماء العصر بالجمود والتقصير، والسواد الأعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم، عن النظر في مثل المنار لتقريب أو انتقاد، وعن كل ما يتجدد في الدنيا من إصلاح وإفساد؛ وقد دخل المنار في السنة العشرين، ولم ينتقده أحد من الأزهريين؛ إلا أنه قام في هذا العام شاب متخرج في الأزهر، فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفر، بأنها ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أباً لجميع البشر، على أن المنار قد صرح بآيات هذه الآبوة تصریحات آخرها ما في الجزء الأول من المجلد التاسع عشر؛ وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين، ويعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأيين، ومن لا يزعه هدي القرآن، عن السب والكذب والبهتان، قد يزعه عقاب السلطان؛ لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن إلى محكمة الجنايات، بعد أن أنذرنا بذلك كاتب المقالات، ونصحنا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه، بأن يستحلنا تأييداً من ذنبه، فلم يزد ذلك إلا إصراراً على الذنب، وتماذياً في الطعن والسب، ولكنه جنح في المحكمة للإسليم، وطالب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح، على أن يعتذرا عما اتهما به من المطاعن الشخصية، ويعترفا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية، وأضحية عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية. وقد قبلنا ذلك منه، وكان خيراً لهما لو قعدا من تلقاء أنفسهما، على أنهما عادا إلى منيائهما، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام، فإنه مما يقال لصاحبه سلام، وإنما ذكرناه في

فاتحة المنار، التي نشير فيها عادة الى ما تجدد في تاريخ الاصلاح، تمهيداً لذكر ما قيل انه ترتب على تلك القضية، من تأليف جمعية ازهرية، لاجل البحث عن اغلاط المنار الدينية والعلمية، وبيانها للناس وللحكومة المصرية؛ ذكرت ذلك الجريدة التي وقفت نفسها على الطعن في صاحب المنار، متوهمة انه سيقرب عليه ابطال المجلة أو اخراج صاحبها من هذه الديار، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية،... فنقول للواهمين، ولن بمدونهم في غيهم من المغرورين: اننا نعلم من كنه علم الازهر ما لا تعلمون، فاعملوا على مكانتكم انا عاملون، وانتظروا انا منتظرون (٩ : ١٠٦) وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیْ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

إننا ندعو الى الله على بصيرة، ونكتب ما نكتب عن علم وبينة، ولكننا كثيرنا عرضة للخطأ والغلط، كما هو شأن غير المعصومين من البشر، فلهذا ندعو قراء المنار في كل عام، الى أن يكتبوا لنا بما يرونه فيه من الاغلاط والاهام، لنشره فيه، فيطلع عليه جماهير قارئيه، وانا لنتمنى أن تؤلف لجنة من علماء الازهر، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر، وتحصي ما تراه من الاغلاط المتفق عليها، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها، وان تتحرى في ذلك ما يليق بكرامة أهل العلم، من صحة النقل والتروى في الحكم، واجتناب الطعن والبذاء، والسخرية والاستهزاء، وانا نهد ذلك اذا سميت اليه مهمة بعض الازهرين، أعظم خدمة للمنار يخدم بها العلم والدين، ونعد بأن ننشر لهم ما يكتبونه فرحين مضبوطين، مقرين بإيادهم

على ما نراه فيه من الصواب، مبينين ما نراه من الخطأ مع التزام الآداب،
وترديد عبارات الحمد والشكر، التي تبقى بقاء الدهر، ولتواب الله خير
للذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون، والذين هم على البر والتقوى
يتعاونون (وَأَتَّكِنُ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

وإننا على ضعف أملنا بتحقيق تلك الأمانة، واحتثنا لكل ما يكتب
بجهالة وسوء نية، ليحزننا أن يقوم في الأزهر بمض علمائه، ورئيس جمعية
من جماعاته، ينتقم ممن يقاضي بعض أصحابه، بافتراء الكذب عليه،^(١) ونسبة
ما يناله عن غيره إليه،^(٢) وتحريف آيات القرآن، استدلالا بها على ما رماه
به من الكفر والنسرق والمصيان،^(٣) بذلك الكذب والبهتان، الذي زاد
فيه على ما سبقه إليه ذلك الضمان، وندمنا لكم كلا من المنار والأزهر
بعدم ذكر اسمه، ونسب أن يذهب إلى رشده ويقرب من إيمانه، (٤٩: ٦)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ بَارِعِينَ — يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ قَوْمٍ
قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ
خَيْرًا مِنْكُمْ. وَلَا تُمِرُّوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللُّغَابِ بِئْسَ الْأُنْجُمُ
الْفَاسِقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ أَمَّ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

كتبه من المنار: السيد محمد رشيد رضا

١ - المسمى أن صاحب المنار أن قدم عليه شذوذا من صلاة القروودوانه ليس بها جميع
الشر — بهذا كذب والبراءة — وأما أنه تصور في جهة الفتى لشر كتب شعيل وهذا
كتبه مقري (٢٣) — هذا هو صاحب المنار أقواله في معنى الإنسان وفي تكفير من يحكم
على السارق بغير الحد الذي عي وهو الأول من مقول الشر لا من أقوال صاحبه بل مخالفة لما
(٣) استدلال آيات سورة المتحة في النبي عن مولاة أعداء الله على عدم ما تدل عليه
وأعمل ما فبدته به السورة من كونه فيمن قتلوا في الدين الخ

فَتَحْنَا الْمَسْأَلَةَ

فتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء. وابتدأنا نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

الرفيق الأبيض والأسود

(س ١) من صاحب الامضاء في قلوب

حضرة صاحب الفضيلة والارشاد وصاحب المنار المنير

نحية وسلاماً - وبعد أعرض على مسامح فضيلتكم المسألة الشرعية الآتية وأرجو نشرها في باب السؤال والجواب المفتوح في المنار المنير خدمة للشرع الشريف لأحرمانا الله منكم وما هي :

ما قولكم دام فضلكم في مسألة الرفيق الأبيض والأسود ومسألة مشتراه في الزمن الماضي قبل مقاومة الحكومات لهذه العادة . وهل هذا البيع حرام أم حلال شرعاً - وما الفرق في الدين الاسلامي بين العبد والحر وما هي مهزة الحر على العبد في الدين . وهل سواد (العبد) من الاقليم القاطن فيه أو منحة إلهية للفرق بين الحر والعبد . وما يستحقه العبد في الميراث الشرعي اذا كان من والد حر وله أخوة

أحرار . وكيف كان البيع في زمن الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين وما هي حججهم في ذلك . نرجو الرد على هذه الاسئلة كما عودتمونا ذلك وفضيلتكم الشكر سلفا وفي الختام أهدي فضيلتكم أزكى تحياتي وسلامي
كانه أحمد حسين فراج

بقيادة الدكتور محمد عبد الحميد بك الخصوصية بقلوب

(ج) الظاهر أن السائل يظن أن كل من كان أسود اللون فهو عبد رقيق وكل من كان أبيض اللون أو قريبا من الأبيض — كالأصفر والأسمر — فهو حر وأن الرقيق الأبيض عبارة عما هو معروف في القطر المصري من الاتجار بأعراض البنات اللواتي يحتويهن المشتغلون بهذه التجارة وهن صغيرات بضروب من الاغواء والخيال . والصواب أن الأصل الفطري أن يكون جميع البشر أحرارا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص : منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ وإنما الرق أمر عارض أحدثه تحكم الأقوياء في الضعفاء فكانوا يقتلون الأسرى ثم عطفوا عليهم فاستبدلوا الاسترقاق بالقتل ، وكان عاما لجميع أقطار الأرض الآهلة بالبشر ، وقد أقرته الشرائع القديمة كلها حتى صار من شؤون الممران وضروريات الحياة الاجتماعية ، وقد جاء الإسلام وهو على هذه الحال فلم يكن من الحكمة أن يبطله دفعة واحدة كما أبطل الربا والفواحش والتبني إذ لو أبطله لتعطل كثير من أمور المعاش والأعمال فشرع الأحكام لازالة مفسده كإزالة العبيد وإهانتهم وتحميلهم من العمل ما لا يطيقون حتى نهى الشارع أن يقول الرجل عبدي وأمتي ، وجعل العبيد اخوانا لآلهم وأمر بأن يطعمهم مما يأكلون وأوجب عتقهم في الكفارات وغير الكفارات من الأسباب المعروفة في كتب السنة والعقود ، وجعل العتق من غير سبب قرينة من أفضل القربات حتى إن من العتق ما يوجب الشرع بغير اختيار المالك ومنه أن من مثل بعبده بقطع عضو أو تشويهه أعتق عليه قال (ص) « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه » رواه مسلم وأبو داود من حديث ابن عمر وقد عمل به ابن عمر . وروياهما والترمذي عن سويد ابن مقرن قال كنا بني مقرن ليس لنا على عهد رسول الله (ص) إلا خادم واحدة فاطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « أعتقوها » قالوا ليس لهم خادم غيرها

قال « فليست خدموها فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها » وإنما أبقى أصل استرقاق
الأسرى والسبي من الكفار في الحرب الدينية مباحا لأنه قد تقتضيه المصلحة
حتى مصلحة السبي نفسه أحيانا . مثال ذلك أن تقتل رجال قبيلة في الحرب ولا يبقى
منهم أحد يستطيع أن يقوم بأمر النساء والذراريء ، إذ لم تكن الشعوب والقبائل في
الازمنة الماضية ولا هي الآن كلها أيضا ذات دول غنية كدول أوربة وما يشبهها
في النظام الاجتماعي ، فإذا أخذ الغالبون السبي في مثل تلك الحالة وربوه على ما يوجبه
الاسلام من الرفق والتكريم وتسروا النساء حتى صرن أمهات أولاد لهم يعتقدون
بمجرد موتهم - فلا شك أن هذا قد يكون خيرا لهم من تركهم هائمين على وجوههم .
على أن الاسلام لم يوجب ذلك بل شرع لنا أن نمن عليهم باطلاقهم بلا مقابل كرما
واحسانا وأن نفدي بهم أسرانا إن كان لنا أسرى عند قومهم ، كما قال في سورة القتال
(حتى إذا اتخمتهم فتشدهم الوثاق فأما مذا بعد وأما فداء)

وإذا عرفت أصل الرق الشرعي علمت أن ما اشتهر عن النخاسين من شرائهم
بعض بنات الشركس من آباء بن الفقراء ليمهن في الآستانة وغيرها ومن شرائهم أو
خطفهم لأولاد السودانيين أيضا - كله باطل ، فالأب لا يملك بيع أولاده . ومن
دونه من الأقارب أولى بأن لا يجوز له ذلك ، والمشتري لا مثال هؤلاء لا يملكهم شرعا
ويجب على الحكام ابطال مثل هذا الرق قطعا ، لما يترتب عليه من مفساد التسري
والتوارث وغير ذلك من الأحكام الباطلة

وأما سواد السود من الناس فهو من تأثير الأقاليم كما هو مشهور وقد سكن كثير
من العرب الذين يغلب عليهم اللون القمحي في البلاد الاستوائية وما يقرب منها
فأثر ذلك في جلودهم حتى صاروا أقرب إلى الزوج منهم إلى البيض ، وسكن كثير
منهم في البلاد الشمالية الباردة وما يقرب منها فصار يبيضهم كبيض أهلها

وأما الفرق بين الحر والعبد في الدين الاسلامي فهو أنه لا فرق بينهما في الإيمان
وتقوى الله تعالى والعمل الصالح وفضائل الدين وأدابه والجزاء عند الله تعالى وكم
من عبد مملوك بقي خير عند الله من الف حر ، ولكن المملوك لما كان لا يملك المال عند
الجاهل ولا يملك التصرف في نفسه لتقديره بخدمة مالكه كان له بذلك أحكام

خاصة لا يحتاج السائل الى معرفتها كلها ، ففنها ما هو تخفيف عليه ككونه لا تجب عليه الجمعة عند الجمهور خلافا للظاهر يـقـ وتصح منه اجماعا - ولا الجهاد ولا الحج ، واذا حج باذن سيده أو معه صح منه ذلك وأثبت بقدر اخلاصه وقيامه بالمناسك على وجهها ولا تجب عليه الزكاة لانه لا يملك المال ، ويترتب على عدم ملكه المال انه لا يرث ولا يرث ، وحده نصف حد الحر ، ويترتب على عدم ملكه التصرف بنفسه انه لا يلي الولايات العامة كالقضاء ولا الخاصة كالنكاح والوصاية على اليتيم ، وكل مسألة من هذه المسائل وأشباهاها مفصلة في كتبها وأبوابها من كتب الفقه . وفي بعضها خلاف بين الفقهاء . وأما بيع الرقيق فكبيع غيره مما يملك ، وحسب السائل هذا البيان المختصر .

﴿ العوام والخواص ﴾

(ص ٢) من الحاج عبد العزيز . ن . و . في بلد جكجا كرتا (بجاو)
 « نرجو من فضلكم ان ترشدونا في تعريف العام والخاص هل العام من لم يعرف اللغة العربية في فصاحتها وبلاغتها ، والخاص من يعرفها ؟ أو من هم ؟
 هذا — فالمرجو من فضلكم أن لا تؤاخذوا بسؤالنا هذا ، لانه من مشكلات
 أهلنا « الجاوا » اه بنصه

(ج) العام اسم قاعل من العموم وهو الاحاطة والشمول والخاص اسم قاعل من الخصوص وهو اصابة بعض الشيء . أو الافراد دون بعض . يقال نزل المطر فعم الارض فهو عام أو خص بلد كذا فهو خاص . والسائل لا يسأل عن هذا وإنما يسأل عن معنى العام والخاصي واحد العامة والخاصة . فالعام هو المنسوب الى عامة الناس أي سوادهم الذين لا خصوصية لهم فيهم ويقال لجماعتهم العوام ، والخاصي المنسوب الى خاصة الناس وهم كباروهم وزعماءهم كالعلماء الاعلام وكبار الحكم وأهل الفضل والجاه ويقال لجماعتهم الخواص . وعلماء اللغة العربية في جاوه يصح ان يكونوا من خواص أهلها وأما كونهم هم الخواص وحدهم فلا يتحقق الا اذا كان أهل البلاد يخصصونهم بالاحترام والتكريم ويفضلونهم على سائر الناس ويعدون من عداهم سواسية لا فضل لاحد منهم على أحد ولا كرامة .

مقدمة لذكرى المولد النبوي

فبها بيانه تاريخ الاحتفال بالمولد وعظم شأنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن ولاء
أما بعد فإن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد صار عادة عامة ، وقد
اختلف في كونها بدعة حسنة أو بدعة سيئة كما سيأتي ، والمشهور أن المحدث لها هو
أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركاني الجنس الملقب الملك
المعظم مظفر الدين صاحب إربل^(١) أحدثها في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن
السادس فإن السلطان صلاح الدين ولاء على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ وتوفي سنة
٦٣٠ . وقد كان سخيا متلافا صاحب خيرات كثيرة ، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد
ألوقا كثيرة ، ففي تاريخ ابن خلكان أنه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل
قبة منها أربع طبقات أو خمس طبقات له قبة منها والباقي للامراء وأعيان دولته ، وكانوا
يزينون هذه القباب في أول شهر صفر بأنواع الزينة الفاخرة ، وكان يكون في كل قبة
جوق من الاغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، بل كانوا
لا يتركون طبقة من الطبقات بغير جوق من تلك الاجواق . وكان الناس يتركون
كل عمل في تلك الايام فلا يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران على القباب

قال ابن خلكان فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم
شيئا كثيرا زائدا عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والاعاني والملاهي حتى
أتى بها الى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الالوان المختلفة

(١) إربل: بوزن إيمد وضبط في المتن بفتح الباء غلطا

فاذا كانت ليلة المولد (١) عمل الدجاعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل
وين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع - أشك
في ذلك - من الشموع الموكية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها
رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل . فاذا كانت صبيحة يوم المولد أنزل
الخلع من القلعة الى الخانات على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقعة وهم
متابعون كل منهم وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده .
ثم ذكر عرضه الجند وتوزيعه تلك الخلع بعد ذلك على الفقهاء والوعاظ والقراء
والشعراء ومد المميط . وكان قد ذكر قبل ذلك أن الناس كانوا يأتون هذا
الموسم في اربل من بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك
التواحي فلا يزالون يتواصلون من شهر المحرم الى أوائل شهر ربيع الاول
لخصت هذا من تاريخ ابن خلكان الذي وصف ما رآه بعينه لان ما يعمل
بمصر الآن يشبه ما كان يعمل في اربل الا أنه دونه عظمة ونفقة، فهنا تنصب قباب
أو خيام النسيج الجميلة لعزير مصر ولوزارات حكومته ولبعض الوجهاء في دائرة واسعة
ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الاول يسمعون في بعضها وعظ الوعاظ وذكر
أرباب الطرق المعروفة . ويرأس الاحتفال هنا شيخ مشايخ طرق الصوفية ، ويقم
بجانب خيمته مأدبة فاخرة في مساء اليوم الحادي عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء
وكثير من الوجهاء ، ويكون الاحتفال الاكبر في الليلة الثانية عشرة في خيمته فيجتمع
فيها من حضر المأدبة ويؤمها الامراء والوزراء حتى اذا ما انتظم جمعهم حضر عزير
مصر بحاشيته وتقرأ بين يديه قصة المولد فيخلع على من يقرأها خلعة سنية ، وتدار
بعد قراءتها كووس الشراب المحلى وصواني الحلوى الجافة . ثم ينصرف العزيز الى
خيمته وهي بجانب قبة شيخ الشيوخ فيبكت فيها ساعة زمانية، يشاهد في أثنائها زينة
الالاماب النارية، ثم ينصرف وينصرف الامراء والوزراء، ويظل الناس يطوفون على

(١) هي الليلة التاسعة من ربيع الاول على المختار عند المحدثين او ليلة ١٢ منه
على المشهور عند الجمهور وكان مظفر الدين براعي الخلاف فيجعلها ليلة تسع في
سنة وليلة ١٢ في أخرى

تلك الخيام المزينة بالانوار الكهر بائية وغير الكهر بائية عامة ليلتهم . وفي ضحوة ذلك اليوم يحضر نائب المزيقة شيخ الشيوخ فتعرض عليه مواكب الطرق الصوفية يتقدم كل طريقة شيخها وهم يهلاون أو يتلون الاوراد ويقف كل منهم امام شيخ الشيوخ قليلا فيحييه ثم ينصرف .

وقد استحسن جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد في مشارق الارض ومغاربها ويجمعون لقراءة قصته في المساجد ومنهم من يجعل لها دعوة خاصة في البيوت ، وهذه لا تنقيد يجعلها في تاريخ الميلاد النبوي ولكن أنكر هذا الاحتفال بعض العلماء وعده بدعة مذمومة لانه عد موسما وشعارا دينيا وعبادة غير مشروعة يظن العوام أنها مشروعة ولما يقترب به من المنكرات الاخرى . وقال بعضهم انه بدعة حسنة لانه عبارة عن الشكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور في مثل اليوم الذي ولد فيه وبما يكون فيه من الصدقات والاذكار ، وقد ألف الجلال السيوطي رسالة في عده بدعة حسنة في جواب من سأل عن حكمه شرعا وعرفه بقوله : هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة في مبدأ أمر النبي (ص) وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سباط فيا كانوا وينصرفون من غير زيادة على ذلك . وذكر أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن جرد في عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا

ثم بين أن الحافظ أخرجه على حديث الصحيحين في صيام عاشوراء شكرا لله تعالى على أنجائه فيه موسى نبيه واغراق فرعون عدوه ، قال : فيستفاد منه الشكر لله على ما من به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأي نعمة أعظم من بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم ؟ وعلى هذا فينبغي ان يتعمرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد في أي يوم من الشهر ، وتوسع قوم فنقلوه الى أي يوم من السنة ،

وفيه ما فيه . فهذا ما تعلق بأصل عمله . وأما ما يعمل فيه فينبغي ان يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من الاطعام وانشاد شيء من المذامح النبوية والزهدية المحركة للقلوب الى فعل الخير والعمل الآخرة ، وأما ما يتم ذلك من السماع والابواب وغير ذلك فينبغي ان ما كان من ذلك مباحا بحيث يتعين للسرور بذلك اليوم لا بأس بالحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الاولى اه .

وقد يقال لماذا لم يقيم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة المجتهدين ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد الشارع لهم بالخيرية ؟ فهل كان صاحب اربل التركماني ومن تبعه أعلم وأهدى منهم وأعظم شكرا لله تعالى ؟ ويقال مثل هذا في تخريج الحافظ ابن رجب اياه على تعليل صيام يوم الاثنين بأنه يوم ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيأتي مزيد بيان لحجة المخالف

وخرجه السيوطي على أصل آخر استنبطه من تخرج شيخه الحافظ وهو ما رواه البيهقي من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم علق عن نفسه بعد النبوة (قل) مع انه قد ورد ان جده عبد المطلب علق عنه والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان الذي فعله النبي (ص) إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشرية لأئمة كما كان يصلي على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه الآيات واظهار المسرات اه

وهذا التخرج ضعيف من وجوه (أحدها) ان هذا الحديث منكر كما قال راويه البيهقي بل باطل كما قال النووي في شرح المذهب (ثانيا) انه لو صح لكان دليلا على استحباب علق الانسان عن نفسه ولم يقل بهذا أحد (ثالثا) جعل قولهم ان العقيقة لا تعاد حجة على الحديث على تقدير صحته مع كون عبد المطلب علق عنه (ص) (رابعها) انه لو كان تشرع بالعمل به الصحابة وغيرهم وقل به أئمة الفقهاء أو من بعدهم (خامسها) ان يوم البعثة كان أولى بهذا الشكر من يوم الولادة لان النعمة والرحمة إنما كانت برسالة (ص) بنص قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

وحجة المنكرين في هذا الباب أن كل بدعة دينية تعد من العبادات المحضة أو

تجمل من شعائر الدين فهي محظورة لأن الله تعالى أكمل الدين وأجمعت الامة على أن أهل الصدر الاول أكمل الناس ايمانا واسلاما، وان كل بدعة ليست من هذا القبيل كالدافع الديني والوسائل التي يقوى بها أمر الدين والدنيا كالدروس والمستشفيات والملاحى الخيرية التي يثاب صاحبها بحسن نيته فيها فانها تعد بدعة حسنة، والتحقيق ان هذه لا تسمى بدعة شرعية وانما يطلق عليها اسم البدعة امة فلا تدخل في عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث الصحيح عند مسلم « وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » لان موضوع الحديث المحدثات في أمر الدين، ولكنها تعد من السنن الحسنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » — الحديث (وهو في صحيح مسلم أيضا) فقد رغب أئمة بهذا الحديث في الاختراع النافع لها في دينها ودنياها ولكن ليس لاحد ان يخترع في الدين نفسه شيئا .

ثم ان البدعة الدينية إما ان تكون اختراع عبادة أو شعار ديني لا أصل لها وإما ان تكون تخصيصا لعبادة مشروعة بزمان معين أو مكان معين أو هيئة معينة لم يخصصها بها الشارع . ومن هذا النوع عند الفقهاء صلاة لرغائب في رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان من البدع المذمومة . قال النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . وقد سمي الشاطبي هذا النوع بالبدع الاضافية وسمى النوع الاول البدع الحقيقية . وأطال في بيان ذلك في كتابه الاعتصام وفصله تفصيلا

هذا وان ما يعهد من الاحتفال بالمولد ليس عبادة مأثورة عن الشارع يؤتى بها على الوجه المشروع ولا هو عمل ديني محض بل يجمعون فيه بين عبادات يأتون بها أو يعمضها على وجه غير مشروع ، وبين لعب ولهو بعضه مباح وبعضه محظور ، وقد كان يكون في احتفال القاهرة خيام برقص فيها النساء المتهتكات مكشوفات الصدور والبطون كما يحصل دائما في غيره من احتفالات الموالد — كالمولد الحسيني والمولد البدوي — وما هو شر من ذلك ، ولكن قد أبطل هذا كله من الاحتفال الذي يكون في القاهرة والله الحمد

وقد حاول من ذكرنا من العلماء تخريبه على أصل شرعي بإبطال ما يكون فيه من الإيهام والاقتصار فيه على عمل الخبر، ولولا تخصيص تلك العبادة بالزمان والمكان والصفات المخصوصة التي تشبه بها الشعائر والعبادات المشروعة وتلبس بها لما احتجج في تخريبه إلى ما تكافوه.

وأما اجتماع الناس في مثل القباب والحمام التي تنصب في العباسية، وتزين بالمصابيح والانوار الكهربائية، وإظهار البهجة والسرور، بذكري مولد ذي الضياء المعنوي والنور، وذكر إخراج الله الخلق بهديه من الظلمات، وما آتاه من الهدى والآيات، فهو في نفسه من المباحات المقرنة بالمستحبات والمندوبات، بشرط أن يخلو من البدع والمنكرات، وأن لا يمد من الشعائر الدينية ولا من العبادات، فإذا كان بحيث يظن العامة أنه مطلوب شرعاً، حرم فعله قطعاً، بل كان بعض الصحابة يتركون بعض المنونات، أمثالاً تظن العامة أنها من الواجبات، ومن هنا صرح الشاطبي في الاعتصام^(١) بكون اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيداً من البدع. وأقوى ابن حجر المكي بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة وذكر أن الناس يفعلونه تعظيماً وقال «فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص»^(٢) وقد علل فتواه بأن القيام يوم العامة أنه مندوب، ويزاد عليه أن بعضهم يظن أنه واجب، وقد بطل أيضاً بأنه يفعل بهيئة العبادة لما يكون من الصلاة المخصوصة المعينة بالمدد في أثنائه. ولكن لم يأخذ أحد بهذه الفتوى، فما زال العلماء يقومون كفرهم ولم نر لهم رداً للفتوى بدليل أرجح من دليلها، وأمل أكثر العوام يعتقدون وجوب هذا القيام لا لالتزام العلماء وسائر الناس له، ولو فطنوا ترك أحد له لمدوه فاسقاً متهاوناً بالدين أو كافراً مارقاً منه، وأملك لو اقترحت على جماعة العلماء الذين يحضرون قراءة قصة المولد تركه في بعض الأوقات ليعلم العامة أنه غير واجب لما تجرؤوا على ذلك. والحق أن قصد التعظيم هو الذي زين للعوام والخواص أمثال هذه البدع. فان من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضمهم في أمر الدين أو الدنيا. لان هذا التعظيم لا مشتة فيه على

(١) ص ٣٤ من الجزء الأول (٢) ص ٦٠ الفتاوى الحدينية له

النفس فيجعلونه بدلا مما يجب عليهم من الاعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له والقيام بالاعمال التي يقوم بها أمره ويعز دينه ان كان رسولا، وملكه ان كان ملكا. وقد كان السلف الصالح أشد من بعدهم تعظيما للنبي (ص) ثم للخلفاء، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذه السبيل، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللساني. ولا شك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم، وليس من التعظيم الحق له ان يبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل لاجل تعظيمه به، وحين النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل المال قلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسالتهم، ولولا تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل خلفنا الذين اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع لضاع أصل ديننا أيضا، ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل فالواجب علينا أن نرجع اليه ونعوض عنه بالنواجذ، ويجب على العلماء ان يبينوا للناس الاحداث والبدع محذرين منها، كما يجب عليهم ان يبينوا لهم الفرائض والسنن مرغبتين فيها، والبيان يحصل بالقول والفعل والقرار والترك كما ان التشريع حصل بذلك فقد كان (ص) يترك بعض سننه لئلا تفرض قال الامام الشاطبي في الاعتصام^(١): وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، والعلماء ورثة الانبياء فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله وقراره كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله وقراره، واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينكرها العلماء أو عملوا بها فصارت تعد سننا ومشروعات كزيادتهم مع الاذان « أصبح لله الحمد » الخ وقد أطال في هذه المسألة وبين مفاسد السكوت قبل هذه العبارة وبعدها ولا سيما عمل « الخواص من الناس بالبدعة عموما وخاصة العلماء خصوصا » وذكر في هذا السياق ان علماء الصحابة كانوا يتركون بعض السنن لئلا يظن الناس انها واجبة، ومن ذلك ان أبا بكر وعمر وابن عباس تركوا التوضيعة في عيد النحر لئلا يظن الناس انها واجبة^(٢) - على

٣٠ كلام الامام مالك في البدع . حكم قراءة المولد [المنار : ج ١ ص ٢٠]

ان بعض النقاد بعدهم قال بجوابها - ونقل عن الامام مالك انه قال في الموطأ في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان انه لم ير أحدا من أهل العلم والفقه بصومها - قال - ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخفون بدعته وان يالحق أهل الجهالة والجفاء بـ رمضان ما ليس منه لو رأوا رخصة من أهل العلم ورأوهم يقولون ذلك اهـ وقد كان الامام مالك يعرف الحديث في صيامها وكلامه يدل على ذلك كما قال الشاطبي ولكن سد ذرائع البدع فتضى ترك هذا المستحب، ومالك من أشد الائمة تشريدا في ذلك . ومما نقله عنه الشاطبي وغيره قوله : « من أحدث في هذه الامة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا اهـ (١) وقوله عندما سئل عن القراءة في المساجد « لم يكن بالامر القديم وانما هو شيء أحدث ولم يأت آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها ، والقرآن حسن » اهـ (٢)

وجملة القول ان خطط العبادات الدينية باحتتمالات لزينة واللهو وحمل ذلك عملا واحدا عن باعث ديني هو الذي يجعل مجموع تلك الاعمال من قبيل الشعائر الدينية ويوهم العوام ان تلك العادات - وكذا العبادات المتدعة في هيئتها وتوقيتها وعددها - من أمور الدين المشروعة بهذه الصفة ندبا أو وجوبا كما قال الفقيه ابن حجر في مسألة القيام عند ذكر ولادته عليه أفضل الصلاة والسلام وما يكون فيه من الصلاة المخصوصة كما قلنا وأما قراءة قصة المولد فهي عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية كما قال السيوطي ، ولكن كثيرا من الناس كتبوا (موالد) حشوها بالاحاديث الموضوعة والمنكرة وفي بعضها وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق كالغفل بجماله . وكنت منذ سنين أنمى لو يوجد بين أيدي الناس رسائل في هذا الموضوع يتحرى فيها الصحيح المفيد ، عسى أن يستبدل بها بعض ذلك الضار السيئ التأثير ، بيد أنني كنت أنحامي أن أكتب في ذلك شيئا باسم المولد لئلا أكون محدثا أو مساعدا أو مقرا لما لم يفعله السلف الصالح

ثم كان أن دعاني في غرة ربيع الأول من عام ١٣٣٤ شيخ مشايخ طرق الصوفية بمصر السيد عبد الحميد البكري^(١) إلى مأدبة أعدها في داره وسماع قصة المولد بعدها فأجبت الدعوة ، وتوصلت بها إلى تنفيذ تلك الفكرة ، إذ كنت علفت من أحاديث جرت بيني وبينه أنه من محبي الإصلاح لطرق الصوفية وغيرها ، وهناك كلمته في قصص الموالد المشهورة ووجوب تغييرها فاستحسن ذلك ، فقالت له أرأيت إذا كتبت شيئاً في هذا الموضوع أتستبدل به ما يقرأ عندك في الاحتفال الرسمي وغيره؟ قل نعم. فانتهرت هذه الفرصة لبيان الحق في هذه المسألة شكلاً وموضوعاً ثم شرعت في كتابة شيء من ذلك في ساعات المساء من النهار فأنتمت في بضعة أيام متفرقة لم تتم أسبوعاً ، وكتبت أكثره في دار البكري وكنت أطلع على ما أكتب فيسر به ، ولكنه جاء طويلاً لا يمكن أن يقرأ في الحفلة الرسمية كله ، فاختصرنا منه نسخة قرئت في الحفلة الرسمية فكانت موضع إعجاب أهل الفهم والذكا ، من الوزراء والكبراء وغيرهم من أهل الروية ثم أطلع على ما كتبت كله بعض أهل العلم ومحبي الإصلاح فرغبوا إلي في طبعه ونشره ، ورأوا أنه من أحسن ما ينشر في هذا العصر لبيان حقيقة دعوة الإسلام وكرامات الدين وخلاصة السيرة النبوية ، فشرعت في طبعه وزدت فيه عند الطبع حديث البعثة وقصة الهجرة وما تلاها من الخاتمة ومسائل أخرى في أثناء الكلام . طبعته في المنار ثم جردته منه وطبعته على حدة ، وحذفت مما طبع في المنار جملة وجيزة اقتبستها من (رسالة التوحيد) وزدت مسائل أخرى قليلة. فكان فوق ما كنت أقدر وأتوحي في هذا المقام ، الذي اعتيد فيه الاختصار ، فجاء كتاباً وجيزاً حاوياً لخلاصة الحقائق المتفرقة في أسفار التاريخ والسيرة النبوية ، وكتب التفسير والحديث والعقائد الإسلامية ، مبيناً لكنه الإسلام وحقيقته ، وكرامات أحكامه وحكمته ، بعبارة سهلة على الناس فهمها ، ويتيسر لمريد الحفظ حفظها ، وحروف مضبوطة بالحركات ، وأسجاع غير متكلفات ، فهو جدير بأن يقرأ في البيوت وفي المحافل ، وبأن يلقن الطلاب العلوم الدينية والدنيوية في المدارس ، وإذا اكتفى سامعوه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فرادى ولم يرفعوا أصواتهم بصيغة مخصوصة في

(١) بيت البكري من أشهر بيوتات مصر ينتسبون إلى الصديق (رض) ويلقبهم الجمهور بلقب السيد كالطويين

أوقات معينة لا يكون في قراءتهم ولا سماعهم له شبهة على الابتداء الحقيقي ولا الاضافي
طريقة اختصاره في القراءة

هذا - وان لمن يقرأه على الناس في وقت ضيق ان يختصر منه بعض الفصول
تفصل الهجرة بطوله من منتصف الصفحة ٣٠ الى فصل أخلاقه وسيرته (ص) في الصفحة
٣٦ ويمكن ترك هذا الفصل أيضا الى الخاتمة في ص ١٤ واذا كان المقروء عليهم
من العوام فلا قارىء ان يحذف مما يقرأ لهم بحث اصطفااء الله لقوته وقبيله وآل بيته
(ص) من أول الصفحة الى نهاية ص ١٠ لان هذا البحث لا يفهمه حق الفهم ، الا
الخوارج من أهل العلم ، وما زال كثير من الناس يستشكل ما ورد في الحديث
الصحيح من اصطفااء الله تعالى كنانة وقريشا وبني هاشم ، وحكمة جعل دين العلم
والمدينة ، على لسان نبي أمي بحث في أمة أمية ، ولم أر أحدا سبقني الى بيان مزايا
العرب التي أعدهم الله بها لهذه المنقبة العظيمة ، والله الحمد والمنة (رب أوزعني أن
أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي
إني تبنت اليك واني من المسلمين) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله
وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين . وكتب هذا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٥

محمد رشيد رضا

أغلاط طبعية في الشكل ينبغي تصحيحها بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٩	إربل	إربل	١٣	١٨	الثانية عشرة	الثانية عشرة
٦	١٥	وخرافات	وخرافات	٢٠	٨	الوحي	الوحي
٧	٣	كان يمد	يُمد	٢٤	١٦	أقرب	أقرب

﴿ استدراك على الحواشي ﴾

شاعر الانصار صاحب الايات المذكور بعضها في قصة الهجرة هو أبو قيس صرمة
ابن أبي أنس كان قد ترهب وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وهم بالنصرانية
فلما جاء الاسلام اسلم وهو شيخ كبير وله شعر كثير وعاش نحو من ١٢٠

المسألة العربية

(مقالة للتاريخ)

الاسلام والجنسية العربية . ابراهيم الخليل عربي . الاخوتان الدينية والجنسية . اتفاق الاسلام والجنسية العربية . مصلحة المسلمين وغيرهم من العرب في تجديد الدولة العربية واحدة . مصلحة المسلمين الاعاجم ورأيهم في ذلك . استقلال لبنان لم تكن عقبة في طلب العرب للاستقلال . لم ينهض العرب للاستقلال في عهد عبد الحميد . انهم الحادي والانيكلين بالميل الى استقلال العرب . حال أمراء الجزيرة وزبديه اليمن وزعماء الولايات العربية في ذلك . الخلافة عند أهل الزبديه وأهل السنة . السبب الحقيقي لكون العرب وسكونهم هو الاسلام وأوربة . ازالة الاسلام لهدية الجنسية . اجاع العرب على المحافظة على الدولة . أسهم منها . استقلال الحجاز . اتفاق الحقاء على استقلال الشعوب أو تفويض أمر حكمها اليها

إنني عربي مسلم أو مسلم عربي، فانا قرشي علوي، من ذرية محمد النبي العربي، الذي ينتهي نسبه الشريف الى اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام، ومولته الحنيفة هي ملة جده ابراهيم، أساسها التوحيد الخالص واسلام الوجه لله تعالى وحده، (٢: ٢٩) ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من حقه نفسه — اقرأ الآيات الى قوله — ونحن له مسلمون) قسلاي، مقارن في التاريخ لعريقي — وان من الناس من هو أقدم نسا في الاسلام، ومن هو أقدم نسا في العربية، وهم من عدا الاسماعيليين من متقدمي العرب ومتأخريهم، وأما الاسماعيليون منهم فتاريخ عربيتهم واسلامهم واحد اذ من أول أب لهم في العرب مسلما، وقد يقال ان اسلامهم أقدم اذا كان ابراهيم (ص) غير معدود من العرب على ما هو المشهور في كتب التاريخ من أن أول العرب المستعربة اسماعيل (ص) وكانهم عدوه كذلك لانه ولد في بلاد العرب ونشأ فيها فلم يكن له لسان غير اللسان العربي . ولكن التاريخ يثبت لنا ان أباه ابراهيم (ص) كان يتكلم باللغة العربية، كما يؤخذ من التاريخ العربي والتاريخ المستنبط من الآثار القديمة، أما مأخذ ذلك من التاريخ العربي فهو انه أقام في بلاد العرب زمنا أقام فيه الدين وبنى البيت العتيق الذي هو أقدم بيت وضع لعبادة الله وحده في الارض، فمن البديهي انه كان يعلمهم الدين بلسانهم ويخاطبهم به، وأما مأخذ ذلك من (الطبعة ج ١)

الآثار القديمة المكتشفة في هذا العصر موضحة للتاريخ للقديم فهي أن علماء الآثار
 بينوا لنا أن مدينة الكلدان كانت عربية وان (حمورابي) الذي كان ملكهم وصاحب
 شريعتهم في عهد ابراهيم (ص) كان عربيا، وقد اكتشفت شريعته في بلاد العراق
 منقوشة على عمود من الحجر الاصم فكانت باللغة العربية لذلك الزمان. وقد جاء في سفر
 التكوين أول أسفار العهد القديم عند أهل الكتاب ان حمورابي هذا كان في زمن
 ابراهيم، وأنه كان يدعى ملك السلام وكاهن الله العلي، وأنه بارك ابراهيم وان
 ابراهيم أعطاه عشرا من كل شيء. (راجع تك ١٤ : ١٨)

قلت إني عربي مسلم. فأنا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين من
 العرب وغير العرب، وأخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير
 المسلمين. أما دليل الاخوة الدينية فقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) وأما دليل
 الاخوة الجنسية فالآيات المتعددة في سورة الاعراف والشعراء المصروفة بكون
 الانبياء المرسلين أشقراء لأقوامهم المشركين، ولما كان شعيب عليه السلام قد أرسل
 الى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الايكة من غير قومه اختلف التعبير عنه فقد
 قال تعالى في سورة الاعراف (٧ : ٨٤) وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله
 ما لكم من إله غيره) أي وأرسلنا الى مدين أخاهم في النسب شعيبا الخ. وقال في
 سورة الشعراء (٢٦ : ١٧٦) كذب أصحاب الايكة المرسلين ١٧٧ اذ قال لهم شعيب
 ألا تتقون ١٧٨ اني لكم رسول أمين) ولم يقل أخوهم شعيب كما قال في عاد (أخوهم
 هود) وفي ثمود (أخوهم صالح) — مثلا — لأنه لم يكن من جنسهم

واتي احمد الله عز وجل أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موافقة
 لمصلحة المسلمين السياسية كما أيدته في هذه المقالة، ولو تمارضنا اقدمت ما يوجب
 علي ديني، على ما تقتضيه مصلحة أبناء جنسي، لآتي أرجو بديني سمادة الدنيا
 والآخرة، وأنا موقن بذلك، ولا أرجو بخدمة جنسي وحده الا الدنيا وحدها،
 وما أنا على يقين من إدراكها، على اني راض بما آتاني الله منها، أما وقد اتحدنا
 بخدمة جنسي خدمة لديني ينفعني في الآخرة ان لم ينفعني في الدنيا، وأنا مؤمن بهذا
 وان كان ينفعني على كثير من اخواني المسلمين

مصلحة العرب والمسلمين في الدولة العربية

إنما مصلحة العرب السياسية ان يكون لهم دولة مستقلة ، وهذا أمر بديهي لا يختلف فيه عاقلان ، فالعرب أمة من أقدم أم الأرض وأعرقها في الاستقلال ، ذات مجد عظيم ، ومدنية عالية في التاريخ القديم والحديث ، ولغة ممتازة في لغات العلم والادب ، وشريعة هي أعدل الشرائع المنزلة للبشر ، وقد ضمنت هذه الأمة الكريمة وضعفت مزاياها وافتتها ، وأهمل معظم شريعتها وكادت تفتى بفنائها ، كل ذلك لعدم وجود دولة مستقلة لها ، إذ يستحيل ان ترتقي أمة بغير دولة .

ان السواد الأعظم من العرب يدينون دين الاسلام واللغة العربية هي لغة هذا الدين فلا نصح لمسلم عبادة بغير هذه اللغة ، فبالدولة العربية نحيا لغة القرآن ، ونحيا بحياتها شريعة الاسلام ، فمن البديهي اذاً ان يكون الخير كل الخير للمسلمين في هذه الدولة اذا وجدت ، وان عقلاء المسلمين من غير العرب يعلمون هذا ولكنهم يرونه الآن متعذراً أو متعسراً ، ويخشون كما كان يخشى مسلمو العرب ان يكون السعي له مفضياً الى إضعاف الدولة العثمانية التي لم يبق للمسلمين دولة غيرها فيكون مثل الساعين كثر من له دار تكنه فهدمها لينى خيراً منها فمعجز عن البناء وأسى في العراق معرضاً لما يجني على حياته ، ولكن جمعية الاغرار المغرورين (جمعية الاتحاد والترقي) ما زالت تهدم من آمال العرب في بقاء الدولة وفي كون بقائها خيراً للاسلام والمسلمين حتى دعيتهم بل دعيتهم^(١) الى طلب لاصلاح في الجملة ثم الى طاب اللامركزية ثم الى استقلال الحجاز ، ولا يعلم غير الله ما تكون عاقبة ذلك ، لان العالم كله في طور تغير وانقلاب مجهول ، ولكن المعلوم قطعاً ان ما حصل في بلاد العرب هو نتيجة طيبة لسيرة الاتحاديين لم يكن في استطاعة أحد دفعه كما يعلم مما يأتي

وأما غير المسلمين من العرب فهم الآن كالمسلمين ليس لهم دولة ، ولا أن يكون لأبناء جنسهم دولة خير لهم من ان يكونوا تابعين لدولة أعجمية لا يشاركونها في النسب ولا في اللغة ولا في العادات والتقاليد ولا في الوطن الجغرافي^(٢) ولا في الدين ، ولا للدولة

(١) دعيتهم بتشديد المين دفعتهم بعنف

(٢) هذا الوصف احتراز من الوطن السياسي

أعجبية يشاركها بعضهم في الدين والمذهب أو في الدين دون المذهب دون سائر مقومات
الأم ومشتخصاتها وهم يعلمون أن الدين أو المذهب لا يحملها على جعلهم مساوين لآباء
جنسها ووطنها وإن كانوا من غير أبناء دينها ومذهبها، ولا يضرهم أن تكون العربية في هذه
الدولة الأغلبية للمسلمين من أبناء جنسهم، فإن أفراد البشر وجهاتهم يتآفون ويتعاونون
على مصالحهم بكثرة ما يشتركون فيه من مقومات الأم ومشتخصاتها، وما يشترك
فيه المسلمون وغيرهم من العرب من المقومات والمشتخصات كاللغة والعادات والآداب
والمصالح والمرافق الوطنية أكثر مما يشترك فيه غير المسلمين من العرب مع الأفرنج
الموافقين لهم في الدين، بله الترك المخالفين لهم حتى في الدين، ودين الإسلام دين
مساواة في الحقوق وحرية تامة في العقائد، وقد ارتقى غير المسلمين في أرقى دول
العرب الإسلامية مدنية إلى أعلى المناصب، حتى كان وزراءهم وأطبائهم يزاحمون
الخلفاء العباسيين بالمناكب، وإذا كان لغير المسلمين أغلبية في بقعة من البلاد العربية
(كجبل لبنان) فانه يمكنهم أن يكونوا مستقلين مع ارتباطهم واتحادهم بالملكة العربية
فيما استقلالاً ادارياً واسماً خيراً من الاستقلال الذي نالوه منذ نصف قرن

لونهض زعماء العرب إلى السعي للاستقلال لما تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين
منهم بذلك وإزالة جميع ما في البلاد من أسباب الخلاف. ولو تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين
في أوائل العهد بالسعي لما كان ذلك موجبا لتركه واليأس منه. ولا أطيل في بيان
هذا وكشف غواشي الاوهام عنه لأنه يخرج بي عن المقصد من هذا المقال، واكتفي
منه بتذكير الملم بتاريخ سورية الحديث بتلك الحركة العربية التي حدثت في سورية
أيام كان مدحت باشا زعيم الترك الأكبر واليا عليها فانهم يتذكرون ان اللبنانيين
كانوا في طليعة العاملين، وبرهاننا على هذا قصيدتا اليازجي البائية والسينية

لأجل هذا كان سكون العرب العثمانيين وسكونهم في الاجيال الاخيرة التي
تحركت فيها عصبية الاجناس وهبت لطلب الاستقلال مثارا لعجب من لم يعرف
سبب ذلك السكون من العقلاء،

اتهام الترك للعرب

كان الترك يتهمون العرب بالميل إلى الاستقلال دونهم والسعي لذلك وانه

لا يمنعهم منه الا ضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك . وقد ذكرت في مقالات (العرب والترك) التي كتبتها في الآستانة ونشرتها في جرائدها ثم في المنار اني لا أعرف لهذه التهمة أصلا الا ما كان من اقراء جواسيس السلطان عبد الحميد وطلاب المنافع عنده أو استقلال أوهامه ، بل أقول ان هذه التهمة لم تكن ممتولة في عهد السلطان عبد الحميد لان النهوض بأمر الاستقلال اما ان يكون من جانب الامة بما تتوصل به اليه من الجمعيات السياسية والمصائب المسلحة ، ولم تتصد الامة العربية لذلك البتة - وإما ان يكون من جانب الامراء المستقلين بالادارة في بعض الاقطار أو من دونهم من الزعماء أصعاب العصبية ، ولم نعلم ان أحدا من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء في الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موصفا لهذه التهمة اذ لا توجد شبهة بعتمد عليها في ذلك . الا ان المفسدين كانوا يتهمون خديو مصر عباس حلمي باشا بذلك فكان يُسمع لهم لان مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الاخيرة (محمد علي باشا) لحرب الدولة العثمانية فقهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل في الاناضول ولولا الدولة الانكليزية لاستولى على سائر مملكتها ، ولكن عباس حلمي باشا لم يكن ليطمع بمثل ما طمع به جده الاعلى ، بل ولا بمثل ما كان يطمع به جده الادنى (اسماعيل باشا) من الاستقلال السياسي بمصر والسودان فقط لمكان الاحتلال الانكليزي الذي جعل السلطة الفعلية في مصر بيد انكلترة دونه ، ولهذا كان الموسوسون والجواسيس يزعمون أنه على اتفاق مع الانكليز في هذا الامر ، وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ، ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب (عباس حلمي الثاني) لورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق لا يرجى معه اتفاق .

ان المطلعين على الحقائق يعلمون علم اليقين ان عباس حلمي باشا ما كان يسعى لهذا الامر ولا يرجوه ، على انه كان يعلم انه لا سبيل له اليه لو تصدى له ، ويعلمون ان من سياسة انكلترة التقليدية بقاء ما للترك من السلطان والسيادة على بلاد العرب وترجيح ذلك على تأسيس دولة عربية جديدة ، وهي لم تنجح الى سياسة العطف على العرب واظهار الميل لمساعدتهم على الاستقلال الا بعد وقوع الحرب بينها وبين الترك بمدة طويلة .

أما أمراء جزيرة العرب فقد كان كل منهم راضيا بحاله ولم يكن يخطر ببال أحد منهم أن يعتدي على الدولة فيما وراء حدود امارته ولا أن يسعى لذلك بالاتحاد مع غيره، كما انه لم يكن يسهل على أحد منهم أن تعتدي الدولة على استقلاله أو تحدث في بلاده حدثا ما، لما استقر في أنفسهم من غريزة الاستقلال الموروثة في الامة العربية مع عدم ثقة أحد منهم بأن الدولة تقيم شرع الله في بلادهم، على ان للزيدية دولة أقدم من الدولة العثمانية ما زالت تنصب الأئمة من قریش عليها ويمتقدون ان الترك من البقاة الخوارج على الامام الحق، وأهون اعتقاد سائر عرب الجزيرة في حكام الترك انهم ظلمة فسقة مبغضون للعرب. ولكنهم مع ذلك يحجون بقاء الدولة ويتمنون لها القوة والمظنة لأجل صد الافرنج عن البلاد الاسلامية. وقد كان رجال الدولة في العهد الاخير يعتقدون أن الشيخ مبارك الصباح من أشد العرب عداوة للدولة ولكنني لما لقيته سنة ١٣٣٠ منصرفي من الهند أخبرني بما لقيه من عدوان الدولة عليه وتصديها لنفيه من الكويت وان انكلترة منعته من ذلك بدون طلب منه وانه مع ذلك محافظ على نسبه اليها ورافع لعلمها باختياره ولو شاء لاستبدل به غيره، ومن كلامه في الترك والعرب « نحبه ولا يحبونا »

وأما كبراء العرب في ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصبا للترك من الترك أنفسهم حتى كانوا يفضلونهم على العرب ويسترون ما يعرفون من سيئاتهم، ويكبرون الصغير من حسناتهم، بل يذكرون لهم فضائل ومناقب لا يعرف لها أصل، منها انهم يعدون بعض ملوكهم من الاولياء ومؤرخو الترك يعدونهم من الفساق. ومما كانوا يذيعونه بين العامة أن الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد الغني النابلسي قد علما بالكشف أن ملكهم يبقى الى قيام الساعة.

تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والعامة تبم لهم، لم يسمع لاحد منهم نبأ ظاهرة ولا دعوة خفية الى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل في البلاد، اللهم الا ما كان قد قيل من أن شيعة الماسون كانت تسعى لجعل الامير عبد القادر خديويا لسورية، وما قيل في عهد ولاية مدحت باشا على سورية من انه كان هو الذي يسعى لجمع كلمة المسلمين وغيرهم للاتفاق على

تأسيس امارة عربية في سورية كالامارة المهرية يكون هو الخديو عليها ، ومن أن
رستم باشا متصرف لبنان الاجنبي الاصل كان هو الذي كشف للدولة دسيسة
شيخ احرار الترك وزعيمهم الاكبر ، وترتب على ذلك اخراج السلطان عبد الحميد
لمدحت باشا من سورية ، وقبل ان تلك الحركة كانت مدبرة بدسائس الاستانة
ليتوسل السلطان بها الى نفي مدحت باشا ثم الفتك به . وفي تلك الاثناء نشرت
قصيدتا الشيخ ابراهيم اليازجي السنية والباثية (راجع ص ٨٣١ م ١٢)

ولما كنت أنشر في الاستانة مقالات (العرب والترك) وأشرت فيها الى هذه
المسألة جرى بيني وبين الصدر الاعظم حسين حامي باشا حديث في هذا الموضوع
قال لي في أثنا انه اقام في سورية عدة سنين أيقن في أثناها بأنه لا يوجد فيها أحد
من وجهاء المسلمين يكره الدولة الا بعض الافراد من بيت المؤيد ومن بيت الصلح ،
ومائر الوجهاء مخلصون للدولة كغيرهم . ولا أدري من غنى بقوله ذلك . ولم أعلم عن
أحد من المعاصرين لنا من أهل هذين البيتين شيئا يبين المراد لنا من قوله ، الا أن
أحد أفراد البيت الاول كان قد جاء مصر في أوائل عهد مجيئي اليها وأسس جمعية
دينية يشترط في أعضائها ترك المحرمات والمحافظة على أداء الفرائض وقد ساعدته
على ذلك ولم أكن أسمع منه كلمة تشعربأن له غرضا سياسيا منها وقد أفادت الجمعية
فائدة دينية ظاهرة ، ثم انشق عنها عضو مصري تركي الاصل زاعما ان للمؤسس
غرضا سياسيا منها وتبعه على هذا جماعة من أعضائها في القاهرة صاروا يلفطون بذلك .
ثم ان المؤسس سافر الى الاستانة ثم عاد الى سورية وأقام فيها . ولو صدق السلطان
عبد الحميد انه كان يسعى الى تلك الغرض السياسي لما أفلت من قبضة انتقامه .
وانما اتهمه بعض الناس بأنه تعمد القاء كلام لاولئك اللاغطين لبشهر ويوصله
الجواسيس الى السلطان

هذا كل ما نعلم عن سورية في هذا الامر . وأما العراق فقد قيل ان السيد
سلطان القادري تقيب بغداد كان يسعى الى تأسيس حكومة عربية وان طلب السلطان
عبد الحميد ان يوافق على ذلك .

من الاجناس الذين تتألف منهم المملكة العثمانية انهم فازوا بما جاهدوا في سبيله الى أن قلب لهم المتغلبون على جمعية الاتحاد وعلى الدولة ظهر المحزن وأوقعهم في هوة اليأس من الدولة

السبب الصحيح

تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدي العرب لانشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة كما كان يتوهم الترك فان العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرهما من الشعوب التي انفصلت من السلطنة العثمانية وصارت دولا مستقلة، ولم يكن سببه تفرق العرب وتمذر اتفاق امرائهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم ومن غيرهم فلو وجد هذا القصد لكان هو الجامع لهم، ولا الجبل الضارب بجرانه في البلاد العربية فان محمد علي الكبير لما غزا الدولة وكاد يفتحها كلها لم يكن من علماء السياسة والاجتماع ولم يكن الشعب المصري على درجة عالية من العلوم والفنون التي تدفع الشعوب الى الفتح والاستعمار

وانما كان السبب الصحيح اسكونه العرب وبكونهم عندهم طلب استقلالهم وتحرير دولتهم هو الاسرار وأوربة

دين الاسلام وسياسة دول أوربة سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئيه تأثير خاص في صرف العرب العثمانيين عن السعي للاستقلال، واماله لو انفراد أي منهما لما صرفهم كلهم عن كل سعي واستعداد لذلك

أما الاسلام فقد أزال من أنفس العرب عصبية الجنسية الا من غلبت عليهم البداوة فانهم بما توارثوه من الفرائز والاخلاق لا يخضعون الا لسلطة رؤسائهم الذين من أبناء جنسهم بل من رؤساء عشائهم. وأما من غلبت عليهم الحضارة فما زالوا يألفون سلطة الاعاجم من الملوك والسلاطين الذين يتولون أمرهم من قبيل الخلفاء العباسيين ويحكمون بشريعتهم ويؤيدون اقتهم ويتبركون اقاتهم اليها الى ان هان عليهم الخاضوع لسلطة الاعاجم المهرين على أعجبيتهم الذين لا يستمدون سلطتهم من خليفة قرشي عربي وهم الترك، بل هان عليهم ادعاء هؤلاء الاعاجم للخلافة

النبوية ورضوا بذلك وإطاعوا له لانه مع اشرافه على مجموعهم المتفرق من شاطئ القوة العسكرية، قد أطل على قلوبهم من سماء الفتاوى الشرعية، ونسرب الى أفكارهم من باب المصلحة الإسلامية، ذلك بأن أكثرهم من المنتمين الى مذاهب علماء السنة الذين يوجبون طاعة المتغلب بالقوة، وإن لم يكن حائزا لقب الاسلام من شروط الخلافة الشرعية، ومنها النسب القرشي باجماعهم، ومستندهم في ذلك رعاية المصلحة الراجحة وخوف الفتنة. على انهم مختلفون في عد رعاية المصلحة حجة، أو داخلة فيما ذكروه للقياس من مسالك العلة، ومختلفون في سد الدرائع أيضا. ولما كانت الزيدية لا تقول بطاعة المتغلبين، ولا بمصلحة تبيح ترك اشتراط النسب القرشي العلوي وشرط العلم الديني في أئمة المسلمين، (أي الخلفاء) لم يخضعوا لسلطان الترك ولا دانوا لحكمهم، بل ظلوا ينصبون الأئمة الحائزين للشروط الشرعية في مذهبهم، ويقاثلون الترك الذين يتصدون لفتح بلادهم، ولم تستطع الترك ان تغلب أئمة اليمن على أمرهم، بل صالحوا إمامهم الامام يحيى منذ سنتين قليلة وأقروه على امامته في قومه ووطنه بعد أن حاربوه وحاربوا سلفه أربع مئة سنة، على ان الامامة لا تتجزأ ولا تعدد. والحق ان الباعث الاخير لاعتراف أكثر المسلمين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسوا حصنا لبقية البلاد الإسلامية في وجه أوربة

وليس من غرضنا هنا أن نبحث في الخلافة وشروطها وإنما بحثنا هذا تاريخي اذا ذكرت فيه مسألة شرعية فانما تذكر على سبيل الاستطراد مختصرة بقدر الضرورة، ولم تكن مسألة الخلافة من مواضع بحث طلاب الاصلاح من العرب في السنين الاخيرة خلافا لواهام الواهين التي أثارها في مخيلاتهم لفظ بعض الكتاب بها في عهد السلاطان عبد الحميد لاجل استغلال وساوسه كما تقدم حتى صارت حكومته تمنع نشر كل كتاب من كتب الكلام والعقائد والحديث والتفسير تذكر فيه هذه المسألة. ومن أثر ذلك انه لما طبع كتاب المسيرة للكمال ابن الهمام وهو من أهم كتب العقائد عند الحنفية وكثير الرواج في الآستانة اضطر طابعه بمصر ان يطبع منه نسخا حذف منها بحث الامامة (الخلافة) لاجل بيعها في الآستانة وسائر البلاد العثمانية. وصار بعض الجاهلين في مصر يظن أن ذكر الشروط الشرعية للخلافة ولا سيما شرط النسب القرشي لا يصدر الا من عدو

للدولة وللإسلام أيضا. على أن هذا الشرط مذكور في الكتب العربية والتركية التي طبعت في الأستانة قبل تشديد الحكومة الجديدة في مراقبة المطبوعات وقد ذكر في بعض الكتب المصرية التي طبعت بعد الدستور ومنها كتاب لاسماعيل حقي بك بابان الاتحادى الذي كان مدرسا في مكتب الحقوق وصار ناظرا للمعارف تكوين الترك للعصبة العربية

فهذا وجه صد الإسلام للعرب عن محاولة الاستقلال دون الترك ، وقد قلت مرارا انه لا يقدر أحد على إعادة هذه العصبة الى العرب أو إعادتهم اليها بعد ان أهدم الإسلام عنها الأستانة أو تحامل الترك عليهم بإعاث العصبة التركية. (١) وقد صدق الزمان هذا القول . وأسس الاتحاديون بعصيتهم التركية واضطهادهم للعرب بناء العصبة العربية أو أحيوها بعد موتها . فان هؤلاء الاتحاديين قد نمرسوا برجالات العرب وشبانهم في الأستانة وغيرها فعملوا من أقوالهم وأفعالهم في دور الحكومة الرسمية ومدارسها وأندية الجمعية في البلاد العربية أن عزمهم على تترك العرب كغيرهم بالقوة عزم ثابت لا يرجعون عنه وأنهم جازمون بسهولة تترك بلاد سورية والعراق في سنين معدودة وما يعسر تتركه الآن من جزيرة العرب يعد من المستعمرات يوضع له قانون خاص لإدارته ولا يكون لأهله ما لساائر العثمانيين من الحقوق المنصوصة في القانون الاساسي . وقد أرسلوا طائفة من طلبة الترك الى أوربة لاجل درس قوانين الاستثمار

بهذا علم نبهاء العرب أن أمتهم ولقمتهم عرضة للزوال من المملكة العثمانية — ولا يجهل أحد ان الدين الاسلامي يقوى بقوة لفته العربية ويضعف بضعفها ولا نقول أكثر من ذلك -- فتوجت قلوب كثير منهم لتدارك الخطب وألفوا بعض الجمعيات لذلك ورأى الذين يتحرون هدي الإسلام في أعمالهم أن ما كان مانعا من إحياء الجنسية العربية قد زال وخلفه المقتضي لأحيائها، فقد كان المانع من ذلك اتقاء الشقاق

(١) أذكر أنني كتبت هذا غير مرة في المنار ولاسكنني لا أتذكر من مواضعها الا ما في ص ٢٥٢ و ٢٥٣ من المجلد الثالث عشر والعبارة فيه تدل على أنها مسبقة، والا ما في ص ٨٠ من المجلد التاسع عشر

بين العرب وترك واقضاء ذلك الى زوال الدولة واستيلاء الاجانب على بلادها ، وقد وقع ذلك من قبل الاتحاديين أي من قبل الدولة نفسها لاجلها في قبضتهم فلا معنى لاعتائه وقد حصل ، وخلفه المتغني لاجلها هذه الجنسية وهو وجوب المحافظة على الامة العربية والامة العربية شرعا . ولكن هذا قد يحصل بما دون استقلال العرب بأنفسهم دون الترك وان كان حصولا ضعيفا فلم يكن باعثا على السعي الى تأليف دولة عربية بل الى طلب اصلاح اضرب في تحديده أفرادهم وجماعاتهم وكان حرب اللامركزية أقصدها وأشدّها اعتدالا

وما كان يحق على أحد من هؤلاء أن مطالبهم مطلقة بين الرجاء واليأس وان الحياة إنما هي حياة الاستقلال لانحيا الامة ولا تترقي الامة بدونها ، ولكن دونها خرب القاد ، اذ لا تحصل الاثيرة يصطدم بها الترك والعرب اصطداما يخشى أن يصف الفريقين ويقتضي بزوال الدولة واقسام أوربة لبلادها . ومن ذا الذي يقدم على حل هذه التبعة التي تنط من حلها الجبال الرواسي ؟ أيجمل أحد من طلاب الإصلاح العرب أن عدم آخر سلطة اسلامية هما يكن سبه الحامل عليه لا يتب السعي اليه والقائم به الا لمن مثت الملايين من المسلمين الى يوم الدين ؟ لهذا أجمع طلاب الإصلاح من العرب الذين يتد برأيهم ، ويرجى تأثير عليهم ، على ان لا يكونوا سببا لقرط الدولة وزوالها . ولا يسعوا الى ضررها ولا الى اضافها ، وعلى أن يجعلوا همهم في اصلاح أنفسهم ، وعمارة بلادهم ، مع التصح للدولة والاختلاص لها ، وطلب حقوقهم التي أجتها لهم القاتون الاساسي فيها ، ليرتقوا ويمتروا بأنفسهم فلا يقتلوا مع الدولة ن سقطت عتت الدولة وترقي بارتقائهم ان بقيت ، وأن يكون جل سعيهم الى ذلك في مجلس الامة بواسطة مبعوثهم

ثم طرأ على بعضهم اليأس من بقاء الدولة وقوي ذلك وكثر التفكير في مراقبه عند مطلب البقائون الدولة في الحرب وكلفت دولة البطار التي تم لها استقلالها في عهد الدستور تنجلي على الآسنة ، وتحدثت جرائم أوربة بمقوق بعض الدول الكبرى في بلاد الدولة ونحى بالذكر بعض الولايات العربية ، وطقن المفكرون يتاحي بعضهم بئنا : ملجأنا اذا أهدت دولة قومية على الاستيلاء على بلادنا كما استولت

إيطاليا على طرابلس الغرب وبرقة وليس فيها شيء من أسباب الدفاع ولا يمكن الدولة ولا مصر أن تساعدتها على مقاومة المحتلين كما ساعدتهما ،

صدعهم هذا اليأس بعد أن قوي رجاؤهم في الدولة بانتصار حزب الحرية والائتلاف على حزب الاتحاد والترقي وانتزاعه السلطة التنفيذية من يده ، ثم قوي ذلك اليأس واشتد بثورة الاتحاديين على وزارة كامل باشا وقتلهم لناظر الحرية في الباب العالي وتآليف وزارة جديدة منهم بقوة الثورة ، ولولا أن زعماء العرب كانوا مجمعين على المحافظة على الدولة مهما تكن حالها ، لبادروا عند ذلك اليأس الشديد إلى اضرام نار الثورة على الدولة والجهر بالاستقلال دونها ، لعلمهم بأنه لم يبق عندها في ذلك الوقت سلاح ولا ذخيرة تدافع بهما عن عاصمتها ، فكيف تقدر على مجريد عسكر بمحمد نيران الثورة في البلاد البعيدة عنها ؟ ولكنهم لم يفعلوا ، ولم يكن الاسلام هو المانع لهم من التصدي لتأسيس دولة عربية وهم يائسون من بقاء الدولة التركية ومن اقامتها للإسلام أن بقيت والاتحاديون غالبون على أمرها ، فإن افتاء مذاهبهم بوجوب طاعة المتغلب خوف الفتنة التي ترجح مفسدتها على المصلحة لم يعد ينطبق على حالتهم مع الدولة ، ولكن المانع الحقيقي هو الخوف من أوربة أن تغتنم الفرصة وتستولي على البلاد فتبين بهذا أن ما كان يصد زعماء العرب من المسلمين عن التصدي لتأسيس دولة عربية أمران : الاسلام والخوف من أوربة ، وكان الرجحان في بعض الاحوال للاول وفي بعضها للثاني ، ولكنهما كانا في عامة الاحوال والاوقات مانعا واحدا أو سببا واحدا مركبا من أمرين كل منهما يقوي الآخر

وبعد حرب البلقان أقدمت الحكومة الاتحادية على عقد الاتفاق بينها وبين الدول الكبرى على الاعتراف لها بالنفوذ الاقتصادي في أعظم الولايات العربية ليقترضها عشرات الملايين من الجنيهات ، وصرح بعض كبار السياسيين في جرائد أوربة بأن مناطق النفوذ الاقتصادي تتحول إلى مناطق نفوذ سياسي عند سnoch أول فرصة لذلك ، فثبت عند زعماء العرب أن الاتحاديين شرعوا في تنفيذ ما هددهم به من بيم بلادهم وترقية الترك بشمها كما فعلوا ببيع طرابلس الغرب وبرقة ، فاشتدت هزعتهم على طلب الإصلاح وعقدوا المؤتمر العربي في باريس لذلك فذهرت الحكومة

الاتحادية وبلّأت الى الحيلة والخذاع لضعفها في ذلك الوقت وكان من أمر نتيجة المؤتمر ما هو معلوم من اعتراف جمعية الاتحاد ثم حكومتها ببعض حقوق العرب في الدولة ووعدّها باعطائهم تلك الحقوق بالتدريج وخذاعها للسيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر وتصديقه إياها بما وعدت به

الحرب الأوربية واستقلال الحجاز

ثم ظهرت بوادر الحرب الأوربية وعزم الدولة على الدخول فيها فبادرت الى كتابة مقالة نصحت فيها لآخواني العرب بالكف عن طلب لاصلاح في حال الحرب وتأبيد دواتهم بالاجماع فكان لها تأثير عظيم. ولكن الاتحاديين لما دخلوا في الحرب وجعلوا الاحكام في المملكة عسكرية عرفية جعلوا ذلك وسيلة للتنكيل بالعرب والارمن حسب خططهم المقررة منذ سنين فصاروا في سورية جميع من عرفوا من المطالبين بالاصلاح من نابغي العرب ونفوا من البلاد ارباب البيوتات والاروة الكبيرة وصادروا اموال الناس وغلات ارضهم، وفعلوا مثل ذلك في العراق، ثم تفرشوا بالحجاز فبادر الشريف امير مكة المكرمة الى اعلان استقلال الحجاز بعد النصح لجمال باشا الحاكم العسكري الاتحادي المطلق في سورية والحكومة الآتية بالكف عن الفظائع في سورية والعراق فلم يقبل نصحه، وانتهى أمر الشريف باعتراف دول الحلفاء باستقلاله التام وبما بآبعه به أهل البلاد من جعله ملكا عليهم

وقد نشر الشريف قبل المبايعة منشورا بين فيه سبب قيامه مع الحجازيين بما قاموا به ففهمنا منه انه كان موافقا لما أجمع عليه من دونه من زعماء العرب من الرغبة في المحافظة على بقاء الدولة واتقاء ان يكون زوالها أو ضعفها من قبل العرب، فان استقلال الحجاز الذي أنتجته الضرورات لا يمكن ان يكون سببا لزوال الدولة وهي داخلة في أحد الحلفين اللذين انقسمت اليهما دول أوربة الكبرى. فان النصر لأحد الحلفين على الآخر انما يكون بانتصاره عليه في أوربة، واستقلال الحجاز لا يقدم في ذلك ولا يؤخر، ولكنه افاد العرب فوائد عظيمة فصدق عليه قولنا إما ان ينفع نفعا كبيرا أو ضغيرا واما ان لا يضر. وقد ثبت عندنا ان استقلال الحجاز كان سببا لكف الاتحاديين عن محاولة ابادة العرب من سورية والعراق الآن وتخفيف ما كانوا شرعوا

فيه من المذابح والفظائم وكان هذا من أجل منافع التي تربي على ماترتب عليه من سفك الدم الذي اجتمعت الحكومة العربية الحجازية في اجتهابه بقدر الطاقة

عاقبة العرب استقلال الشعوب

ثم طرأ بعد استقلال الحجاز أن أعلن دول الاحلاف أنهم قد اتفقن على حرية الشعوب واستقلالها في أمر حكومتها وذكروا العرب والأرمن منها. وهذه قاعدة عادلة عظيمة الشأن اذ انفذت على وجهها الصحيح وكانت الدول كلها متضامنة في حفظها بما يتعاهدن عليه في مؤتمر الصلح، وأولها بعضهم بمعنى أن لا يحكم شعب الا بالطريقة التي يختارها لنفسه، ولكن الوقوف على آراء الشعوب المغلوبة على حريتها متعذر في هذه الاوقات التي تخضع فيه للاحكام العسكرية، وقد علمنا ممن فر من سورية والعراق الى مصر والحجاز ومن أسراهم بمصر ان العداء بين العرب والترك قد عم وعمكن فلامطامع في زواله ولم يبق في العرب من لا يرغب في الاستقلال دون الترك. ومن البديهي انه لا يوجد شعب في الدنيا يختار على الحرية والاستقلال شيئا إذا تيسر له، ولكن يوجد في كل أمة أفراد من عبيد المال، ومن الجاهلين الذين يخدعون بزخرف الاقوال، فيمكن أن يستخدم من هؤلاء وأولئك بالترغيب والترهيب طائفة تقول ما تؤمر أن تقوله، ولا يمكن أن يكون اختيار هؤلاء للعبودية بتسميتها بغير اسمها حجة على الشعب، ولكن القوة تحتاج إلى الضعف بما تشاء، وانما يعرف رأي الشعوب في بلاد الحضارة من قبل أحزابها السياسية، وليس للشعب العربي اللبناني حزب سياسي عام الا (حزب اللامركزية) ويمكنه أن يبين رأي الشعب ان استطاع زعماءه أن يعربوا عن آرائهم، وله جمعيات موضعية خاصة كجمعية الاتحاد اللبناني بمصر وأمريكة والنهضة اللبنانية في أمريكة فهي تمثل آراء جمهور اللبنانيين. والدول اذا أخلصت في تنفيذ هذه القاعدة تقررها وعند ما يجتمع زعماء كل أمة تنال استقلالاً جديداً لتأخس حكومتها العليا يعرف رأيهم في شكلها، ولا يعرف معرفة صحيحة بغير ذلك. فاذا انتهت الحرب بذلك كانت عاقبتها على البشر خير العواقب. والله الموفق

مسألة استقلال الشعوب

نشر المقطم في العدد الذي صدر منه في ٢٣ شبان (١٣ يونيو) مقالة عنوانها (الصلح الدائم وكيف ينال) قال فيها ما نصه :

وضعت روسيا الديمقراطية على بساط البحث مسألة الغرض من الحرب الحاضرة في أواسط الشهر الماضي فحملت الدول المتحاربة على اعلان قصدها وغايتها وحشت الامم الكبيرة والصغيرة على بساط آمالها وأمانها، وكانت روسيا أولى الدول التي أعلنت غايتها من الحرب فقالت انها لا تتوخى ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية وان غرضها الاساسي الوحيد انما هو ابرام صلح وطيد لاركان على اساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة وتحقيق آمها القومية العادلة ونحوها حقاً من اقدس حقوقها وهو ان تحكم نفسها بنفسها وتختار شكل الحكومة التي تلائم اخلاقها وعاداتها . وقام الميسوريو بعد ذلك فأعلن رغبة فرنسا في ابرام صلح عادل أساسه استقلال العناصر . ثم وقف في مجلس النواب الفرنسي وتفته التاريخة المشهورة فجاهر في جلسة ٤ يونيو الحالي بأن فرنسا لا ترمي من هذه الحرب الا الى استرجاع الازاس واللورين اللتين سلختا عنها سنة ١٨٧١ رغم ادارة سكانهما ومنح الامم الكبيرة والصغيرة الاستقلال التام . ووافقت بريطانيا العظمى على قرار حليفتيها العظيمتين اذا كان مبدأ عدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية يعني رد المسلوب والتعويض من الخسارة التي نزلت بالامم التي اعتدي عليها

وقد وافانا روتر أمس بنص المذكرة الكبيرة الشأن التي أرسلها الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الى روسيا وبين فيها أغراض أميركا من هذه الحرب فقال « انها لا تروم الربح المادي ولا التوسع ولا تقاتل لجر منم ولا تكن اتحرير الشعوب في كل مكان ومساعدتها على النهوض والارتقاء في ظل الاستقلال من غير تسلط منسلط عليها، وان المشاكل الحاضرة يجب ان تسوى طبقاً لمبدأ واضح جلي وهو انه لا يصح اجبار شعب من الشعوب على ان يعيش في ظل حكم لا يريد ولا إجراء تعديل في الكون الا في ما يؤدي الى توطيد أركان السلام وسعادة الامم فيصير

[الناشر: ج ١ م ٢٠] مذكرة أمريكية في الحرب . غرض روسية من الحرب ٤٩

أخاء البشر حينئذ حقيقة واضحة وقوة فمالة لصون الحياة من اعتداء المستبدين
وطمع الطامعين »

هذه غاية الولايات المتحدة من الحرب وذلك هو الغرض الوحيد الذي وضعه
الحلفاء كلهم نصب عيونهم وأعلنوا غير مرة عزمهم الاكيد على الوصول اليه مهما
كلفهم الامر وبديهي أن الولايات المتحدة لم تخض غمار الحرب الحاضرة الا بعد
ما اتفقت مع الحلفاء على تحقيق هذا المبدأ الشريف العادل فان المسيو بوريان رئيس
الوزارة الفرنسية سابقا أرسل اليها باسم الحلفاء جميعهم مذكرة مسببة في ٣ ديسمبر
الماضي قال فيها أن للحرب الحاضرة ثلاثة أغراض (أولها) اعطاء الامم الكبيرة والصغيرة
حريتها واستقلالها (وثانيها) نيل التعويض من الخسارة التي نشأت عن اعتداء ألمانيا
الفظيعة (وثالثها) الحصول على ضمان واف لمنع وقوع الحرب في المستقبل
على هذا الاساس . ثم الاتفاق بين الحلفاء والولايات المتحدة ومن أجل هذه
الغاية الشريفة فقط بذلت أمريكا رفاهية شعبها والاموال الطائلة التي كانت تنال
عليها من أوربة . فالمجد لها والفخر لرئيسها العظيم نصير الانسانية وحامل لواء الحرية
والعدل في العالم اه

وجاء في المقطم الذي صدر في ٢٤ شعبان (١٤ يونيو) مانصه :

خطة روسية

دعا وزير خارجية روسية مندوبي الصحف الى مقابلته و بسط لهم خطة روسية
الحاضرة وقال ما خلاصته :

ترمي روسية الجديدة الحرة الى ابرام الصلح العام في أقرب آن على أساس
تحرير الامم ونحو يلها حق انتقاء شكل حكوماتها وعدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات
الحرية من الاعتداء ، وهي تتوخى من مواصلة الحرب أمرين (أولها) الحصول على صلح
شريف يزيل الضغائن والاحقاد من بين الامم المتحاربة (وثانيها) استقلال الشعوب
استقلالاً تاماً وجعلها قوة عظيمة لصون الحرية ومنع اعتداء المستبدين في المستقبل .
ان الخطأ الذي ارتكب في حرب السبعين لا يجوز أن نرتكب مثله اليوم ، فكلنا
الالزاس واللورين الذين صلخوا عن فرنسا رغم ارادتهم لم يفسوا وطنهم الاصل الى
(الناشر: ج ١) (٧) (المجلد العشرون)

الآن وكانت مسائلهم من أهم اسباب الحرب الحاضرة لان الظلم لا ينسى مهادنهم
عهده . لذلك ترى روسية الحرة أن تشيد الصلح المقبل على أساس العدل وحرية
الشعوب الكبيرة والصغيرة

لأنك ان الحكم السابق ارتبط بمعاهدات سرية مع بعض الدول وأن هذه
المعاهدات أفلقت الديموقراطيين الروس لاعتقادهم بأنها ترمي الى التوسع وضم الاملاك
فألحوا على الحكومة الموقفة في نشرها في الحال خوفاً من وقوع الشقاق بين أحزاب الامة
ولكن هذا الطلب لا يتفق مع مصلحة روسية لانه يؤدي الى قطع صلاتها بحلفائها وكرهاها
على ابرام صلح منفرد مع عالمها أن الصلح الوحيد الذي يلائم مبادئها هو الصلح العام على
أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة استقلالاً تاماً ، فالواجب على روسيا في هذه
الحال أن تنسى الماضي وتنظر الى المستقبل فقط بعد الانقلابات العظيمة التي طرأت
على الكون كالثورة الروسية ودخول الجمهورية الاميركية المظمية في الحرب . وهذه
الانقلابات ستؤثر أعظم تأثير في ديمقراطية الامم المتحالفة ولا سيما ان صلاتها بممثلي
تلك الديمقراطية على أحسن مايرام . وبديهي أن مهمتي الاساسية في وزارة الخارجية هي
التوفيق بين الديمقراطية الروسية وديمقراطية الامم الغربية على أساس يكفل تسلم للعالم .
ولكن تحقيق هذه المهمة يتعذر علينا اذا أحجمنا عن القيام بالجهود التي قطعناها لحلفائنا
أما مسألة ضم الاملاك فلا نخطر على بال أحد منا وليست للمعارك التي نخوض
غمارها الآن الا معارك دفاعية ترمي الى طرد العدو من البلاد التي احتلها في روسية
والبلجيك وفرنسة وسربية ورومانية وفيل الامم الكبيرة والصغيرة حريتها واستقلالها
هذا كل ما أستطيع أن أقول الآن عن غرض روسية والخطة التي تنهجها
لتحقيق آمالها وأمانها ، انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في يوم السبت ١٨ رجب (١٩ مايو)

غرض بريطانيا العظمى من الحرب

لندن في ١٧ مايو

ان الخطبة التي خطبها اللورد روبرت سسل في مجلس النواب في الليلة البارحة

تعد هنا وفي سائر بلدان الحلفاء من أهم ما قيل في بيان غرض بريطانيا العظمى من الحرب

فتح المستر سنودن باب المنقشة ورد اللورد روبرت سسل عليه فقال ان عبارة « عدم الضم » راجت كثيراً وتناقضها الافواه . ثم شرع بطرق أبواب هذا الموضوع باباً فباباً واستمر إلى البحث بذكر بلاد العرب فقال ليس في الدنيا رجل يشعر علينا بأن نذل نفوذنا لرد بلاد العرب إلى تحت سلطة الاتراك (هتاف) ثم ان أعظم ضم لأرمينية بأوسع معنى السيادة والامبراطورية يفيد شعبها الذي على الولايات والنكبات بما اقترفه الاتراك به من الجرائم وما يقال عن أرمينية يقال مثله عن سورية وفلسطين

ثم انتقل إلى الكلام عن مستعمرات ألمانية في أفريقية فقال اننا لم نهجم على تلك المستعمرات لتتخذ أهلها الاصلين من سوء الحكم ولكن أنريدون ان نهجم إلى ألمانية بعد ما اتقذناهم منها ؟ فتهف المجلس لهتافاً شديداً لما قال: ان بدني يتشعر اذا فكرنا في رد أولئك الوطنيين إلى حكم الحكومة التي ارتكبت بهم ضروب القسوة وماذا أقول عن بولندا وهل فيكم من يعرض على إنشاء مملكة بولندية مستقلة. وماذا أقول عن الازناس والهورين وهل من يقول (؟) ان ألمانية بعدما أخذت ولايتين من فرنسة لا يجب ان تردهما اليهما (هتاف) . وعندنا أيضا الولايات الايطالية الداخلة في حكم النمسا فهل توافق الحكومة البريطانية على عدم رد هذه الولايات إلى ايطالية وسكانها من الايطاليين

ثم طرق اللورد روبرت باباً آخر من أبواب الموضوع وأشار إلى عبارة « عدم هدد الصلح مع آل هوهنزرن » فقال ان في هذه العبارة كثيراً مما يستصوب وهي مقبولة عند عامة البريطانيين ولكن الفطنة قد تقتضي بعدم اتخاذها قاعدة لتعريف سياستنا الوطنية

قال وقد سمعنا البعض يقولون « لاغرامة حرية » فهل يراد ان لا تعطى البلجيك غرامة؟ وماذا يكون نصيب سربيا وولايات فرنسة الشمالية؟ وهل يسعنا ان نفرض عن تعويض ما دمر من البواخر التجارية؟ أما أنا فليست مستعداً للموافقة على ذلك

وعقبه المستراسكويت فخطب خطبة كان لها وقع عظيم فقال ان عبارة « عدم
الضم » التي وردت في بعض التصريحات الروسية لم تفهم تماماً لعدم وجود مصمم
واف للغة السياسة الدولية ولكني لا أعتقد أن زعماء روسية وحكامها المسؤولين
استعملوها بغير المعنى الذي نعلم به نحن .

ولكن لضم البلدان أربعة معان مختلفة يمكن استعمالها لها (فالمعنى الاول) ان
هذه الحرب اذا اريد ان تؤدي الى صلح وطيد الاركان فيجب ان تسفر عن ضم
بعض البلدان لتعبر بر الشوب الراسفة في قيود الظلم واغلال الاستبداد (هتاف)
وهذا أمر مشروع والا فان الاغراض التي امنشتنا لاجلها الحسام في هذه الحرب
لا تنال أو ينال جانب منها قط الا اذا قام الحلفاء حق القيام بعمل هذا التحرير
بضم البلدان (هتاف) قال واني واثق ان رجال حكومة روسية الجديدة لا يحتاجون
على ضم البلدان اذا كان هذا هو الغرض منه

(والمعنى الثاني) يسري على البلدان التي تحوي جنسيات فصلت عن اصولها
مثال ذلك بلاد الترتينو فضمها (الى ايطالية) ضروري لراحة ضمير العالم
المتمدن (هتاف)

ثالثا (كذا) ان الضم قد يكون من الامور المطلوبة لنقل ملك أو أرض لاجل
الاحتفاظ بمواقع حربية تكون ضرورية لا للهجوم بل للدفاع ووقاية البلاد من
هجوم في المستقبل

ويبقى (الوجه الرابع) أي الضم بمعنى فتح البلدان للتوسع والتبسط للسودد
السيامي بالربح الاقتصادي وهذا أمر لا يلقي شيئا من التأييد في البرلمان البريطاني
ولا في بريطانيا العظمى ولا بين حلفائها (هتاف)

ومضى جلوسا هذا الابهام فهل يبقى خلاف بيتا وبين أصدقائنا ديمقراطيي
روسية على القواعد العامة التي يجب مراعاتها في الكلام عن الصلح ؟
أما أنا فلا أعتقد بوجود شيء من الفرق (اسمعوا اسمعوا) روبر

وجاء في المقلم الذي صدر في ٢١ رمضان (١٠ يوليو) ما نصه :

غاية الحلفاء من الحرب

رد فرنسا وانكلترا على المذكرة الروسية

أرسلت الحكومة الروسية للوفد في شهر ابريل الماضي مذكرة خطيرة الشأن الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها من الحرب وألحت عليهم في اعلان أهراضهم الحقيقية منها . وقد نشرنا للمذكرة الروسية في حينه ورأينا الآن أن نوافي القراء برد فرنسا وانكلترا عليها لما فيه من الدلالة على حسن نيات الحلفاء وسوء مبادئهم ونبيل مقاصدهم وهو الجواب الذي وصل الى بتروغراد في أواخر شهر يونيو الماضي . قالت فرنسا في مذكرتها :

جواب فرنسا عن مذكرة روسية

« اطلمت حكومة الجمهورية الفرنسية بارتياح عظيم على المذكرة التي سلمها اليها سفير روسية في باريس باسم الحكومة الموقرة وشاركها في الثقة التامة بكل ما يتعلق بتحسين موارد روسية الاقتصادية وزيادة قوتها الحربية أو السياسية ثم رأت أن تطن ما يأتي :

« ان فرنسا لم تفكر في استعباد شعب من الشعوب حتى أعدائها الحاليين ، ولكنها تريد أن يزول الخطر الذي يهدد العالم وأن يعاقب المجرمون الذين أضرموا نار هذه الحرب الماثلة وكانوا عارا على أعدائنا أنفسهم ، وهي تترك لأعدائها عواطف الطمع التي امتازوا بها في الحرب والسلم ولا تطلب من البلاد الأماهولها شرعا
« لقد ذهبت مساعي السلبية أحراج الرياح واضطرت الى امتشاق الحسام دفاعا عن حريتها واستقلالها وروعة في اكرام العدو على احترام استقلال الامم . فكما ان روسية أعطت احياء مملكة بولندية القديمة المستقلة هكذا فرنسا تحيي بسرود عظيم كل المساعي الحرة التي تبذلها الامم للتعبدية

« ولا ترمي فرنسا في هذه الحرب الا الى غاية واحدة وهي انتصار الحق والسلم سواء قامت الامم لاعلان استقلالها ووحدةها ولعاده سالف مجدها ومدنيتها أو لقطع نير العبودية من عاتقها وهو الير الذي كان يهدد جميع الامم التي لم تبلغ مغرقة الجرمين من الارهاق الظاهري

« ولا تطالب فرنسا لنفسها الا تحرير الولايتين الفرنسيين اللتين سلخنا عنهما بالقوة وهما الاراس والاورين ولكنها تحارب مع حلفائها الى النصر الذي يعيد اليهم حقوقهم واستقلالهم السياسي والاقتصادي ويعيدهم من الخسارة التي نزلت بهم ويكفل لهم منع كل اعتداء يقع عليهم في المستقبل »
 « وتعتقد حكومة الجمهورية اعتقاداً تاماً كاعتقاد الأمة الروسية ان هذه المبادئ العادلة هي المبادئ الوحيدة التي يجب أن يضعها الخلق نصب عيونهم لابرار صلح دائم على أسامي العدل والحق »
 « فعلى الحكومة الموقته أن تثق ثقة تامة بمبادئ الحكومة الفرنسية وتعلم انها مستعدة للاتفاق معها ليس فقط على التدابير اللازمة لمواصلة الحرب بل على طرق الانتهاء منها أيضاً بشكل يتفق مع الفاية التي خضنا غمار الحرب من أجلها انتهى »

قرار مجلس نواب فرنسا

ثم شغمت الحكومة الفرنسية هذه المذكرة بالقرار الخطير الشأن الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في جلسته التاريخية في ٥ يونيو ونقلته اليها التفرافات الخصوصية والعمومية في حينه [المنار وهذه ترجمته :]

باريس في ٥ يونيو

هذا نص قرار الثقة بالحكومة الذي وضعه مجلس النواب الفرنسي : —
 ان مجلس النواب الذي يدير رأياً عن سلطة الشعب الفرنسي يرسل الى الديمقراطية الروسية وسائر ديمقراطيات الحلفاء التحية والسلام
 ان مجلس النواب يؤيد الاحتجاج الاجماعي الذي قدمه مندوبو الاراس والاورين الملوختين عن فرنسا الى الجمعية الوطنية في سنة ١٨٧١ وبجاءه بأنه ينتظر ان هذه الحرب التي أكرهت ألمانيا المحبة للفتح ساثر بلدان أوربة على خوض غمارها لا تؤدي الى تحرير الولايات التي اكتسحها الالمان فقط بل الى رد الزاس والاورين الى وطنهما الاصلي ونمو بض فرنسا مما أصابها من الضرر والخسارة
 ان مجلس نواب فرنسا لا يفكر في فتح البلدان واخضاع شعوب أخرى ولكنه

ينتظر ان يؤدي جهاد جيوش الجمهورية الفرنسية وجيوش حلفائها الى سحق الريح
المسكري البروسي والحصول على ضمان وطيد لاستقلال الشعوب الكبيرة
والشعوب الصغيرة

والمجلس واثق بأن الحكومة تكفل احراز هذه النتائج بالتعاون المسكري
والسياسي مع حلفائنا — روتر
جواب انكلترة عن مذكرة روسية

وأرسلت الحكومة البريطانية المذكورة التالية الى حكومة روسيا وهي : —
« تلقت الحكومة البريطانية المذكورة التي سلمها اليها معتد روسية في لندن
وتضمنت أهراض روسية من الحرب الحاضرة
« وقد ورد في المنشور الذي أعلن على الشعب الروسي ووصل اليها مع المذكورة
أن روسية لا تتوخى سيادة الأمم الاخرى والاعتداء على أملاكها القومية واحتلال
بلادها بالقوة فالحكومة البريطانية تشارك الحكومة الموقفة في مبادئها وتعلن أنها لم
تخض غمار الحرب من أجل التوسع والفتح وإنما خاضت غمارها في بدء الامر دفاعا
عن كيانها ورغبة في اكراه المعتدين على احترام المعاهدات الدولية ، أما الآن فقد
صار لها غاية أخرى وهي تحرير الأمم التي تشن من جور الاستبداد الاجنبي
« وقد قابلت الحكومة البريطانية بسرور عظيم عزم روسية على تحرير بولندا
التي نجت حكمها الاتقراطية الروسية وبولندا التي تشن من جور الاستبداد الجرمانى
قائد مقراطية البريطانية تحيي روسية وتتمنى لها النجاح في هذه المهمة من صميم قوادها
« ويهمنى قبل كل شئ أن نجد طريقة حسنة لحل المشاكل الحاضرة حلا يكفل
للأمم سعادتها وهناءها ويستأصل جرائم الحروب المقبلة من العالم
« والحكومة البريطانية تنضم الى حلفائها الروسين من صميم قوادها وتقبل معهم
المبادئ السامية التي أعلنها الرئيس ولسن في خطبته الشهيرة في مجلس الأمة الاميركية
« هذه هي الغاية التي تحارب الأمم البريطانية من أجلها وتلك هي المبادئ
التي تسير عليها في سياستها التي لها صلة بالحرب
« وتعتقد الحكومة البريطانية ان الاتفاقات التي أبرمتها مع حلفائها في الماضي

لا تناقض هذه المبادئ، ومع ذلك فإنها تقبل أن تعيد النظر فيها إذا شاءت الحكومة الروسية ذلك وأن تعدل بمض موادها إذا اقتضت الحال » انتهى

وجاء في المقطع الذي صدر في ١٨ رمضان (٧ يوليو)

﴿ الحلفاء واستقلال الأمم ﴾

أرسلت الحكومة الروسية مذكرة الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها الحقيقية من الحرب وطلبت منهم أن تعرف الغاية التي يتوخونها هم أيضا فأجابتها فرنسا بمذكرة طويلة قالت فيها انها لا ترمي الا الى استرجاع الالزاس واللورين ومنح الامم الكبيرة والصغيرة استقلالها التام ثم شفعت هذه المذكرة بالقرار الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في ٥ يونيو الماضي

وقالت انكلترة في ردها على المذكرة الروسية انها خاضت غمار هذه الحرب دفاعا عن كيانها ورغبة في اكراه الآخرين على احترام المعاهدات الدولية . أما اليوم فصارت ترمي الى غاية ثالثة وهي تحرير الامم التي تثن من جور الاستعباد الاجنبي فانكلترا في هذه الحال توافق على المبادئ السامية التي جاهر بها الدكتورولسن وأعلنتها الديمقراطية الروسية وهي مستعدة لاعادة النظر في المعاهدات التي أبرمتها مع روسيا وسائر حلفائها

وقد قابلت الصحف الروسية هاتين المذكرتين بارتياح عظيم اذا استثنينا الصحف الثورية والمتطرفة والداعية الى الصلح . فقالت جريدة نوفوفريميا ما خلاصته : — لا يمكننا ان نزيد حرقاً واحداً على جواب الحلفاء عن مذكرتنا فهو في غاية الوضوح في ما يتعلق بخطة الفتح الذي يتهمهم أعداؤنا بها

وقد أعلن حلفاؤنا غايتهم الحقيقية من الحرب فاذا هي غاية روسيا وغاية امبركا

حليفتنا الجديدة . انتهى

وقالت « البورص غازت » ان جواب الحلفاء أرضى روسيا الديمقراطية وأكدت لها أن ديمقراطيات العالم كله متفقة على الدفاع عن استقلال الامم وسحق الاستبداد البروسي

« استقلال ألبانيا »

رومية في ٤ يونيو — صدر منشور في ارجيرو كسترو يوم ٣ يونيو باستقلال البانيا وتوحيدها كلها تحت حماية ايطاليا — روتر
رومية في ٤ يونيو

هذا بعض نص المنشور باعلان الحماية الايطالية على البانيا وهو بامضاء الجنرال فيرو:
« أيها الألبانيون انكم بهذا القرار سيصير لكم معاهد حرة وجنود ومحام
ومدارس يديرها أبناء قومكم ويتيسر لكم ان تدبروا أملاككم وتجنوا ثمرة تعبكم
لانفسكم ولزيادة خير بلادكم وإسمادها

« أيها الألبانيون انكم أينما كنتم سواء في بلادكم الحرة الآن أو فاربين في سواها
من البلدان أو كنتم خاضعين لحكم أجنبي بمن عليكم بالمواعيد الكثيرة ولكنه في
الحقيقة يسلبكم ويعاملكم بالشدة أنتم سلالة جنس عريق نبيل تربطكم عدة قرون
من التقاليد القديمة بحضارة رومية والبندية . انكم لا تجهلون اشترك المصلحة بين
الايطاليين والالبانيين في البحار التي تفصل بيننا والتي وحدث بيننا أبطاء انكم لحسنو
النية والبقين تعتقدون بحسن مصير وطنكم المحبوب فأنتم تقفون الآن في ظل راية
ايطاليا والبايا ونحلفون بمن الاخلاص الابد لالبانيا المستقلة التي تنادي بها اليوم
باسم ايطاليا وتتمنون بصدقة ايطاليا »

وقد تلي هذا المنشور على جمهور كبير من ألباني ارجيرو كسترو فقابلوه بالحفاصة
ونشروا في سواها من الجهات التي تحت ادارة الايطاليين والقي الطيارون نسخا منه
في البلاد الواقعة وراء فوجوزا — روتر

(المنار) هذا وان البرقيات العامة نقلت اليها أن روسية الحرة لم تعترف بهذا الاستقلال بل
صرحت بأن مؤتمر الصلح هو الذي يفصل في أمرها

ومن تأمل أجوبة الحلفاء كلها رأى ان جواب فرنسا أبعداها عن مظان
التأويل وأقربها الى مقصد المذكرة الروسية ، ولما كان المعهود في السياسة ان يكون
لكل كلام ظاهر وباطن وان يكون ظاهره محتملا للتأويل كتب أحد كتاب فرنسا
الاحرار (المسيو اولار) مقالة في الموضوع الذي نبحث فيه لخصتها جريدة المقطم
في العدد الذي صدر منها يوم الجمعة ١٣ يوليو (٢٤ رمضان) بما يأتي :

غرض فرنسا من الحرب

من مقالة للمسيو اولار

انشأ المسيو اولار الكاتب الفرنسي الشهير مقالة شائعة في جريدة « البايي » (الوطن) الباريسية بسط فيها غاية غرض فرنسا من الحرب ولاغراض حقيقية التي ترمي اليها . والمسيو اولار من أعظم الكتّاب الفرنسيين وأشدهم تأثيراً في الرأي العام وأكثرهم خبرة بشؤون الشرق الأدنى ولا سيما سورية التي زارها لآخر مرة سنة ١٩٠٧ وأسس فيها مدرسة بيروت العلمية ومدرسة دمشق للبنات . وهو أستاذ التاريخ في جامعة السوربون وصاحب المؤلفات العديدة عن الثورة الفرنسية ومن زعماء الماسون والرئيس لا كبر الجمعيات التعليمية العلماني في فرنسا لذلك رأينا ان تلخص مقالاته للقراء لما فيها من الدلالة على اغراض الامة الفرنسية من هذه الحرب وسبب مبادتها ونبل مقاصدها ورغبتها الاكيدة في مواصلة الحرب الى النصر قال :

« خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب ودخلت الثورة الروسية في دور جديد في الاسابيع الاخيرة فأحدث ذلك تأثيراً عظيماً في العالم ظهرت نتائجه الاولى في انقشاع الغيوم المتلبدة في جو سياسة الحلفاء

« وقد وقعت هذه الايام حوادث سياسية لها مفرى عظيم واضح فأعلن المسيو ريبورئيس الوزارة الفرنسية في مجلس النواب بعد اتفائه مع الحكومات المتحالفة [انه لا يمكن ان تكون لنا خطة سرية غير الخطة الصريحة التي يعرفها العالم كله وان في التلاعب بالوجدان الوطني خطراً عظيماً يؤدي الى أعظم النكبات] فالمسيو ريبورئيس من نفسه هذه الجرأة الادبية التي حملته على هذا التصريح الخطير الشأن بعد ما أبدت الديمقراطيتان الاميركية والروسية آراءهما في الامر واعربتا عن عدم رضائهما عن السياسة السرية

« هذا واننا نرى من جهة أخرى ان الجنود الفرنسيين الذين يقاسون ضروب الشقاء ويريقون دماءهم الزكية في الخنادق دفاعاً عن الوطن العزيز يريدون ان يعلموا الغاية الحقيقية التي يقاسون الشقاء ويقتحمون الاخطار للوصول اليها . لا مشاحة في انهم يعلمون ان غرضهم الوحيد من الحرب الحاضرة طرد العدو من البلاد التي

اجتاحها وتحرير العناصر من ربة الاستعباد ولكنهم يخشون ان تكون هناك سياسة صرية وراءها مقاصد فتح ومطامع استعمار تحت ستار العدل والحق وان يتخذ ذلك حجة لتحقيق الاحلام القديمة التي منشأها الفرور وغاياتها استعباد الامم ان الفرنسيين قاطبة يحاربون الى النهاية من أجل فرنسا والالزاس واللورين ويريدون آخر نقطة من دمهم لانتفاذ البلجيك الناعسة من مخالب العدو ولكنهم لا يقبلون بوجه من الوجوه ان تكون غايتهم من الحرب فتح آسيا الصغرى وتحقيق مشروع استعماري بعيد نخبه الحكومات اه

[المنار] ان الذكي القطن يفهم من هذا التلخيص ما وراءه فعسى ان تنتهي هذه الحرب بما يحبه — مثلنا — هذا الكاتب الحر بتحقيق آمال المستضعفين وتحرير الشعوب أجمعين ،

الترك والعرب . وهل يكونان كالثمة والمجر

نشر المقطم في ٥ شوال مقالة أرسلها اليه ابراهيم افندي النجار من باريس شرح فيها ما أحدثته الثورة الروسية ودخول الولايات المتحدة في الحرب من الروح الجديدة في سياسة العالم وأشار فيها الى ما بين قاعدة أحرار الروس ومرامي الرئيس ولسون وبين تنفيذ فكرتهما من العقبات وذكر تأثير ذلك في الدولة العثمانية فقال ما نصه :
 « وقد اتصل بي هذين اليومين خبر كبير الاهمية اذا صدقت الرواية وصدق راويها وهو ان هذه الفكرة التي سبقت الإشارة اليها مشيت شرقاً ووقفت في فروق (الآتانة) ففكر أصحاب الحل والعقد فيها في انشاء السلطنة العثمانية على الاساس النسائي من الترك والعرب كما قامت امبراطورية النمسا على أساس سلطة النمساويين والمجريين . وان الحكومة شارعة في تعديل القانون الاسامي على هذا المبدأ . قرأت هذا الخبر الذي رواه لي مخبري في سويسرا ووقفت عنده وقفة الحائر في تقضيه وتصديقه . الاول لانه لا ينطبق على سياسة غلاة الترك العنصرية والله أعلم بما أعرف من خبايا نياتهم وبما يضمرون . والثاني لان القوم ضاقوا ذرعاً في هذه الحرب وعلموا ان عاقبتها ستكون وبالاً عليهم وان نهايتها ستكون على حسابهم وعرفوا مبادئ الثورة



الروسية والرئيس ولسن كما عرفنا من قبل أن الرئيس قد في برلين وفيينا في النصيح لهم بالتخفيف من غلوائهم فأوا من الحكمة أن يفعلوا بخلافين ما يحملهم القوة القاهرة على قبوله واققراره . والذي بعلم كيف أعلن مدحت باشا القانون الاساسي الاول يوم كان سفراء الدول مجتمعين في الطوبخانة في الاستانة لتبادل الرأي في كيفية حمل الدولة على الاصلاح يعرف مسالك الترك في هذه المآزق ويتبين له وجه الشبه التام بين اليوم والبارحة . لهذا السبب ملت الى تصديق الرواية وان كنت لا أجزم بصحتها « اه

المجمع اللغوي المصري

لقد تم تأليف هذا المجمع في دار الكتب السلطانية وهذا هو القانون الذي وضعه لبيان أعماله اللغوية وأنظمته الداخلية عملاً بالمادة الثانية من القانون المتضمنة تأليف لجان لوضع مصطلح كل علم أو فن قد قرر المجمع في جلسته المنعقدة يوم أول يونيو سنة ١٩١٧ تأليف اللجان الآتية والفت فعلاً وهذه هي أسماؤها

- ١ لجنة الجغرافيا والتاريخ والآثار والملابس والاواني والملاحة والتجارة
- ٢ لجنة الطب والعلوم الطبيعية عدا علم النبات
- ٣ لجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية
- ٤ لجنة الفقه والقانون
- ٥ لجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة والزراعة وعلم النبات
- ٦ لجنة اصطلاحات الدواوين

أما أعضاء المجمع فهم الآتية أسماؤهم وقد رتب بحسب الترتيب الابجدي بالحروف الاولى فيها

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر رئيس المجمع
وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية وكيل وحضرات

(هـ) هذا ما نشره كاتب سر المجمع في الصحف وقد بين النازبب تأليف هذا المجمع في المجلد ٩٩

احمد لطفي السيد بك مدير دار الكتب السلطانية كاتب السر والسيد محمد البلاوي وكيل
دار الكتب مساعد كاتب السر وحضرات الشيخ أحمد ابراهيم والشيخ أحمد الاسكندري
وأحمد براده بك وأحمد تيمور بك وصاحب السعادة أحمد زكي باشا وأحمد سليمان بك
والدكتور أحمد عيسى بك وأحمد كمال بك واسماعيل رأفت بك وحفني ناصف بك
وعبد الحميد فتحي بك وعبد الحميد مصطفى بك وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن
قرانه وعثمان فهمي بك والدكتور فارس عمر ومحمد أمين واصف بك والشيخ محمد رشيد
رضا والشيخ محمد شريف سليم ومحمد عاطف بركات بك والشيخ مصطفى العناني
والدكتور يعقوب صروف وهذه صورة قانون المجمع

الفصل الاول — في غرض المجمع

المادة الاولى — غرض هذا المجمع خدمة اللغة العربية وخصوصاً وضع معجم
واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات
المادة الثانية — يكلف المجمع لجائاً أو أفراداً جمع مصطلح كل علم أو فن
معدده ولكل لجنة أو فرد ان يطلب من المجمع ان يدعو الى الانضمام اليه من يرى
دعوته من الاختصاصيين ويعرض ماتم من ذلك على المجمع لبحثه وتقرير ما يراه
واذا تم جزء صالح للنشر جاز نشره على حدة قبل انعام المعجم

المادة الثالثة — للمجمع ان يزيد في اللغة للضرورة ويراعي في الزيادة دفع المخرج
المادة الرابعة — يستبدل بالكلمة العامية أو الأعجمية التي لم تعرب من قبل غيرها من
الفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها فاذا لم يهتد المجمع الى كلمة عربية وضع كلمة
عربية للدلالة عليها أو أقر الكلمة العامية أو هرب الكلمة الأعجمية مع مراعاة المادة الثالثة
المادة الخامسة — يكون وضع الكلمات بطريق المجاز أو الاشتقاق أو النحت أو غير ذلك
مما يقع إجماع على منعه ويفضل الاخذ من الكلمات المبهورة قليلاً لا شراك المستعمل
المادة السادسة — تذكر الكلمات من المعجم بمكانها القديمة ويضاف اليها
بمعناها الجديدة التي يقرها المجمع وينبه على ما كان من وضع المعجم

الفصل الثاني — في أعضاء المجمع

المادة السابعة — يؤلف المجمع من ثمانية وعشرين عضواً منهم ثلاثة بمرف أحد

اللغة العبرية والثاني الفارسية والثالث السريانية زيادة على معرفة كل منهم للغة العربية
 المادة الثامنة - متى خلا مركز أحد الاعضاء فلكل عضوين ان يرشعا خلفاً
 وتعرض أسماء المرشحين ثم يدور عليهم الانتخاب على حسب المادة الثالثة عشرة
 ويشترط في قبول المرشح ان ينال انتخاب ثلثي الاعضاء الحاضرين على الاقل
 المادة التاسعة - للمجمع ان ينتخب أعضاء مراسلين بالطريقة التي ينتخب بها
 الاعضاء ويكون لهم حضور الجلسات وليس لهم أصوات في القرارات
 المادة العاشرة - من اهان المجمع من أعضائه المراسلين أو غيرهم اعانة افوية
 يعتد بها ذكر اسمه في ثبت واضي المجمع

الفصل الثالث - في ادارة أعمال المجمع

المادة الحادية عشرة - تقوم بالأعمال الادارية للمجمع لجنة مؤلفة من الرئيس
 والوكيل وكاتب السر ومساعدته
 المادة الثانية عشرة - ينتخب أعضاء اللجنة من بين أعضاء المجمع لمدة سنة.
 ويجوز إعادة انتخابهم

المادة الثالثة عشرة - يكون الانتخاب بالاقتراع السري وبالاغلبية المطلقة
 للاعضاء الحاضرين في جمعية عمومية يحضرها ثلثا الاعضاء على الاقل فان لم يحضر
 ثلثا الاعضاء تم الانتخاب في الجلسة التالية بها كان عدد الاعضاء فيها
 المادة الرابعة عشرة - يدبر الرئيس أعمال المجمع ويدعو لجانه ويقدم اليها
 موضوعات البحث ويهيئ على تنفيذ قرارات المجمع . وهو عضو بالقانون في كل
 لجنة من لجان المجمع يشترك مع أباها شاء
 المادة الخامسة عشرة - يقوم الوكيل مقام الرئيس عند غيابه في كل ماله من
 الحقوق وعليه من الواجبات

المادة السادسة عشرة - على كاتب السر ومساعدته تحرير محاضر الجلسات
 وتسجيلها في سجل خاص بعد التصديق عليها وهما مكلفان بمراسلات المجمع
 وحفظ أوراقه ونشر أعماله التي يتقرر نشرها

الفصل الرابع - في نظام الجلسات

المادة السابعة عشرة -- ينعقد المجمع مرتين في كل شهر على الأقل ويجتمع فوق المادة بناء على طلب يكتبه خمسة من أعضائه أو بناء على طلب الرئيس
المادة الثامنة عشرة -- يعين المجمع في شهر أكتوبر من كل سنة الأيام التي ينعقد فيها كل شهر الى نهاية شهر مايو

المادة التاسعة عشرة -- اذا لم يستطع أحد الاعضاء حضور جلسة فوجب ان يعتذر وتلى الاعتذارات عند افتتاح الجلسة

المادة العشرون -- كل عضو غاب أكثر من ست جلسات متواليات من غير عذر يقبله المجمع يعتبر مستقلاً ويستبدل به غيره بالانتخاب

المادة الحادية والعشرون -- في غير الاحوال المنصوص عليها يكون الاجتماع صحيحاً متى حضره ربع الاعضاء

المادة الثانية والعشرون -- للمجمع ان يستعين باختصاصيين يدعوهم لحضور أبحاثه عند النظر في البحوث المتعلقة بآثارهم الخاصة

المادة الثالثة والعشرون -- تنعقد الجلسات برئاسة الرئيس أو الوكيل عند غيابه
اذا غاب كلاهما انعقدت الجلسة برئاسة أكبر الحاضرين سناً

المادة الرابعة والعشرون -- في غير الاحوال المنصوصة في القانون تكون قرارات المجمع بالأغلبية النسبية

المادة الخامسة والعشرون -- للمجمع ان يعيد المناقشة في قرار سابق اذا طلب ذلك ثمانية من الاعضاء

الفصل الخامس -- أحكام تكميلية

المادة السادسة والعشرون -- لا يجوز تغيير مادة من هذا القانون الا بطلب مكتوب يقدمه خمسة من الاعضاء مبيحة فيه أسباب التغيير يقرأ في المجمع ثم ينظر في الجلسة تالية ولا يكون التغيير صحيحاً الا اذا اتفق عليه سبعة عشر عضواً

المادة السابعة والعشرون -- كل خلاف يقع في تفسير مادة من مواد القانون يمر من على المجمع اقرار ما يقع في ذلك



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب.

الملك

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام عصى و «منارا» كتاب الطريق

بداية الجزء الثاني

حسب ترقيم الكتاب في أعلى الصفحة

[المنار: ج 1 م 20] - [المنار: ج 2 م 20]

فَتَحَاتُ الْمُبْتَائِنُ

فتحتنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء . وابتدأنا ذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قد منأخرنا لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبتنا غير مشتركين مثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ فسخ عقد النكاح بالعيب في أحد الزوجين ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في العلاقة بالشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

إلى القائم بأمر ربّه المعتضد بحجة الله البالغة صاحب مجلة المنار

أرفعه مستفتياً فضيلتكم بمد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على خير عباده سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه ونحبه ونحبه الله وسلامه عليكم : أيها الاستاذ النبيل السيد السند :

يا صاحب الفضيلة بينما قرأ ما يتعلق بالمرء وزوجه من بقاء النكاح وفسخه في الكتب التي للائمة الثلاثة الشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم : إذ رأينا فيها أنه ليس لأحد الزوجين أن يفسخ النكاح لعيب بالآخر إلا بالجنون والجزام والبرص ويسميا الأئمة ومن تبعهم العيوب المشتركة فتوقفنا في حصر العيوب المشتركة التي يفسخ بها النكاح في الثلاثة الآنفة المذكورة مع وجود ما يماثلها في الضرر بل ربما كان أشد وأولى مما ذكرنا بالفسخ كالسل والزهرى وغيرهما من الادواء المستحدثة وبعد البحث والتنقيب لم نعثر على قول لأبي الكتب التي بأيدينا ولا ممن سألناهم ممن يظن فيهم أنهم لا يتقيدون بما تقع عليه أبصارهم من النصوص فبعثنا اليكم بتلك الرسالة مستفتين : هل تجري الادواء المستحدثة مجرى ما نصوا عليه لمشاركته في

علة الحكم فتكون مقيسة عليه فيفسخ بها النكاح أو يقف الأمر عند حد المنصوص
وهنا تسأل أي فرق بينها وبينه ؟ وإذا كان مانص عليه الفقهاء مأخوذاً من دليل
فما هو ؟ هذا ما نرجو أن نجيبوا عنه بفصل القول الذي نعهد فيكم ويعهد العقلاء
أجمع أمدكم الله بالعلم النافع وهذا أنا الله وإياكم إلى ما يوصلنا إلى مرضاته وسلوك
سبيله القويم أنه سميع قريب عليم
أحمد عطية قوره من العلاقة

(ج) ليس في هذه المسألة نص صريح في الكتاب ولا في السنة الصحيحة
وحديث زيد بن كعب بن عجرة الآتي فيه مقال وليس فيه تصريح بالفسخ لاجل
البرص . ولكن فيها آثاراً عن بعض الصحابة والتابعين مستندة إلى أصول الشريعة
الثابتة من منع الفس وفسد الضرر والضرار وحينئذ لا وجه لحصر العيوب فيما ورد
في تلك الآثار إذ لا دليل على الحصر وإن ورد عن بعضهم عبارة فيه فتلك العبارة
ليست مما يحتاج به من ذكرتم من الفقهاء كما يعلم من أصولهم ، ومذاهبهم ليست متفقة
كما ادعيتهم . وقد حرر المسألة العلامة المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في فصل
مستقل قال :

﴿ فصل ﴾

في حكمه صلى الله عليه وسلم وخلفائه في أحد الزوجين يحد بصاحبه
برصاً أو جنوناً أو جذاماً أو يكون الزوج غنياً

في مسند أحمد من حديث يزيد بن كعب بن عجرة ^(١) رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضع ^(٢) ثوبه
وقعد على الفراش أبصر بكشحمها بياضاً فأنحاز ^(٣) عن الفراش ثم قال « خذي
عليك ثيابك » ولم يأخذ مما آتاها شيئاً . وفي الموطأ عن عمر رضي الله عنه : أنه قال
أيما امرأة غر بها رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر بما أصاب منها وصدق

(١) كذا في نسخة الكتاب المطبوعة بمصر السكتيرة الخط وهو غلط سواءه زيد بن كعب
ابن عجرة كما في سنن سعيد بن منصور وقد شك في المسند فقال عن جميل بن زيد قال حدثني
رجل من الأنصار ذكر أنه كان له صحبة يقال له كعب بن زيد أو زيد بن كعب . ومثله عند ابن
عدي والبيهقي . ورواه الحاكم المستدرک من حديث كعب بن عجرة ولم يشك . وجميل ابن زيد ضعيف
وقد اضطرب في هذا الحديث وقال الحفاظ ابن حجر مجهول (٢) في النسخة المذكورة وضع (٣) وفيها فأما

الرجل على من غره (١) وفي لفظ آخر قضى عمر رضي الله عنه في البرصاء والجذماء والمجنونة اذا دخل بها فرق بينهما والصدائق لها بمسبسه اياها وهو له على وليها . وفي سنن أبي داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما طلق عبد يزيد أبو ركانة (٢) زوجته أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يغني عني الا كما تغني هذه الشجرة لشجرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه ، فأخذت النبي صلى الله عليه وسلم حية فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « طلقها ففعل قال « راجع امرأتك ام ركانة واخوته » فقال اني طلقها ثلاثا يا رسول الله قال « قد علمت راجعها » وتلا (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن اعدتهن) ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض بني أبي رافع وهو مجهول ولكن هو تابعي وابن جريج من الائمة الثقات المدول ورواية المدل عن غيره تعديل له ما لم يعلم فيه جرح ، ولم يكن الكذب ظاهرا في التابعين ولا سيما التابعين من أهل المدينة ولا سيما موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما مثل هذه السنة التي اشتدت حاجة الناس اليها ، لا يظن بابن جريج انه حملها عن كذاب ولا عن غير ثقة عنده ولم يبين حاله

« وجاء التفريق بالعنة عن عمر وعثمان رضي الله عنهما وعبد الله ابن مسعود وسمرة بن جندب ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم لكن عمر وابن مسعود والمغيرة رضي الله عنهم أجلوه سنة وعثمان ومعاوية وسمرة رضي الله عنهم لم يؤجلوه والحارث بن عبد الله رضي الله عنه أجله عشرة أشهر . وذكر سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا عبد الله ابن عوف عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمث رجلا على بعض السماية فتزوج امرأة وكان عقيما فقال له عمر رضي الله عنه : أعلمتها انك عقيم ؟ قال لا . قال فانطلق فاعلمها ثم خيرها ، وأجل مجنوناسة فان أفاق والافرق بينه وبين امرأته » فاختلف الفقهاء في ذلك فقال داود وابن حزم ومن وافقهما لا يفسخ النكاح

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في باوغ المرام الى سعيد بن منصور ومالك وابن أبي شيبة ثم قال ورجاله ثقات وروى سعيد أيضا عن علي بن حمزة وزاد : وبها قرئت فزوجها بالخيار فان مسها فله المهر بما استحل من فرجها (وسياقي) (٢) في السنن زيادة واخوته أي وأبو أخوة ركانة

بعب البتة ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا يفسخ إلا بالجلب والمنة خاصة ، وقال الشافعي ومالك يفسخ بالجنون والبرص والجذام والقرن والجلب والمنة خاصة . وزاد الامام احمد عليهما أن تكون المرأة فتقاء منخرقة ما بين السبيلين ، ولا صحابه في ثن الفرج والفم وانخراق مجرى البول والمثني في الفرج والقروح السيالة فيه والبواسير والناصور والاستحاضة واستطلاق البول والنجو والخصي وهو قطع البيضتين والسل وهو سل البيضتين والوجع وهو رضهما وكون أحدهما خنثى مشكلا والعيب الذي يصاحبه مثله من العيوب السبعة والعيب الحادث بعد العقد وجهان ، وذهب بعض أصحاب الشافعي الى رد المرأة بكل عيب ترد به الجارية في البيع ، وأكثرهم لا يعرف هذا الوجه ولا مظهره ولا من قاله ومن حكاه أبو عاصم العباداني في كتاب طبقات أصحاب الشافعي ؛ وهذا القول هو القياس أو قول ابن حزم ومن وافقه . وأما الاقتصار على هين أو ستة أو سبعة أو ثمانية دون ما هو أولى منها أو مساو لها فلا وجه له ، قاله في الخرس والطرش وكونها مقطوعة اليدين أو الرجلين أو إحداها أو كون الرجل كذلك من أعظم المنفرات والسكوت عنه من أقبح التدليس والغش وهو مناف للدين ، والاطلاق إنما ينصرف الى السلامة فهو كالمشروط عرفا وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له أخبرها أنك عقيم وخبرها فإذا يقول رضي الله عنه في العيوب التي هذا عندها كمال بلا نقص

«والقياس ان كل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة بوجب الخيار وهو أولى من البيع كما أن الشروط المشروطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع وما ألزم الله ورسوله مفرورا قط ولا مقبونا بما غر به وخبين به . ومن تدبر مقاصد الشرع في مصادره وموارده وعدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول وقر به من قواعد الشريعة

«وقد روى يحيى بن سعيد الانصاري عن ابن المسيب رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه إنما امرأة تزوجت وبها جنون أو جذام أو برص فدخل بها ثم اطلع على ذلك فلها مهرها بمسبسه اياها وعلى الولي الصداق بما دلس كما غره . ورد هذا بأن ابن المسيب لم يسمع من عمر رضي الله عنه من باب الهذيان البارد المخالف

لإجماع أهل الحديث قسبة، قال الإمام أحمد إذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه فمن يقبل؟ وأئمة الإسلام جمهورهم يحتجون بقول سعيد بن المسيب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكيف بروايته عن عمر رضي الله عنه؟ وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنه يرسل إلى سعيد يسأله عن قضايا عمر رضي الله عنه فيفتي بها، ولم يطمئن أحد قط من أهل عصره ولا من بعدهم ممن له في الإسلام قول معتبر في رواية سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه ولا عبرة بغيرهم.

«وروى الشعبي عن علي كرم الله وجهه: أيما امرأة نكحت وبها برص أو جنون أو جذام أو قرن فزوجها بالخيار ما لم يمساها إن شاء أمسك وإن شاء طلق وإن مسها فلها المهر بما استحل من فرجها. وقال ربيع عن سفیان الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله عنهم قال: إذا تزوجها برصاً أو عياء فدخل بها فلها الصداق ويرجع به على من غره. وهذا يدل على أن عمر رضي الله عنه لم يذكر تلك العيوب المتقدمة على وجه الاختصاص والحصر دون ماعداها، وكذلك حكم قاضي الإسلام حقا الذي يضرب المثل بعلمه ودينه وحكمه شريح رضي الله عنه. قال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين رضي الله عنه: خاصم رجل إلى شريح فقال إن هؤلاء قالوا لي إنا نزوجك أحسن الناس فجأوني بامرأة عياء، فقال شريح إن كان دلس لك بعيب لم يحز. فأمل هذا القضاء وقوله إن كان دلس لك بعيب كيف يقتضي أن كل عيب دلست به المرأة فلا زوج الرد به.

«وقال الزهري رضي الله عنه برد النكاح من كل داء عضال. ومن تأمل فتاوى الصحابة والسلف علم أنهم لم يخصصوا الرد بعيب دون عيب إلا رواية رويت عن عمر رضي الله عنه لا ترد النساء إلا من العيوب الأربعة الجنون والجذام والبرص والداء في الفرج، وهذه الرواية لأنهم لها أسناداً أكثر من أصبغ وابن وهب عن عمر وعلي رضي الله عنهما وقد روي عن ابن عباس ذلك بأسناد متصل ذكره سفیان عن عمرو ابن دينار عنه.

«هذا كله إذا أطلق الزوج وأما إذا اشترط السلامة أو شرط الجمال فبانت شوهاً، أو شرطها شابة حديثة السن فبانت عجوزاً شططاء، أو شرطها بيضاء فبانت

سوداء، أو بكرة فبانت ثيباً، فله الفسخ في ذلك كله، فإن كان قبل الدخول فلا مهر وإن كان بعده فلها المهر وهو غرم على وليها إن كان غره، وإن كانت هي الغارة سقط مهرها أو رجع عليها به إن كانت قبضته. ونص على هذا أحمد في إحدى الروايتين عنه وهو أقيسهما وأولاهما بأصوله فيما (إذا) كان الزوج هو المشرط، وقل أصحابه إذا شرطت فيه سنة فإن بخلافها فلا خيار لها إلا في شرط الحرية إذا بان عبداً فلها الخيار، وفي شرط النسب إذا بان بخلافه وجهان. والذي يقتضيه مذهبه وقواعده أنه لا فرق بين اشتراطه واشتراطها بل أثبات الخيار لها إذا فاق ما اشترطته أولى لأنه لا يتمكن من المفارقة بالطلاق، فإذا جازله الفسخ مع تمكنه من الفراق بغيره فلأن يجوز لها الفسخ مع عدم تمكنها أولى، وإذا جاز لها أن تفسخ إذا ظهر الزوج ذا صناعة دينية لا تشين في دينه ولا في عرضه وإنما تمنع كمال لذتها واستمتاعها به فإذا شرطته شاباً جليلاً صحيحاً فإن شيخاً مشوهاً أعمى أطرش أخرس أسود فكيف تلزم به وتمنع من الفسخ؟ هذا في غاية الامتناع والتناقض والبعد عن القياس وقواعد الشرع وبالله التوفيق

« وكيف يمكن أحد الزوجين من الفسخ بقدر المدسة من البرص ولا يمكن منه بالجرب المستحكم المتمكن وهو أشد إعداء من ذلك البرص اليسير وكذلك غيره من أنواع الداء المضال^(١) وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم على البائع كتمان عيب سلخته وحرم على من علمه أن يكتبه من المشتري فكيف بالعيوب في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين استشارته في نكاح معاوية رضي الله عنه أو أبي جهم رضي الله عنه «أما معاوية فصملوك لا مال له وأما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» فلم أن يان العيب في النكاح أولى وأوجب فكيف يكون كتماناً وتدليساً والفسخ الحرام به سيما للزومه، وجعل ذا العيب غلاً لازماً في عنق صاحبه مع شدة نفرته عنه ولا سيما مع شرط السلامة منه وشرط خلافه؟ وهذا مما يعلم يقيناً أن التصرفات (في) الشريعة وقواعدها وأحكامها تأباه والله أعلم » وقد ذهب أبو محمد بن حزم إلى أن الزوج إذا شرط السلامة من العيوب

فوجد أي عيب كان فالكاح باطل ، من أصله غير منعقد ولا خيار له فيه ولا اجازة ولا نفقة ولا ميراث ، قال ان النى أدخلت عليه غير التي تزوج اذ السالة غير المعية بلا شك فاذا لم يتزوجها فلا زوجية بينهما » اه

﴿ الاصرار على البدع ، وما يشترط في مكان الجمعة وزمانها وعدد جماعتها ﴾
(٤ - ٧) من الشيخ يوسف أحمد سليمان الطالب بمشيخة الاسكندرية :
من (طملاي) بمركز منوف
فضيلتو الاستاذ مفتي المنار

سأل عبد الرحمن أحمد الصبيدي من طملاي عن حكم فعل البدع التي كثيرا ما نهينا أئمة البلد عنها والله الحمد فأجبتم اجابة كافية شافية في الجزء التاسع الذي صدر في ٣٠ ربيع سنة ١٣٣٥ (صحيفة ٥٣٨) وعرضنا الجواب على علماء الناحية لافرق بين مدرس في الازهر وغير مدرس فقروه وفهموه ، والتمسنا العمل بما علموه فامتنعوا وقالوا ان ترك العمل غير جائز والمعمل بالبدع جائز وهو أحسن ! ولذا لم يتركوا حتى ولا واحدة بل زادوا الطبل والرايات أمام الجنازة اذا شخص منهم مات وعضوا عليها بالنواجذ . وقد رأينا في كتاب فتاوى أئمة المسلمين للشيخ محمود صحيفة ٥ : سئل الشيخ أحمد الرفاعي عن الذي لم برض سنة النبي في الصلاة أو الدفن فهل تصح الصلاة خلفه ويصح ان يحمل من عدد الجمعة ؟ فأجاب بأن الصلاة خلفه باطلة واذا جعل من عدد الجمعة بطلت صلاة الجمعة على جميع المسلمين . ومثل الشيخ سليم البشري عن رجل يقول بصدوم جواز ترك البدع المجمع على بدعتها كالترقية الخ واذا قيل له سنة النبي صلى الله عليه وسلم ترك هذه الامور لا يقبل النصيحة وهذا الرجل امام راتب في مسجد فهل يصلون جماعة في المسجد قبله أو معه أو بعده ؟ فأجاب بأن هذا الامام مبتدع فلا يكون اماما للمسلمين وعليهم ان يجتهدوا في منعه من الامامة ولو بواسطة الافراد

فعل هذا

هل الشرع الذي شرعه لنا رسول الله يرى لنا رخصة في كوننا نصلي الجمعة

في الغيظ أو في البيت أو في المسجد بعدد أقله ثلاثة غير الامام الخاطب من وقت صلاة العيد الى الاصفرار هل ذلك يحزى أم لا وما هي التي نحزى أشفنا بالجواب
رفعتك الملك الوهاب

الجواب في مسألة البدع

البدع منها ما يكون كفرا أو وسيلة الى الكفر ومنها ما هو حرام وما هو مكروه ،
وليس في البدع الشرعية شيء جائز كان يكون مباحا ، لأنها لا تكون الا ضلالة
كما ورد في الحديث ، وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية
(ص ٢٠٦) وأما البدعة غير الشرعية فهي التي قالوا أنها تنقسم الى الاحكام
الخمس كما بينه ابن حجر في ص ١١٢ من الفتاوى الحديثية أيضا ولكنه أخطأ في
بعض الامثلة ، وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبي
هذا البحث تفصيلا تاما في كتابه الاعتصام ، وسبق لنا نقل كثير من فصوله . ولم
يلفنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحد ينسب الى الاسلام مبلغا حمله على القول بان
العمل بالبدعة الشرعية جائز وأنه خير من تركها . وما نقله السائل عن الشيخ أحمد
الرفاعي فيه مبالغة لانعرف لها وجها بذلك الاطلاق ، وما أفتى به الشيخ سليم
البشري حق ظاهر والشيخ أقدر من كل أحد في مصر على مقاومة البدع وابطال
كثير منها وذلك لا يكون بفتوى منه فانه يقل في هذا القطر من يترك شيئا تعودده
افتوى عالم ، ولكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا يؤثر الفتاوى
الفردية

يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء - أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الاربعة
في الازهر ويأمرها باحصاء البدع الفاشية في المساجد والاضرحة والمواالد وغيرها وتأليف
رسائل في التعبير عنها تطبع وينشر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألقوها
وأقروها ، وأن يعهد الى علماء جيم المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس
في المساجد بنظام متبع ، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول الماملين
بها والمنكرين على كل من يخالفها ، ويمكن طبع الآلاف من هذه الرسائل على نفقة
الاقواف الخيرية المطلقة وتوزع بها بغير عن - وأن يعهد الى بعض المنشئين المجيدين

بأنشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الاوقاف على خطباء جميع المساجد ليخطبوا بها ، وأن يقترح على الشمرء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع . ويسهل عليه أيضا أن يتوسل بالحكومة الى ابطال كثير من تلك البدع ولا سيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها . فمضى الله أن يوفق الشيخ الى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى وموجبا لثناء الناس كلهم بحق
الجواب عن مسألة العدد في الجمعة

اختلف العلماء في العدد الذي تنعقد به الجمعة على خمسة عشر قولاً نقلها الشوكاني عن الحافظ ابن حجر أضعفها القول بأنها تصح من الواحد فلا يشترط فيها عدد — وقد نقل الاجماع على خلافه — ثم القول بأنها لا تنعقد بأقل من ثمانين وهو أكثر ما قيل فيها . وأوسطها القول بأنها تصح من اثني عشر غير الامام وهو العدد الذي بقي مع النبي (ص) فجمهم بهم حين انفض الناس الى التجارة وهم الذين نزل في شأنهم آخر سورة الجمعة ، فظاهر حديث جابر في المسألة عند أحمد والشيخين انه صلى بهم وان لم يصرح بذلك وصح عند الطبراني وابن أبي حاتم انه (ص) سأله عن عددهم فكانوا ١٢ رجلا وامرأة فلولا اعتبار العدد الذي لا يعرف الا بالعدد دون مجرد النظر لم يسألهم وفيه ان ذلك لا ينفي صحتها بأقل من هذا العدد لان هذه راقمة عين لا تدل على العموم وإنما وجه الاستدلال به أن يقال فيه ما قيل في خبر انعقادها بالاربعة وهو ان الامة أجمعت على اشتراط العدد في الجمعة وقد ثبت جوازها بهذا العدد فلا يجوز بأقل منه ولا سيما في الابتداء الابدليل ولم نرد ليلا صحيحا لاحد ممن قالوا بانعقادها بأقل من ذلك فأقل ما يقال فيه ان انعقادها بما دون هذا العدد مشكوك في صحته ولا يزيل هذا الشك قياسها على الجماعة الذي استدل به من قال بانعقادها باثنين أو ثلاثة مع الامام أو بدونه لانه معارض لما دل عليه سؤال النبي (ص) عن عدد من بقي يوم انفض الناس من حوله . ولان مخالفة الجمعة لغيرها من الصلوات الخمس في بعض الاحكام فارق يطل صحة القياس ، ولو كان صحيحا لما خفي على الصدر الاول ولم ينقل عنهم التجميع بثلاثة ولا أربعة ولكن في الاربعة حديثا لا يصح . هذا ما أراه أقوى
(المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد العشرون)

الاقوال في المسألة . وقال الجافظ عند ذكر القول الخامس عشر وهو اشتراط جمع كثير
بغير قيد : ولعل هذا الاخير أرجحها من حيث الدليل اه وفيه ان الاثنى عشر اذا لم
يكونوا جميعا كثيرا فما حد الكثرة عنده وهي من الامور النسبية وما الدليل عليها ؟
الجواب عن مسألة مكان الجمعة

اشترط بعض الفقهاء أن تقام الجمعة في مصر جامع أي مدينة ولم يميزوا إقامتها
في القرى بمكانها العرفي أي الضياع أي البلدات القليلة السكان . وروي ذلك عن
علي كرم الله وجهه مرفوعا وموقوفا وقد ضعف أحمد رفعه وصحح ابن حزم وقفه وعليه
زيد بن علي والباقر والمؤيد بالله من أئمة الفترة وأبو حنيفة وأصحابه . والجمهور
يميزون التجميع في القرى بالمعنى العرفي المذكور ومن حججهم ما رواه البخاري
وأبو داود عن ابن عباس (رض) : أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول
الله (ص) في مسجد بجبواثي من البحرين - هذا لفظ البخاري ولفظ أبي داود :
بجبواثي قرية من قرى البحرين . وزاد أيضا « في الاسلام » - بعد قوله : أول جمعت
جمعت . قالوا وصلاة الجمعة في ذلك الوقت مما لا يفعله الصحابة باجتهادهم بل
بأمر النبي (ص) أي وان فرض فعلها باجتهادهم فلا يعقل أن يخفى عليه فإذا
لا يكون الا بأمره وهو الراجح أو باقراره اذ لو أنكره عليهم لتوفرت الدواعي على
تقله . وكعب عمر الى أهل البحرين أن جمعوا حيثما كنتم وصححه ابن خزيمة
عنه . وروي عبد الرزاق عن ابن عمر بأسناد صحيح انه كان يرى أهل المياه بين
مكة والمدينة يجمعون فلا يعتب عليهم ، أقول ولا حجة فيما هو آثار عن الصحابة
مختلفة والقرية في حديث ابن عباس الذي في معنى المرفوع هي مصر . ويمكن
الجمع بأنها تصح من أهل الضياع والمزارع ولا تنجب عليهم بل على أهل المدن .
ونص حديث علي المشار اليه آقا « لا جمعة ولا تشريق الا في مصر جامع »

والقرية والمدينة والمصر والبلد توارد على معنى واحد في اللغة وان كان بينها
فروق دقيقة في موادها فقد أطلق في القرآن اسم القرية والبلد على مكة وهي أيضا
مدينة ومصر بلا خلاف ، وأطلق اسم القرية في سورة يوسف على مصر (١٢ : ٨٢)
وقال علماء اللغة : القرية - بالفتح والكسر - المصر الجامع . ولا ندري متى جعل

المولدون لفظ القرية اسما للبلدة الصغيرة وفسر أهل اللغة المصر بالكورة والصقم ، والكورة بالمدينة ، وقالوا ان الكورة والخلاف والرساق والجند واحد ، وهو مجموع القرى والمزارع ، فكان المصر البلد الذي يتبعه عدة مزارع وضياع وهو كالبندر في عرف مصر ، وقال الراغب المصر اسم لكل بلد محصور أي محدود يقال مصرت مصرا - أي بنيته ، والمصر الحد . اهـ وقول الليث انه عندهم الكورة التي تقام فيها الحدود ويقسم الفي ، والصدقات - من غير مؤا. راة الخليفة اصطلاح اسلامي واشترط بعض العلماء اقامة الجمعة في مسجد مستدلا بعمل الناس في الصدر الاول وما بعده ، والعمل وحده لا يعدونه دليلا ، وروى أهل السير انه (ص) صلى الجمعة بالناس في بطن الوادي قبل وصوله الى المدينة ، وصرح ابن القيم بأنه صلاحها هنالك في مسجد ، والجمهور لا يشترطون المسجد ، وثبت عن الصحابة اقامة الجمعة في مصلى العيد خارج البلد

الجواب عن مسألة وقت الجمعة

ورد في الاحاديث الصحيحة التصريح بان النبي (ص) كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس أي عند الزوال بأنهم كانوا يصلون معه ثم يرجعون الى القائلة فيقولون - روى المعينين أحمد والبخاري من حديث أنس ، والقائلة الظهيرة أي منتصف النهار والتمسولة وهي النوم في الظهيرة أو الاستراحة فيها وان لم ينم وفي حديث سهل بن سعد الذي اتفق عليه الجماعة : ما كنا نقبل ولا نتغدى الا بعد الجمعة . أي في عهد النبي (ص) كما صرح به في رواية مسلم والترمذي . وعن ابن قتيبة لا يسمى غداء ولا قائلة بعد الزوال ، وهنالك احاديث أخرى بهذا المعنى أخذ بها الامام أحمد فقال بصحة الجمعة قبل الزوال وتكلف الجمهور تأويلها وذهب بعض أصحاب أحمد الى أن وقتها وقت العيد وبعضهم الى أنها لا تقدم على الساعة السادسة أي التي تنتهي بالزوال والجمهور منهم كثيرهم فالمعروف في قههم ان وقتها وقت الظهر ولا دليل على صحتها في وقت العصر ، والتجميع قبل الزوال مختلف فيه وموجب للاقتراق والقيل والقال بلا فائدة ، فلا ينبغي الاقدام عليه

رحلة الحجاز *

٤

السفر الى مكة المكرمة

في صبيحة يوم السبت سافر ركب المحمل المصري من جدة قبل شروق الشمس وفي ضحوته سافرت الوالدة والشقيقة ومعهما الصديق الكريم الشيخ خالد النقشبندي والصهر الحليم محمد نجيب أفندي وقد استأجرنا لهم أربعة جمال بحنينين اثنان للركوب واثنان لحمل المتاع (العفش) وأرسلت حكومة جدة معهم جنديان عربيان من جنود الشريف الهجانة للخفارة وزودهم صديقنا ومضيفنا الشيخ محمد نصيف بأنفس الزاد الكافي . وتأخرت عنهم لآتمام ما كنت بدأت به من كتابة نبذة من التفسير للمنار لأرسالها مع البريد من جدة مع كتابة مالا بد من كتابته الى مصر . ثم سافرت بعد صلاة العصر من هذا اليوم على حمار استأجرته بمئة قرش عما في ولم أكد أظفر به لولا مساعدة الاصدقاء لان المغاربة والمصريين قد سبقوا الى استئجار جميع خير البلد أو أكثرها . وسافر معي جنديان من هجانة العرب بأمر الحكومة لاجل التكرم لا الحفظ فانها واثقة بامن الطريق، وركب معي الشيخ محمد نصيف والشيخ مساعد اليافي مدير الشرطة في جدة وبعض الاصدقاء مشيعين مودعين ثم عادوا عند غروب الشمس الى جدة وقد زودني الصديق المضيف بالزاد النفيس الكافي كما زود الاكل والصحب واختار لي شابا نشيطا من أهل جدة للخدمة في الطريق وأخذ الحمار في مكة وأدركنا في الطريق أحد الحجاج المصريين على حمار فراقنا .

العناية بأمر الماء في السفر

ولم أهتم لنفسي الا بملء إبريقي المعدني الذي يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار زمنا طويلا بقطع الحاج وملء قربة من الماء النقي . ذلك بأنني أعني بأمر الماء مالا أعني بأمر الطعام ولا سيما في السفر ، ولا يشق عليّ فقد شيء من طيبات الدنيا

التي اعتدتها الا الماء البارد النقي . وهذا الا يريق من نوع الروايات الواردة أوعية الماء للسفر) الافرنجية التي يسمون واحدها (ترموس) وأ كثر هذا النوع عمودي الشكل وهو يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار يوما وليلة بالتقريب، وأبريق الذي ذكرت يخالفها في الشكل والجودة فهو نوع جيد يحفظ الثلج أو الجليد عدة أيام لا يذوب منه الا القليل وقد ملائته بالثلج مرة في طرابلس الشام وسافرت قاصدا مصر فبت في بيروت ليلتين وفي البحر ليلتين بعدها لم أحتج فيها اليه لاني أعده لشرب الليل والماء الثلوج تيسر في الباخرة عامة النهار وناشئة الليل، وقد اتفق ان كان منزلي (القمرة) من الدرجة الاولى بجانب مستودع الماء الثلوج للباخرة ، وفي ضحوة اليوم الخامس نزلنا في محجر الاسكندرية الصحي فتعاهدت الا يريق فاذا بالثلج فيه لم يذب الا بعضه . وقد كان هذا الا يريق هدية من سلطان مسقط السابق السيد فيصل رحمه الله تعالى - ولم أر هذا النوع الا عنده أهدها الي عند سفري من مسقط سنة ١٣٣٠م اذ رأى أنني حين كنت في ضيافته لم أسأل عن شيء الا عن الماء الثلوج، وكان عنده آلة اصنع الثلج ولكنها كانت معطلة في فصل الشتاء وكان وصولي الى مسقط في أول فصل الربيع والشمس في برج الحمل (شهر ابريل - نيسان) فأمر باصلاح الآلة واستعمالها قبل الموعد المعتاد عندهم لاجلي ، ووضع عندي في دار الضيافة ابريقا من هذا النوع الذي نتكلم عنه ليتيسر وجود الثلج عندي في كل ساعة من الليل والنهار، ولما سافرت وجدت مع متاعي في الباخرة ابريقا آخر منه جديدا لم يستعمل من قبل، فاستفدت منه في سفري ذلك، وكان أكبر نفعه في السفر من البصرة الى بغداد في شط العرب ودجلة اذ قل الثلج في الباخرة بين العمارة وبغداد ثم نفعه، ثم في السفر من بغداد الى حلب، ولا يوجد الثلج بينهما الا في مدينة دير الزور وهي بين العراق وسورية، وكان شأننا في تدير ماء الشرب في ذلك الطريق - الذي قطعناه في ١٨ ليلة في مركبات (عربات) سفريه تسير على ضفاف الفرات لا تبعد عنه في بعض الاحيان الا قليلا - اتنا كنا كلما نزلنا منزلا في المساء نبادر الى تقطير الماء في قدور من الفخار ثم نبرده بهواء الليل الجاف البارد في أ كواز (قلل) الماء البغدادية وفي قلة معدنية مغطاة بقماش يبلل بالماء فيبرد المعدن بضرب الهواء لهويبرد الماء

برده ، — وهذه القلة أهداها الي الطيب النظامي محمد عبد الولي في مدينة لكهنو بالهند — وكنت قبل الادلاج في آخر الليل املا الابريق المبهود من هذا الماء وترمسا آخر عموديا من النوع المعروف لكثرتة في هذه البلاد كان أهداه الي صديقي السيد يوسف الزاوي أكبر سروات مسقط بمدينة السلطان فيها ، فكنت أشرب في بكرة النهار من هذا وأدخر ذاك الي العشي لانه أحفظ والتغير فيه أبطأ ، وقد انكسر العمودي معي في حماه ، ولا أسف عليه لان مثله كثير ، الا أنه أثر من صديق ، ثم انكسر الاول في مصر فأمتي كسره لطرافته وفائدته ولكونه أثرا من ذلك السلطان الكريم سقى الله لحده ، ولكن نجله البر الوفي صديقي السيد نادر قائد الجيش الاول لسلطنة مسقط أهداه الي أبريقا آخر عوضا عنه ، وهو الذي كان معي في الحجاز وكان ما حملت فيه من الثلج كافيا لي بين جدة ومكة الا أن ماء قرية الجلد تغير في الطريق لأنها كانت بعيدة العهد بالاستعمال

وسبب حفظ الترمس لما يودع فيه مدة طويلة هو انه مؤلف من أناثين أحدهما وهو الظاهر معدني وثانيهما زجاجي باطنه كالمرآة وظاهره مفشي بمادة من المواد البطيئة التوصيل للحرارة والبرودة ويوضع الزجاجي في باطن المعدني منفصلا عنه ويكون الاتصال بينهما من أعلى الفوهة ولهذا الفوهة صمام (سدادة) من الفلين على رأسه قطعة من معدنه الابيض ويكون فوقها غطاء المعدني المتصل به ، فاذا رفع الصمام قليلا أمكن صب الماء من بلبل الابريق

أطلت في مسألة الماء ليستفيد مما كتبت من يعنون بأمر صحتهم ورفاهتهم في السفر . والعناية بأمر الماء محدودة بل ضرورية ، فالأمر الردي ، يكون سببا لأمراض كثيرة ، إذ الماء يحمل من جراثيم الأمراض والابوثة مالا يحمل غيره . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ما وجد ولا يذم طعاما ولكنه لم يكن يشرب من كل ماء يوجد بل كان يستعذب له الماء من آبار السقيا وهي على مسافة يوم من المدينة أو أكثر ، وكان أحب الشراب اليه العذب البارد . والماء الذي يوجد بين جدة ومكة في القهاري — أي الاكواخ التي يأوي اليها المسافرين للاستراحة وشرب القهوة والشاي — كله قدر فلا أصله جيد ولا أوانيه نظيفة ، وماء (بحرة) التي ينزل فيها

جميع الحجاج للاستراحة ردي ، غير عذب . ويقال ان بالقرب منها بنز لا بأس بمائها ولكن لا يسهل الا على الاقلين الوصول الى شي منها . فمن الضروري للمسافر الذي يعني بصحته ان يحمل ما يكفي من الماء بين جدة ومكة في سفره من كل منها الى الاخرى . وللشقادف قلة من الفخار يربطونها في مؤخرتها فيكون ماؤها مقبولا ولا سببا في الابل

القهوات في طريق مكة والذكرور

نزلنا بعد المغرب في أول قهوة من القهوات التي أشرنا اليها آنفا فأذنت وصلت المغرب والمشاء جمعا وقصرا وصلى معي الرفاق وشربت الماء المثلوج وشرب الرفاق القهوة وبعد أن استرحنا قليلا أعطيت صاحب القهوة منهم أضعاف المعتاد فدعا لنا ، وركبنا حمرنا وركب الجنديان هجانتهما ومررنا لا نرى من الحجاج في الطريق الا سودان الذكرور مشاة على أرجلهم رجالا ونساء وأطفالا يحمل الرجال حراهم والنساء أطفالهن على ظهورهن وما لديهن من المتاع والزاد على رؤسهن ، وكنا نرى بمضهم نياما على جانبي الطريق ، فهم ينامون اذا تعبوا فاذا استيقظوا في أي ساعة في ابل أو نهار مشوا لا يخافون اللصوص ولا قطاع الطريق ، وقد قيل لنا انه لا يتعرض لهم أحد بسوء ، لانه لا يكاد يوجد معهم شي له قيمة ينتفع به اللصوص من الاعراب هنالك فأكثرهم عراة لا يملكون من اللباس ما يزيد على ستر العورة ولباس جميع رجالهم ونسائهم الا بيض وهم مع ذلك يدافعون عن أنفسهم دفاع الأبطال بحراهم السودانية فلا يستهان بهم مع كثرتهم ، فانهم منتشرون طول الطريق لا تبعد ثلة منهم عن أخرى الا قليلا ، واللصوص قلما يكونون كثيرين الا اذا كانوا يقصدون سلب القوافل الكبيرة

أمن الطريق وحادثة اعتداء

وقد كان الطريق في هذا الموسم آمنا مطمئنا لم يلقنا أنه وقع فيه اعتداء على أحد الا ما حدث بالقرب مما قانا سمعنا قبل انتهاء الثلث الاول من الليل صوت طلق رصاص استفز الحارسين اللذين معنا فسألتهما ما هذا ؟ قالوا « قوم » وهم يعنون بكلمة القوم اللصوص وقطاع الطريق ، وأشارا علينا بأن نسرع في السير ما استطعنا

وتقصد قهوة كنا نرى ضوءها فنزل فيها ، وتركنا مسرعين بهجانهما الى الجهة التي سمع منها صوت الرصاص ، وطفقنا نحن نلكر حمرنا مسرعين بها الى تلك القهوة فبلغناها بعد جهد وعناء فاسترحنا فيها ساعة وشرب رفيقاي الجندي والمصري الذي الفينا في الطريق الشاي ورأينا هناك أناسا من الفقراء يطلبون من القهوة طعاما . ثم جاء الجنديان مع رجل آخر . فأخبرا أن القوم (قطاع الطريق) الذين سمعنا صوت رصاصهم قد شردوا بعيرين للرجل الذي عاد معهما ولرفيق له وكانا عائدتين من جده بعد بيع ما كانا حملاه اليها وان خفراء الطريق ما زالوا يقتفون أثرهم ، وقال الرجل انه لم ير هو ورفيقه الا لصا واحدا ولكنه مسلح وهما أعزلان

النزل ببحرة

وبعد استراحة الجنديين وشربهما الشاي أكرمت صاحب القهوة واستأنفنا السرى فبلغنا (بحرة) في منتصف الليل تقريبا ورأينا أنوار ركب الحمل المصري بالقرب من الخصاص التي يأوي اليها الحجاج وغيرهم من المسافرين . والخصاص جمع خص وهي البيوت من عيدان الأشجار أو القصب أو غيره من النبات ، وهي هنالك كثيرة تسم الالوف الكبيرة من الناس وعلى جانبي الطريق سوق منها فيه الحوانيت والقهوات وان شئت قلت الخانات أو الفنادق لا يواء المسافرين فيجد المسافرون فيها الماء والخبز واللحم والبيض وأنواعا أخرى من الاغذية وقهوة البن والشاي ، والموسرون من المسافرين قلما يحتاجون الى شيء منها لانهم يحملون زادهم من جدة أو مكة لهم بأن ما يوجد هنالك غير نظيف ولا جيد . والخصاص التي وراء هذه السوق التي في الطريق العام عبارة عن دور يتألف كل منها من عدة بيوت يمكن ان يجعل بعضها للنساء وبعضها للرجال ولها مراحض وراء المساكن . وقد نزلنا في قهوة كبيرة كنا أوصينا بالنزل فيها فاسترحنا فيها ساعتين كاملتين وكنا قد جمعنا فأكلنا مما نحمل من لحوم الضأن والدجاج والسمك والخضر والحلوى والفاكهة وشربنا الماء المثلوج وحمدت الله تعالى حمدا كثيرا . وأحببت ان أعرف ابن نزل جماعتنا فعذر علي ذلك

السرى من بحرة ومسألة أمن الطريق

ولما اردنا استئناف السرى استأذنتي الجنديان في البقاء ببحرة لانهما يريدان

العودة صباحاً الى جدة ، وجاءني بجنديين عربيين من المشاة فقالا هذان من جنود سيدنا الموكلين بحراسة الطريق وهما يقومان مقامنا فسرنا ومشيا امامنا يحمل كل منهما بندقية من الماوزر على كتفه شادا منطقة من رصاصها المنصود في وسطه وهو حافي القدمين ليس عليه الا قميص قصير فسألت أحدهما عن أمن الطريق فقال ان الأمن تام ولا خوف عليكم في الطريق ، قلت أرأيت اذا هجم علينا قوم كثيرون فاذا تغني عني أنت وصاحبك ؟ قال ان القوم الكثيرين لا يعتدون على الافراد أو الجماعة القليلة من المسافرين وانما يقصدون القوافل الكبيرة التي تحمل ما يحتاجون اليه من الطعام ونحوه ، والقوم القليلون لا يتجربون على جنود سيدنا وان كانوا أقل منهم ، وفي الطريق على طوله مخافر متقاربة يمكن ايصال أنباء الاعتداء من بعضها الى بعض بسهولة . وحقا ما قل فانا كنا بعد مفارقة جدة بقليل نرى تلك المخافر على جانبي الطريق وكثير منها في الروابي والهضاب وهي كثيرة متقاربة ، وكان هذان الجنديان كلما أبصرا أحدا في الطريق على مقربة منا أسرعنا اليه قبل وصوله الينا وعرفا حاله . وقد رأينا في طريقنا قبل بحرة وبعدها كثيرا من القوافل قاصدة جدة اما من مكة واما من الطائف وهي التي تحمل الفاكة كالرمان والعنب والسفرجل ، ورأينا ايضا كثيرا من الافراد والجماعات يقصدون جدة . وفي أثناء الساعة الثانية وصلنا الى قهوة استرحنا فيها قليلا واستأذنتي الجنديان بالتخلف وأوصيا جنديا كان هنالك بان يصحبني الى مكة ، وكانت المسافة قد قربت وعلمت منهما انهما جائعان وليس معهما شيء ، فأعطيتهما ما تيسر من الدراهم

ثم أدلجنا وسألت الجندي عن حال الأمن في تلك البقعة فقال ان هذه الارض أرض هذيل الذين أنا منهم وهم لا يسرقون ولا يعتدون على أحد وان ما نوا جوعاً بل يعيشون بمواشيهم وانما اللصوص وقطاع الطريق هم عرب الشمال . وبعد ان أصبحنا وصلنا الى مكان فذكر لي حادثة من الحوادث المثبتة لأمانتهم قل مات في هذا المكان رجل من حجاج المغاربة يظهر انه كان مريضاً فتمب في الطريق فتحول عنه الى هذا المكان للاستراحة فمات فيه وكان له ولد منفرد عنه وصل مكة فلم يجد والده فعاد ينشده في الطريق وكان بعض عربنا قد رأوا الميت ووجدوا معه كيساً

كبرا فيه نقود كثيرة فحفظوه ولما رأوا الولد دلوه على وجهه
دفنه ولم يأخذوا من الكيس شيئا ونشأوا لاخذيه عليه

وجملة القول ان العناية بحفظ الامن في هذا اليوم كانت كبيرة وانني لم اسمع من
أحد من الحجاج شكوى اعتداء على نفس ولا مال، ولكن حدثني الوالدة بعد الوصول
الى مكة المكرمة انه عرض لهم في الليل رجل ادعى أنه من الحجاج المصريين من المنصورة
وأنه فقير لم يجد ما يركبه وكان يحاول أن يركب البعير الذي عليه اسقاطنا وصناديقنا
ففيهره أحد الجنديين اللذين معهم بالكلام فيتحول قليلا ثم يعود، ولم ينصرف
حتى هدده بالضرب واتهمه بأنه يريد ان يركب البعير ليشرده ويذهب به وأنه لابد أن
يكون له رفاق ينتظرونه . وبجوز ان يكون الرجل صادقا ولكن اساءة الظن في هذا
المقام من القطنة . والفضل الاول في هذا الامن الذي لم اسمع بمثله منذ قرون لشخص
الشریف الحسين بن علي . (١) وقد كان السيد الزواوي قال لي منذ بضع سنين أنه
لم ير أقدر من هذا الامير على حفظ الامن في الحجاز كله وسياسة العرب فيه

بحث لغوي في الحجر والفهر والصخر

لم أستفد من حديث هذا الاعرابي الجندي ولا من حديث من قبله فائدة
لغوية تذكر على اني اكثرت من الكلام مع هذا ما لم أذكر مع الآخرين ورأيت
أفصح منهم وذكرت له أبياتا من الشعر العربي فرأيت لا يفهم جميع مفرداتها، ولكنه
امتحنني بالسؤال عن شيء أبيض في الجبل - ولون الجبل أسود بل أصهب - قلت
أي شيء هو؟ قال ما هو مثل الشاة؟ - والفم هناك أبيض اللون - قلت نعم .
قال هذا فهر . وأقول إن المشهور في كتب اللغة ان الفهر الحجر الصغير الذي يؤخذ
باليد ويدق به الجوز ونحوه . وقال بعضهم الذي يملأ الكف ، وذلك الحجر كبير
لا يمكن رفعه بيد واحدة ولذلك رجعت الى معاجم اللغة فرأيت في لسان العرب
بعد تعريفه بما ذكرت آنفا « وقيل هو الحجر مطبقا » ومن المجيب انه قد فسر
هو والفهر وزبادي الحجر بالصخرة ، والصخرة بالحجر العظيم الصلب . وهو تساهل
أو تقصير في تحديد المعاني . والصواب ان الحجر اسم جنس لهذه الاجسام المعروفة

(١) نهنا قبل على ان حوادث الرحلة حدثت قبل المباينة بالملك فبقى التعبير فيها على ما كان عند وقوعها

يطلق على صغيرها وكبيرها وعلى الصلب الشديد اليوسة منها وغيره . وقالت العرب :
استحجر الطين أي يبس فصار حجرا . والصخر ما عظم من الحجارة واحدة صخرة ،
والحصي صغار الحجر واحدة حصاة وجمعها حصيات وحصي . قلها ابن صيده في
المخصص ، وهذا ما يفهمه جميع الناطقين بالضاد من معنى الحجر والصخر والحصي .
وقول اللسان في الفهر « وقيل الحجر مطلقا » على ضممه لا يؤخذ على إطلاقه والذي
ظهر لي من قول أهل اللغة ومن كلمة الاعرابي الهذلي أن أكثر العرب كانت تطلق
الفهر على الحجر الذي يؤخذ باليد الواحدة للدق به والكسر أو الحذف والرجم ، وقليل
منهم أطلقه على ما يؤخذ بكلا يدي لثق شيء أو ضربه ، وأكثر العرب تؤنث
الفهر ، وورد تذكيره في حديث حمالة الحطب فأنها أخذت فهرا وجاءت لتضرب به النبي
(ص) فلم تره فقالت لابي بكر (رض) — وهو معه — : لو وجدت صاحبك لشدخت
رأسه بهذا الفهر . نقله شارح القاموس بهذا اللفظ عن الروض . قال صاحب الهمزية :

وأعدت حمالة الحطب الفهر ر وجاءت كأنها الورقا .
يوم جاءت غصبي تقول أفيمه لي من احمد يقال الهجاء
وتوات وما رآته ومن أب ن ترى الشمس مقلة عمياء

قهوة سالم

وقد بلغنا قهوة سالم مصبحين وهي في حدود الحرم على مقربة من مكة — وكنا
مررنا ليلا بالعلمين المنصورين لحدوده - فصلينا فيها صلاة الفجر ثم لم أملك نفسي من
التعب والنعاس أن اضطجعت فذمت حتى طلعت الشمس . وكنت عازما على الاغتسال
في هذه القهوة لدخول مكة عملا بالسنة وسألت في جدة وفي الطريق عن مكان يمكنني
أن اغتسل فيه فقبل لي قهوة سالم ، ولكنني خشيت على نفسي المرض من الاغتسال
وقتئذ بالماء البارد مع شدة الأعياء فاكفيت بالوضوء . ورأيت أن أمشي ميلا أو ميالين
لتلين عروق رجلي ووركي وأعصابهما المتعبة من طول الركوب الذي طال علي عهده
فعمات وضايقتي دخول الرمل في نعلي فشيت حافيا ضاحيا (أي بارزا للشمس) كسودان
الذكرور الذين كنت أراهم أمامي وخلفي ومن بميني وبمالي منذ خرجت من
جدة إلى أن دخلت مكة

أسرى الترك

ولما قربنا من مكة وظهرت لنا ضواحيها رأينا أسرى الترك الذين أسره العرب في الطائف خارجين منها مشاة في الطريق اليسرى مرسلين الى جدة بخفرهم قليل من الجنود الاعراب ، وفي اليوم الثاني من دخولنا مكة رأينا فيها ضباطهم ركوباً على الابل متلفعين لا ترى الا أعينهم وأنوفهم وهم مرسلون الى جدة بخفرهم قليل من جنود الاعراب المجانة وكان قد بلغنا في جدة خبر فتح الشريف الامير عبد الله للطائف بعد ان حاصرها عدة أشهر وتسليم قائد الحامية التركية غالب باشا الذي كان والي الحجاز له وفد الامير لاستقبال العبد الفقير

ولما بلغنا قهوة المعلم وهي آخر قهوة بين جدة ومكة رأيت صديقنا الاستاذ الكبير السيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة مع بعض ولده وبعض المكين فأقبل لاستقبالنا ونزلت عن دابتي فتعاطنا وتصافحنا وجلسنا للاستراحة وبعد السلام قال لي ان هذا الوقت هو وقت دخول سيدنا الشريف عبد الله نجل سيدنا الامير مكة قادماً من الطائف بعد ان تم فتحها على يديه وقد أعد له احتفال كبير وخرج سيدنا بجميع الشرفاء والوجهاء ورجال الحكومة الى خارج البلد لاستقباله ، ولما علم بأن قدومك يتفق في هذا الوقت أوفدني من قبله لاجل استقبالك وأرسل اليك بغلته هذه مع من ترى من حجاب سيادته لتدخل عليها مكة - وأشار الى بغلة دهما مشدودة مع حاجبين أبيضين اللون بثياب حر كالثياب التي يلبسها قواسه وكلاء الدول - ولو جئت قبل هذا الموعد لرأيت من العناية باستقبالك ما يسرك ولكنك معنا الآن في استقبال صديقك سيدنا الشريف عبد الله ، ولدخلت بك مكة من الطريق التي دخل منها سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقابلت هذه العناية الهاشمية بالشكر والثناء وخالص الدعاء هذا وانت كنت عازماً عند الوصول الى جدة ان أكتب الى هذا الصديق الوفي أكلفه أن يستأجر لي ولن ممي داراً ننزل فيها ولكنه كلمني بالسرعة (التلفون) من مكة فقال ان سيدنا الامير أعزه الله قد أمر باعداد منزل لك مؤلف من دائرتين احدهما للرجال والاخرى للنساء وفيه جميع ما يحتاج اليه من الاثاث والماعون والخدم وهو بقرب الحرم الشريف . وعلمت من هذا الصديق انه كان يتمنى أن ننزل في داره

ضيوفاً عليه لو لم يتفضل (سيد الجميع) بقشر يفتنا بضيافته السنية الهاشمية
وقد تذكرت الآن - والشئ بالشئ - يذكر - ان صديقي السيد يوسف
الزواوي كبير تجار مسقط ومسراتها - الذي مر ذكره في هذه الرحلة وهو من آل
هذا البيت - كان قد كتب الي وأنا في بمباي ثغر الهند الاول سنة ١٣٣٠ يقول
انه بلغه انني عازم على زيارة مسقط ويدعوني الى النزول في داره ولم يكن يعلم أن
سمو سلطانها السيد فيصل رحمه الله وطيب ثراه قد أمر مندوبه في بمباي بدعوني الى
ضيافته وبأن يخبره عن يوم سفري بالبرق (التلغراف) فلما جئت مسقط ونزل السيد
الى الباخرة مع من نزل من ولد السلطان وحاشيته في زورقه البخاري لاستقبالي فيها
أخبرني بما كان تمناء واستعدله من حسن الضيافة لولا ان سمو السلطان نفس عليه
بذلك وقال له أنت تنتظر مثل قدوم فلان على بارنا وتريد ان تستأثر بضيافته من
دوننا ؟ ولكن السيد يوسف أحسن الله اليه أدب لي مأدبة عظيمة في نفس مسقط
دعا اليها جميع كبرائها ووجهائها ومأدبة أعظم وأفخم منها في دار له بمزرعة في ضواحي
مسقط دعا اليها كبراء مسقط ووجهاء البلاد المجاورة لها حضرها عشرات منهم فقضينا
معهم يوماً كاملاً من أطيب أيام الحياة ذكرناهم فيه بآيات الله فآلقينا آذاناً صاغية
وقلوباً واعية . وكذلك الاستاذ السيد عبد الله حياه الله تعالى فإنه أدب لنا عدة
مآدب فخمة ، حضر بعضها أهل العلم والوجاهة من حجاج المغاربة ، وسيجي ذكر
هؤلاء المغاربة في هذه الرحلة

﴿ دخول مكة المكرمة والطواف والسعي ﴾

بعد ان استرحنا قليلاً ركبت البغلة التي تفضل بارسالها الي سيدنا الامير ،
ومشي أمامي حاجباه وركب السيد الزواوي فرسه اللينة السبر ونجلاه السيد عبد الرحمن
دابته وسارا الى جانبي ، وركب مطوف بلدنا (طرابلس الشام) الشيخ محمد الحريري
ونجلاه دوابهما وسارا وراءنا ، فلما دخلنا مكة ومررنا في أسواقها جعل الناس يقومون
على الجانبين تكرماً لمن كرم أمبرهم ومقدمهم من الملكة ، وان كانوا لا يعرفون شخصه
ولا صفته ، حتى اذا ما بلغ السبر بنا بيت الله الحرام ، دخلناه ومررنا فيه من باب

بني شيبه (١) حيث دخله سيد الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلما وقعت المني على الكعبة المعظمة ، التي كساها الله تعالى حلل المهابة والعظمة ، قلت كما كان يقول عمر بن الخطاب عليه الرضوان : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، فحيناً ربنا بالسلام . وقفيت على ذلك بالدعاء الذي ورد ، وإن لم يصح به السند ، : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً ، وزد من شرفه وكرمه ممن حججه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً وتكريماً وبراً .

وظفت طواف القدوم والعمرة سبعة أشواط ، وطاف مهي طوفاناً فاصوة بما يحفظه من الثناء والدعاء — وهو ما اعتاد المطوفون تلقيه للحجاج — وأنا أدعو وأثني بما أعلم وما ألهم . وقد ذكرني المطوف بما كدت أذهل عنه من الرمل في هذا الطواف ، وما يسر فيه من كشف المنكب الذي يكون بالاضطباع ، وبعد الطواف صليت ركعتين وشربت من ماء زمزم ، ثم خرجت من باب الصفا لأجل السعي بين الصفا والمروة ، كنت أحب أن أطوف بالصفا والمروة ماشياً ولكن السعي بينهما سبع مرات عبارة عن قطع ثلاثة كيلو مترات مشياً وذلك ما كنت أعجز عنه في ذلك الوقت لما عرض لوركي من التعب والالام من الركوب عامة الليل على حمار غير فاره لولا الإشتاق له طول الطريق لحسرتي مراراً ، ولم ثني ركبتيه للركوع ، ومنعه جاذبي الرمن من السجود ، فسميت راكباً على البقلة وهو جائز ورملت بها في موضع الرمل وهو ما بين الملبين (الممودين) الأخضرين الناتئين من جدار الحرم . وقد بينت في المناسك أن جميع مناسك الحج قد شرعها الله تعالى على لسان إبراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام إلا الرمل في الطواف والسعي فإنه من آثار نبينا صلى الله عليه وسلم فعله مع الاضطباع وهو عبارة عن كشف المنكب الايمن واظهاره ليظهر قوة المسلمين للمشركين في عمرة القضاء ، إذ كان بلغه أنهم قالوا إن محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ، وكان بلغه عنهم في الحديبية أنهم قالوا

(١) هو الآن في صحن الحرم كأنه قوس منصوب وبقائه في جدار الحرم الشرق بابان يسمى أحدهما باب العباس والثاني باب علي وفي وسط هذا الجدار الباب الذي يسمونه باب النبي (ص) بابه في الجانب الشمالي باب السلام الذي يدخل منه أكثر الحجاج

في المؤمنين : أوهنتهم حتى يهرب

وبعد السعي عدت الى دار السيد الزواوي إجابة لدعوته ففروا بي من طريق آخر وحجاب الأمير أمامي والكثيرون من الناس يقفون في دكاكينهم وفي الطريق من الجانبين فأحييهم بالسلام وبالإشارة حتى اذا ماجئت الدار أعد لي ماء للاستحمام فاعتسلت وتغديت مع السيد ووالده ونمت وكان الحر قد اشتد فلم أنم الا قليلا . وقد أتاني السيد متى تحب أن أذهب بك لزيارة سيدنا الأمير ؟ فقلت له اتني كنت محرما بالعمرة وقد أديت طوافها وسعيها وسأقصر شعري وأتحلل منها ، ولكن ثيابي مع الوالدة والرفاق فتى وصلوا ألبس ونذهب ، ورغبت اليه في الذهاب الى الدار المعدة لنا لاجل انتظارهم فيها ، ولما جئت الدار وجدتني على الشارع العام بجوار باب الحرم الفربي الكبير المسمى بباب إبراهيم ، وقد تأخر وصول الجماعة الى قرب المغرب فلم تنصرف بتلك الزيارة الا ليلا ، وسأذكر لقاء الأمير وشماله في فصل آخر ،

﴿ الحالة الروحية عند أداء المناسك ﴾

وحكم التلبية والطواف والسعي

الحج عبادة روحية جسدية اجتماعية فهو تربية عالية للانسان منفردا ومجتما . أي تربية كاملة له ، فان الانسان مركب من جسد وروح ، وقد خلق لعيش مجتما ، وفي الحج تقوية لجسده ولروحه ولروابطه الاجتماعية

أما كونه رياضة بدنية مقوية للجسد فظاهر في جميع المناسك فالأحرام ضرب من الرياضة والسفر كذلك قد وصفت لك أيها القارئ سفري من جدة الى مكة ، وعلمت بالاجمال ما قاسيت فيه من المشقة ، مع استكمال أسباب الراحة وقرب الشقة . وفي الطواف والسعي رياضة المشي التي يصف الأطباء نفعها ويوصون بها ، فداثة المطاف حول الكعبة المعظمة لا يقل متوسطها عن مئة متر وأقل الطواف سبعة أشواط (مرات) ومن الناس من يطوف في اليوم والليلة أسابيع كثيرة متصلة ومنفصلة ، أما أنا فلم أستطع أن أزيد على سبعة أسابيع في أمثل الاوقات وأعد لها وهو وقت

السحر ، لما كنت عليه من ضعف البدن ، وكان رفيقي وأخي في الله الشيخ خالد يطوف ضمني ذلك أو يزيد . وإذا كان أقل الطواف وهو أسبوع عبارة عن مشي ثلاثة أرباع الكيلو فان السعي بين الصفا والمروة سبع مرات يقرب من مشي ٣ كيلو وأما كونه مقويا للروابط الاجتماعية فلما فيه من التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة في أفضل بقاع الأرض وفي أحسن الأحوال التي يكون عليها الإنسان في هذه الحياة وهي التجرد من شواغل الدنيا والتوبة إلى الله تعالى من جميع المعاصي والآثام وأما كونه عبادة روحية مهيبة للنفس بتقوية شعور الإيمان فهو المقصود بالذات الذي يجب أن يتحرى وينوى ويلاحظ عند كل عمل من أعمال المناسك ، وهالك خلاصة وجيزة من العلم والاختبار في ذلك :

الحالة الروحية في طريق مكة . وتأثير التلبية

كنت قبل عودة المشيعين لي من جدة أبي في السر قليلا ، وأتسكلم معهم كثيرا ، فلما عادوا وولى النهار بأنسه وبهائه ، وأقبل الليل بوحشته وظلماته ، هدأت المشاعر ، وقرت النواظر ، وخشعت السرائر ، وتزاحمت الخواطر ، فكان الغالب منها على الفكر والقلب ، ما يثيره تأثير الزمان والمكان وزَيِّ الأحرام في النفس ؛ فأما الزمان فهو شهر ذي الحجة الحرام ، وأما المكان فهو الطريق إلى بيت الله الحرام ، وأما زَيِّ الأحرام ، فهو الذي كان ينزيتنا به إبراهيم خليل الله ، وإسماعيل ذبيح الله ، ومحمد خاتم رسل الله ، وغيرهم من رسل الله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وكل من حج البيت أو اعتمره ، من أصحابهم وأتباعهم هداة البشر ، فيالها من ذكرى لذي القلب ، يخشع لها القلب ، ويرجى بها رضوان الرب ، بما تنمره من قوة الإيمان ، وطهارة الوجدان ؛ وخلوص السر والاعلان ؛ ولو لم يقترن بها ذكر لسان ، ولا عمل أركان ، فكيف إذا صحبها تكرار التلبية ، التي تزيد حرارتها تذكية ؛ وإخلاصها تزكية : إياك اللهم إياك ليك ، لا شريك ليك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأملت نفسي في تلك الليلة الليلاء ، والطريق الجرداء ، فرأيتني حاسرا حافيا في أزار ورداء ، غير مبالي بما يكون من تأثير الهواء ، وهي حال لم أعهد لها في سالف

الايام ، الا بين جذر الحمام ، وقد كان الهواء عند خروجنا من جدة حارا رطباً ، وكانت الدابة وهي في أول السير تنهب الأرض نهبا ، وهذه ثلاثة أسباب ، يتفصد بها العرق من الإهاب ، ثم كنا كلما أوغلنا في السرى وتغلغلنا في البيداء ، نشعر بجفاف الجو وبرد الهواء ، حتى اضطررت الى اخراج سجادة صلاة كانت تحتي ، فوضعتها على عاتقي فلم تغن عني ، فأخرجت العباءة فتلفمت بها ، جاعلا لاجل الاحرام أعلاها أسفلها ، ولم أخف من أذى يصيبني من برد الليل ولا ضرر ، ولم يعرض لي سأم من طول السرى ولا ضجر ، فان مسني طائف من شيطان الوسوسة : ذكرت الله تعالى فطرده بالتلبية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

ويا لله ما أحلى التلبية في تلك الفلوات ، وما أعظم الانس بها في حنادس الظلمات ، اذا خشعت بها الاصوات ، واستمطرت بها العبرات ، ومن دقائق حكم الشرع استحبابه رفع الصوت بها للرجال ، وتجديدها بتجدد المناظر واختلاف الاحوال ، فرفع الصوت بها ينفي الوسواس ، واذا كان في الليل يطرد النعاس ، وهو آجاب للخشوع ، واذرف للدموع ، واستئنافها عند اختلاف الاحوال وتجدد المناظر ، أدعى الى دوام الذكر وعدم تفرق الخواطر ، فكنت كلما علونا نجدا ، أو هبطنا غورا ، أو نزانا مكانا ، أو استأنفنا سرائنا ، أو اقمنا مشاة أو ركبانا ، جأرت الى الله تعالى : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأثير رؤية الكعبة والطواف بها

تلك التلبية تملأ قلب متدبرها إيمانا وتوحيدا ، وتجرده من الحظوظ والاهواء تجريدا ، وتعدله لزيارة بيت الله والطواف ، وهو في أحسن حال وأتم استعداد ، حتى اذا اكتملت عينه برؤية الكعبة المعظمة ، وراعى القلب ما جلها من المهابة والعظمة ، تذكر أنها أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، وخصه الله بالآيات والبيئات الباقية على بقاء الايام والسنين ، ورأى أمامها مقام ابراهيم عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاة والسلام ، ووجد نفسه حيث كان بدء دين الله الاسلام وحيث انقمام ، فاذا دنا من مهبط الروح الامين ، ومطاف الملائكة والنبين ، والصديقين والشهداء والصالحين —

فلاتسل ثم عن الدموع كيف تنسكب ، وعن الصلوح كيف تضطرب ، وعن الأعناق كيف تخضع ، وعن القلوب كيف نخشم ، ولا عن وجدان الإيمان ، كيف يتألق نوره في الجنان ، ويفيض بيانه على اللسان ، فيحركه بما يلهم من انشاء ، وما يشعر بالحاجة اليه من الدعاء ، وما يذكره أو يذكر به من المأثور ، من مرفوع أو موقوف ، لا تسأل أيها القارئ عن شيء من ذلك ، ولا عن غيره مما يكون عند أداء المناسك ، فمن ذاق هرف ، ومن حرم أنحرف

على هذه الحال تدخل الحرم المقدس ، طاهر القلب والبدن من الحدث والدنس ، فتأتي الركن الاسود ، حيث العظمة والسودد ، فنقول بسم الله الله أكبر ، فيصفر في قلبك كل شؤون البشر ، ثم تبدأ الطواف ، مع النية والاخلاص ، بامس الحجر وتقبيله ان قدرت ، وبالإشارة اليه ان أنت عجزت ، ولا بأس بأن تذكر ما روي من انه رمز الى يمين الله التي لا تشبه الايمان ، وان استلامه وتقبيله في معنى تحية رب البيت ومبايعته على الايمان والاسلام والاحسان ، ومن أنه يشهد لمستلمه يوم القيامة كما تشهد الاعضاء - وبأن تقول بلسانك أو قلبك ، كما قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من قبلك : انني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلك ^(١) لما قبلتك ، فتقبيلك ليس لذاتك الحجرية ، ولا لمنفعة فيك مرجوة أو مضررة مخشية ، ولا هذا الطواف الذي بك يبتدأ وعندك ينتتم ، في معنى عبادة الوثن وتمظيم الصنم ، وإنما هو خضوع لامر الله ، واقتداء برسول الله ، وتمظيم لما عظم الله ، وأنس بالقرب مما نسب الى الله ، يكمل به توحيد الله ، وتنمي به محبة الله ، فمن شأن المحبين الانس بكل ما ينسب الى المحبوب ، ولا سيما اذا تعذر اللقاء وعز الوصول ، وكما نظموا من الاشعار ، في الوقوف بالاطلال والطواف بالآثار

أمر على الديار ديار ليسلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شققن قابي ولكن حب من سكن الديارا

ولما كان الرب العلي العظيم ، الجدير بأعلى مراتب الحب والتعظيم ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، ولا يراه عباده في هذا الدار ، كان من رحمته بالمؤمنين المحبين ،

(١) عبارة عمر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) يقبلك الخ رواه الجماعة كلهم

أن وضع هذا البيت للطائفتين منهم والعاكفين ، ونسبه اليه ، ليكون تعظيمه تعظيماً له ،
 فإذا مضيت في الطواف يمينا مصاحبا لهذه الذكرى ، جاعلا البيت من الجهة اليسرى ،
 فاشغله بالتناء على الله والدعاء لنفسك . ولائك وصحبك ، ولائمتك وأولي أمرك ، فإذا
 بلغت الركن اليماني ، وهو الجنوبي الغربي ، فاستلمه إن سهل عليك فانه على قواعد
 ابراهيم ، التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، ومتى انتهيت الى مقابله وهو
 الركن الاسود ، فقد أتممت من طوافك الشوط الاول ، وبقية الاشواط مثله في
 الشروط والآداب ، كالخشوع والتذكر وترك غير الضروري من الكلام ، وعدم
 التهافت على استلام الركن والحجر عند الزحام ، فإذا أتممت السبعة الاشواط ، فاختتم
 دعائك بين الركتين بقوله تعالى (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار) ثم صل ركتين سنة الطواف ، والافضل ان تصليهما وراء المقام ،
 . تأثير السمي وحكمته

السمي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ، وليس له نقل فلا يفعل في
 كل منهما أكثر من مرة ، ويجب ان يكون بعد الطواف ، ولا يشترط فيه شروط الصلاة .
 فإذا جئت الصفا ، فاقرا كما قرأ الرسول (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقول كما قال
 « نبدأ بما بدأ الله » ثم اصعد درجة أو أكثر واستقبل البيت الحرام ، فإذا رأيته قفل
 كما كان يقول عليه الصلاة والسلام : « لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك
 وله الحمد وهو على كل شيء قدير » لا إله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ،
 وهزم الأحزاب وحده » ، وادع الله تعالى مكررا ذلك ثلاث مرات .
 وتذكر عند السمي أنه ذكرى سمي جدتنا السيدة هاجر عليها الرضوان ، أم أيما
 اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وعلى أيه ، وصفوة بنيه . ويألهما من ذكرى لجد
 العرب الكرام ، ومعجزات الاسلام ، مثبتة لحفظ الله تعالى لهذه الملة ، وهمايته بهذه
 الامة ، حفظتها العرب بالصل المتواتر . ولم تحفظت ما هو دونها من الآثار . وما يحفظ
 بالتأمل والمحاكاة ، يكون أثبت مما يحفظ بالتلقين والروايات ، ولكنهم مزجوا مناسك
 الحنيفة ، بخرافات الوثنية ، فإن كانوا قد وضعوا صنمين على الصفا والمروة ، فقد
 وضعوا ٣٦٠ صنما على الكعبة ، ثم طهر الله تعالى هذه البقاع بالاسلام ،

وأعادها الى ما كانت عليه في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما وآلهما الصلاة والسلام ،
 روى البخاري وغيره من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان
 بين ابراهيم وبين أهله ما كان^(١) خرج باسماعيل وأم اسمعيل ومعهما شنة^(٢) فيها
 ماء ، فجعلت أم اسمعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها
 تحت دوحه — زاد في الرواية الاخرى فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة
 يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع هندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء — ثم رجع ابراهيم
 الى أهله فاتبعته أم اسمعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه يا ابراهيم الى
 من تركنا ؟ قال الى الله ، قالت رضيت بالله — وفي الرواية الاخرى أنها قالت
 اذا لا يضيعنا ، وفيها أنه لما كان عند الثنية أي ثنية كداء حيث لا يرونه استقبل
 بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا اني أسكنت من
 ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من
 الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) قال فرجعت فجعلت
 تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها حتى لما قي الماء قالت لو ذهبت فنظرت
 لعلي أحس أحدا — زاد في الرواية الاخرى حتى اذا نفذ ما في السقاء (أي الشنة)
 عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان
 تنظر اليه — (قال) فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدا فلم
 تحس أحدا ، فلما بلغت الوادي سمعت وأتت المروة ففعلت ذلك أشواط ثم قالت لو
 ذهبت فنظرت ما فعل يعني الصبي فذهبت فنظرت فاذا هو على حاله كأنه ينشغ^(٣)
 للموت فلم تقرها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا ، فذهبت فصعدت

(١) أهله امرأته سارة غارت من هاجر لما ولدت وحملته على طرد هاجر طافها اسماعيل ، وفي الفصل ٢٦
 من سفر التكوين (التوراة) ان ابراهيم استاء من كلامها فأمره الله تعالى باخراجها ووعدة بأن يجعل
 اسماعيل ابنه أمة وفيه انه زود هاجر بخبز وقربة ماء واعطاها ابنها فتأملت في بركة بر سبع وأنه
 لا تند ماؤها وتوهمت أن يموت ولدها ، ناداها ملاك الرب وأراها الماء ووعداها بجعل ابنها أمة
 عظيمة . وان الله كان مع الغلام وأنه سكن بركة فاران . أقول وفاران من أسماء مكة كما في
 معجم البلدان وما يخالف هذه الرواية مما هنالك فمدحهم بآ . وقالوا ان ابراهيم جاء مكة على البراق
 (٢) بفتح الشين والنون المشددة القربة اليابسة (٣) بوزن يفتح معناه يشغى من صدره

الصفاء فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أنمت سبعا — زاد في الرواية الأخرى قال ابن عباس قال النبي (ص) « فذلك سمي الناس بينهما » ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هي بصوت فقالت أغثان كان عندك خير فاذا جبريل — وفي الرواية الأخرى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث فاذا هي بالملك عند زمزم — قال فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض قال فانبثق الماء فدهشت أم اسمعيل^(١) فجعلت تحفر (قل) فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته كان الماء ظاهرا » — ولفظ الرواية الأخرى « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت أو قال لو لم تعرف من زمزم لكنت زمزم عينا معينا » أي جاريا على وجه الأرض — (قال) فجعلت تشرب من الماء ويدربنها على صبيها قال فرأس من « جرهم ببطن الوادي فاذا هم بطير — وفي الرواية الأخرى : فرأوا طائرا عاثفا أي يحوم على الماء — كأنهم أنكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذا هم بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا إليها فقالوا يا أم اسمعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك — وزاد في الرواية الأخرى فقالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء فقالوا نعم ثم قال مصرحا بالرفع « فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم ». اه المراد منه ويليه ذكر عودة إبراهيم إلى مكة لتفقد تركته أي ما تركه فيها وخبر بنائه البيت . وجرهم كقنفذ هو ابن قحطان ولكن رجح الحافظ ان قحطان نفسه من ذرية اسماعيل

فهذا حديث صرح فيه ابن عباس بما يدل على رفعه كله وان لم يسنده إلى النبي (ص) في أوله ، وفيه نص صريح في بيان حكمة جعل الصفاء والمروة من شعائر الله التي يحيا شعور الإيمان بها ، ووجوب التطوف بهما والسمي بينهما . فانه تمثيل يذكر بتلك الواقعة التي هي من أكبر آيات الله ومظاهر قدرته ، وعنايته بتلك السيدة العظيمة القوية الإيمان به والاتكال عليه والثقة به ، وبولدها الذي أراد سبحانه ان يباركه ويجعله أمة عظيمة ، كما هو منصوح في سفر التكوين من أسفار التوراة القديمة ، وأي شيء أجدر بأن تذكره هناك ونمثله كما وقع لاجل الاعتبار به ، وأحيا شعور الإيمان بتصوره ، من رضاء

(١) قوله فقال بعقبه هكذا أي فعل . وقوله ودهشت ففتح الماء والدال ولا يذ بكسر الهمزة

١٢٦ تسخير الله للناس لمجاوري بيته استجابة لدعاء خليله [المنار : ج ٢ م ٢٠]

أم مرضع بأن تقيم مع طفلها منفردين بعيدين عن العمران، في واد غير ذي زرع ولا ماء، لأن الله تعالى قد أمر بذلك أبا ولدها الذي لقنها الإيمان، ورأت ما أيده الله به من الآيات اليناث، وكيف نصره وحده على قومه المشركين الظالمين الأقوياء؟
أليس تمثيل حال تلك الأم جاثمة ظامئة، والملة حائرة، وشاهد طفلها يتلوى ويتمرغ، من شدة الجوع والظما، ويضرب بنفسه الأرض كلما صاب بالصرع، وينشغ أي يشفق من صدره للموت في ذلك القفر، فيسوقها ذلك الألم إلى الفرار من رؤيته بتلك الحال، والسمي بن ذينك الجبلين القريبين من ذلك المكان، تصعد هدامة وتلك أخرى، ضارعة إلى الله راجية أن نجد من عنده غوثا، حتى إذا ما انتهت من الشوط السابع أرسل الله تعالى روحه الأمين الذي يؤيد به الأنبياء، فأنبع لها ذلك الماء، وجعل فيه الري والغذاء، ثم ساق ذلك الركب من جرم إليها، وسخرهم للإقامة عندها، لينربي فيهم ويتذراهم ولدها، ثم يجعله أصلا لهذه الأمة الكريمة، ويجعل ذلك الوادي القاحل صدفة لدرة الكعبة البثيمة، إذ جعله بلدًا يحفظ دينه الذي جعله مثابة للناس وأمانًا، وجعل قلوب الناس تهوي إليه من جميع الاقطار إيمانًا ونسكا، ورزق أهله من الثمرات، وسخر لهم البشر في كل زمان، ألسنا نرى في هذا العام معجزة من معجزات هذا التسخير؟ بلى وقد ابتلى في هذا العام وما قبله الأمم الغنية القوية، المتعصرة في البلاد العامرة الخصبه الغنية، بشي من الخوف والجوع وتقص من الأموال والانس والثمرات، بهذه الحرب الأوربية التي تقطعت به الروابط وقلت المواصلات، واقضى دخول الدولة العثمانية في غمراتها، أن تضرب الدول المحاربة لها حجرا بحريا على جميع سواحلها، فكان الضيق على سكان حرم الله تعالى ألما شديدا، حتى إذا ما أوشتك أن يفتك بهم الموت جوعا، سخر الله تعالى لهم تلك الدول تحمل اليهم الاقوات والأموال، وتنقل اليهم وفود المجاج، وأراهم بهذه الاغاثة العامة، مثالا لتلك الاغاثة الخاصة، أعني اغاثة هاجر وإسماعيل، استجابة لدعاء الخليل، فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم ولرزقهم من الثمرات) وكثيرا ما ذكرت الناس بذلك، في أثناء أداء المناسك،
فمن سعى بين الصفا والمروة علما بما ذكر، تذكر له معتبرا به، فانه يشعر في قلبه بنهاه الإيمان بالله وبرسل الله، ويفهم سر قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله)

باب الاخبار والآراء

﴿ اقتراح عظيم في الاصلاح الاسلامي ﴾

يود بعض الموسرين من المستمسكين بروة الكتاب والسنة، لو يعرفون أمثالهم من الفقراء والمساكين المتجنيين للمعاصي والبدع، المحافظين على الفرائض والسنن، ليؤدوا اليهم ما يجب من زكاة المال وزكاة الفطر وغيرهما من الصدقات، إذ لا تطيب أنفسهم أصرفها إلى فاسق ولا مبتدع ولا مجهول الحال، لما يعلمون من فشو البدع والضلال، وكثرة المعاصي والنفاق، دع المجاهرة بالكفر والاختاد، فالصدقات المفروضة التي يتقرب بها إلى الله تعالى لإقامة دينه، يتحرى صرفها إلى من ينفعها في طاعته، أوفيا أباحه لعباده من الطيبات، لا في المعاصي والمحرمات، ولا في البدع والخرافات، فإذا كانت صدقة التطوع يجوز بذلها لكل مؤمن وكافر، من ذمي أو مستأمن أو عاهد، فصدقة الفرض ليست كذلك. لذلك اقترح علينا بعض هؤلاء الموسرين أن نحصى من نعرف ومن يتيسر لنا أن نعرفهم من المؤمنين المذنبين المتصمين، من فريق الموسرين وفريق المستحقين للزكاة من الفقراء والمساكين، والمؤلفة قلوبهم والغارمين، ومن يلم بادارة المنار من أبناء السبيل، وأن نكون واسطة التعارف والتعاون بين الفريقين، لأن وقوف كل فرد من الموسرين على هؤلاء المستحقين متعذر، وإن منهم من تعدد تأخيرهم الزكاة عن وقتها زمنا طويلا أو قصيرا لاجل ذلك. ولعمري إن هذا اقتراح جليل، ولكن القيام به على حقه عسير غير يسير، وإذا علم الناس أن بعض الناس يعطون صدقاتهم لمجتنب كابر المعاصي والبدع، المحافظين على الفرائض والسنن، يكثر المدعون لذلك وحاملوا الشهادات من العلماء والوجهاء على صحة دعواهم، وأخذ الشهادات على هذا سهل على أكثر الناس في هذا العصر، فإن كثيرا من محبي الصدق يستحلون أن يشهدوا لمن يدعي مثل هذه الدعوى إذا كانوا لم يروا منه ما يصدقها ولا ما يكذبها، وأما غيرهم فلا يتحاشى شهادة الزور وقول الباطل في ذلك، ومنهم من يرى أنه يتقرب به إلى الله تعالى بمساعدة الفقير على تحصيل قوته. وانا على ما نعلم من العسر في ذلك فننظر فيه ونجتهد في القيام به بقدر الطاقة، ونرجو من اخواننا الصادقين إعانتنا على ذلك

السنة الرابعة للحرب

دخلت الحرب في السنة الرابعة من عمرها فشاب لاهوالها الولدان وهي لم تزد الا شبابا ، وخذت بها نار حياة الامم ولم تزد زبراتها الا شجوبا ، وكان أهم أحداث عامها الثالث في الميادين الشرقية ، ثورة الروس على حكومتهم القيصرية ، واستقاط القيصر نقولا عن عرشه ، واعتقاله مع زوجته وولده ، ثم نفيتهم الى سيبيريا حيث كانت حكومته المستبدة تنفي الالوف من أحرار السياميين ، والعلماء والكتاب النابغين ، واكبر العبر في هذا الانقلاب العظيم أن طلاب حكومة الشعب الشيوعية من الروس عجزوا عن جمع كلمة أحزابهم على شكل آخر لحكومتهم ، فانشقت العصا وتفرقت الشيع ، وتعددت الثورات والفتن الداخلية حتى في الجند ، وقد كانت الحكومة الجديدة الموقرة امسكت عن الحرب عقب الثورة وامسك عنها اعداؤها حتى ظن ان هنالك هدنة ، ثم هجمت في هذا الصيف على النمسة ، فشدد الالمان الهجوم عليها ، واستولوا على كثير من ولاياتها ، واعظم ما استولوا عليه قيمة عندهم ريفا

يلي هذا ما حدث قبله من دخول دولة رومانية في الحرب واستيلاء الجرمان على عاصمتها وقسم كبير من بلادها وخروج الملك والحكومة منها واقامتهم في روسية ، ووليها استيلاء الانكليز في الربيع الماضي على مدينة بغداد عاصمة المدنية العربية في الشرق ، وتهنئة الملوك ورؤساء حكومات الاحلاف لملكهم بهذا الظفر ،

واما الميدان الغربي الاعظم فاهم احداثه أن الانكليز والفرنسيين مازالوا يكاثرون الالمان في المدافع والذخيرة وغيرهما حتى كثروهم فيها كما كثروهم في عدد الجيوش ، وان الالمان قد جلوا عن قسم عظيم من أرض فرنسة وامتصوا ورائه في خطأ أقصر من الخط الاول سموه خط هندنبرج نسبة الى قائدهم العام ، وقد استولى الحلفاء على ذلك القسم ، بعد أن صار معظمه خرابا يابا كما توقعنا من قبل ، وداربوا الالمان عند انسحابهم منه حربا عوانا ، ربحوا فيها كثيرا من الاسرى والمدافع ولا تزال الحرب في هذا الميدان سجالا .

﴿ تاريخ هذا الجزء ﴾

صدر الجزء الاول من هذا المجلد في شوال فوجب ان يكون الثاني جزء ذي القعدة وكان جعل تاريخه سلخ شوال خطأ

أوفى الحكمة من يشاء ومن يؤن الحكمة فقد
خيرها كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد
١٣١٥

أوفى عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و «منارا» كنار الطريق ﴾

٣٥. ذي الحجة ١٣٣٥ — ٢٤ الميزان (خ ١) ١٣٩٦ هـ ش ١٧ أكتوبر ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وألقبه وبلده وعمله (وضيافته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء. وأما نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قد منأخراً لسبب كجاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبتنا غير مشترك مثل هذا، ولن مضى على مؤالته شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر محض لا عفا له

﴿ حكمة تحريم الدم المسفوح ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في الدم المنصوص على تحريمه في القرآن الشريف مقبداً بالمسفوح مرة وغير مقيد مراراً وما الحكمة في تحريمه. أفيدوا الجواب ولكم الثواب طيب جمعية الرفق بالحيوان

حسن ذهني

(ج) الدم المسفوح هو الذي حرم الله شربه وأكله وهو الذي يراق من الحيوان بذبح أو جرح أو غيرهما ، وتقييده بالمسفوح هو الذي نزل أولا في سورة الانعام وما نزل بعده مطلقا فهو محمول على ذلك المقيد ومقيد بقيده . واحترز بالمقيد عن الجامد كالطحال ، وعما يخالط اللحم من المائع القليل فإنه لا يسفح . وقد بينا في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة أن حكمة تحريمه أمران أحدهما أنه خبث تستقذره الطباع السليمة فوجب التنزه عن جعله غذاء للمؤمنين الطيبين الذين لا يليق بهم الا الطيبات ، وثانيهما أنه ضار لانه عسر الهضم ويشتمل على كثير من الفضلات العفنة ، وكثيرا ما يشتمل على جراثيم الامراض والادواء الخطرة . فان سهل على بعض البارعين في العلوم الطبية معرفة مثل هذا واتقاء ضرره فهو لا يسهل على جميع البشر من البدو والحضر المحاطين بهذا الدين العام . وتمة الكلام على ذلك في ص ١٣٤ و ١٣٥ من جزء التفسير السادس

(الكتابة وطريق تحصيلها و مكان القرآن والحديث منها)

(س ٩) من صاحب الامضاء بمصر

استاذي الفاضل الشيخ رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فانا نعلم مكاتكم من العلم في هذا البلد لذلك نرجو الاجابة على ما يأتي

ان فن الكتابة والتحرير الذي احياه فينا الاستاذ الامام ما زال يتصعد درجات الكمال حتى إنه ليخيّل لناظر في كتابات هذا العصر أنه بين أولئك الاعراب البائدين أو العباسيين المتحضرين حسب اختلاف درجات الكتاب . وقد توافقت آراء الكاتبين على أن أقوم طريق الى الكتابة النظر في كلام العرب وحفظ الجيد منه والنسج على منواله . وإنا نجد أحسن كلام في جزالة الالفاظ ومتانة الاسلوب وعلو المعنى كتاب الله تعالى وحديث رسوله وأنا نحفظ الكتاب وكثيرا من السنة ومع ذلك أرانا لا نجد شيئا من الكتابة بل لم نصل فيها الى الدرجة الوسطى من ذلك . وقد بلغنا أن بعض النصارى كان يحفظ القرآن لهذا الغرض

وينتفع به فبأي عين نظر اليه ذلك النصراني حتى انتفع به وما بالك ضللتنا هذا الطريق في حين أنا أولى به؟ وكم من رجل ما حفظ شيئا من القرآن ولا عرف شيئا من السنة غير أنه زاول كثيرا من اللغة العربية هو قليل بالنسبة لكتاب الله وسنة رسوله وبهذا طال باعه فيها وذهب فيها مذاهب آباؤها الأولين . قال لهم هي لنا ما يرشدنا الى الصواب . وإنا نرجو الاهتداء بهديك والاستنارة بمنارك ان شاء الله فأجبنا عن ذلك وما السبب فيه على صفحات المجلة لفائدة القراء ولكم الشكر محمد أحمد عليوه

(ج) كان الناس في أول العهد بالنهضة العلمية والأدبية التي جددتها الاسلام للعرب يطلبون اللغة العربية من أهلها بالتلقي والمشافهة ، ولما سرت المعجمة الى الامصار العربية بكثرة مخالطة العرب للمعجم فيها صار أبناء العرب ومواليهم من المعجم يرحلون الى الاعراب في البوادي فيقيمون عندهم زمنا طويلا يتلقون عنهم العربية الخالصة من شوائب المعجمة ، ويحفظون أشعارهم ويروونها كما يحفظون ويروون الكتاب والسنة ، فيتلقاها عنهم طلاب العلم والآداب في الامصار ، بالرواية والدراسة والاستظهار ، ولما استنبطوا منها الفنون لاجل ضبطها وفهمها ، وبيان أسرارها وفلسفتها ، صاروا يتدارسون هذه الفنون في المساجد والدور والقصور مع تطبيق قواعدها على الشواهد من الكتاب العزيز والسنة ، وأقوال العرب وأشعارهم المحفوظة ، فيجمعون بين ملكة اللغة وذوقها ، وبين فنونها وفلسفتها ، ومنهم من كان يضم الى ذلك العلوم الشرعية ، والعلوم العقلية والكونية ، ولا يحول رسوخ ملكاتهم في العلوم والفنون ، دون رسوخ ملكة اللغة في منشور ولا منظوم ، وقد انسلخ القرن الخامس للهجرة والعلماء البلغاء كثيرون ، حتى اذا ما تغير منهج التلميم ، وأسلوب التأليف ، وقل الحفظ والحفاظ ، وكثر الاختصار في الكتب وما اقتضاه من البحث في الالفاظ ، ضمنت ملكة اللسان ، وسقطت مكانة البيان ، وصار جهابذة علماء الشرع واللغة ، والمصنفون في فنون الفصاحة والبلاغة ، لا يستطيعون التغلب من عقل اصطلاحات علومهم وفنونهم البعيدة عن الأسلوب العربي ، الا الى اسجاع متكلفة ، أو عجمة أو عجرفة ، ومن شاء قايس بين عبارة الزمخشري في الكشف وعبارة الفخر الرازي

في التفسير الكبير، وبين عبارة عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وعبارة السعد التفتازاني في المطول والمختصر، فإذا كانت عبارة العلامة التفتازاني في دقتها وتحريرها، نائية عن براعة عبارة الامام الجرجاني في فصاحتها ورشاقة أسلوبها، وإذا كانت عبارة الامام الرازي على بسطها وإيضاحها، تكاد تعد ركيزة عامية في جنب عبارة العلامة الزنجشيري في متانتها وعلو أسلوبها، فما القول في المتأخرين الذين يعدون منتهى العلم الاستعداد لفهم كلام مثل الرازي والتفتازاني، بل القدرة على المناقشة فيه، وإيراد الاحتمالات والاجوبة في معانيه؟

أتى على الأمة العربية بضعة قرون وهي في تدلّ وضعف في اللغة، لا بمضي عليهم قرن ولا عام إلا والذي بعده شر منه، وما سببه إلا تنكب سبيل الأولين في حفظ الكثير من الكلام العربي الحر الفصيح وفهمه، ومعارضة أسلوبه في نثره ونظمه، فكان إذا اتفق لأحد منهم ذلك بإلهام الفطرة، أو إرشاد أحد من بقية أهل المعرفة، فصار كاتباً بليغاً، أو خطيباً مفعّوهاً، أو شاعراً مجيداً، أحال الباحثون ذلك على ندور في الاستعداد، يكاد ينتظم في سلك خوارق العادات، حتى إن ذلك النابغ نفسه يظل غافلاً عن السبب، دع من كان بعيداً عنه أو كان منه على كتب بلغ الجهل من أكثر أهل هذه القرون بهذه المسألة كل هذا ولم تكشفه عنهم سيرة سلفهم، ولا ما يؤثر من العلم وطريقة التعاليم عنهم، ولا ما شرحه الحكيم عبد الرحمن بن خلدون في القرن الثامن في ذلك وفي هذه المسألة بخصوصها عند الكلام على اللغة العربية وفنونها وآدابها، وتحصيل ملكة البيان فيها، فقد وفاها حقها في اثني عشر فصلاً من مقدمته المشهورة وهي الفصل السابع والثلاثون وما بعده إلى الحسين، ذلك بأنه كتب ما كتب والأمة في طور يقل فيها من يقرأ مقدمته فيفقه ويعتبر، ولم يكن كل من يفقه بالذي يقدر على تلافي الخطب، والسير بالأمة في الطريق القصد، وقد استبد بأمر الأمة الأعاجم الجاهلون، وقل العلماء المستقلون وساد المقلدون.

أما هذه النهضة الأخيرة فقد كان حكيماً السيد جمال الدين مقتدح زنادها، وشيخنا الأستاذ الامام قائد جياها، ولكن السائل بالغ في اطراء المعاصرين من كتابها، فنظمهم في سلك الأولين، من الفحول المقرمين، وما هم عيال على بعض

المولدين ، على قلة ما يحفظون من المفردات ، وكثرة ما يخطئون في المركبات :
وأما سؤاله عن حفظ القرآن من النصارى استعانة به على تحصيل ملكة البلاغة
— وهم ثلة من المتقدمين ، وأفراد من المتأخرين ، — بأي عين نظروا اليه وكيف
صار بعضهم بليغاً دون كثير ممن حفظه من المسلمين وأضاف اليه شيئاً من الاحاديث ؟
فجوابه أنهم نظروا اليه بعين طالب الفصاحة والبلاغة ، لا بعين طالب الدين
والهداية ، والامور بمقاصدها ، وإنما يستفيد كل امرئ من كل شيء مفيد بقدر
ما توجه اليه ارادته من فوائده ، وتحصيل ملكة البيان في العربية لا يتوقف على حفظ
القرآن الكريم ، ولكن حفظه يكون مزيد كمال فيها لمن حفظه وقصد منه ذلك ،
لانه أبغ الكلام العربي وأعلاه أسلوباً ، وإن كان أسلوبه معجزاً لا يمكن أن
يحتذى مثاله ، ومن حفظه لا يقصد ذلك منه لا يستفيد شيئاً من بلاغته ، كما انه اذا
لم يقصد الاهتداء به لا يستفيد من هدايته ، ومن هنا تعلم أن حفظه وحده لا يكفي
في تحصيل ملكة البيان في اللغة العربية ، بل يتوقف ذلك على ممارسة الكثير من كلام
بلغاء العرب في المهددين الجاهلي والاسلامي أو العهد الثاني فقط ، وإن هذه الممارسة
هي الاصل في تحصيل ملكة البيان لانها هي التي تحتذى وقد قرأ القرآن الكريم أو
ضعفه لا يكفي خلافا لما تظهره عبارة السائل وما قيل في القرآن يقال مثله في الاحاديث
النبوية وإن كان أسلوبها غير معجز وذلك ان المحفوظ منها قليل ، واكثرها جمل
مختصرة ، فلا تنطبع في نفس حافظها ملكة التصرف في جميع الاغراض والمطانيب .
ومن لم يقصد استفادة البلاغة منهما لم يستفد منها شيئاً . وإن من حفاظ القرآن عندنا من
لا قصد لهم من حفظه الانجويد الفاظه وتوقيع آياته على الانغام الموسيقية ليعجبوا
أو يطربوا من استأجروهم لقراءته في المآتم أو ليالي رمضان ، ومن الناس من
لا ينظر فيه الا بقصد البحث عن آية يمكن التشكيك فيها ، بحملها على غير ما أريد منها ،
ولا يعجزه أن يجد ذلك ، وقد ذم بعض الشعراء وجهاً أبيض أزهر فشبهه برثة
الحيوان ، وذم ابن الرومي الورد فشبهه بما نزه عنه هذا الكلام . « إنما الاعمال
بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »

رحلة الحجاز

٥

مقامنا بمكة قبل الحج

تقدم اني دخلت مكة ضحوة يوم الاحد (وهو الثالث من أيام ذي الحجة بحسب تقاويم مصر وهو ما ثبت لدى حكومة مكة بعد وكانوا يعدونه الرابع في تقاويمها) واتي كنت متبعا بالعمرة الى الحج ، واتي لم أتجاوز يوم الاحد دار السيد الزواوي التي جئتها بعد الطواف والسمي الا مساء اذ جئت المنزل الذي أعد لي من قبل الأمير أحسن الله كرامته ، واتي لم أخرج منه الا ليلا بعد وصول السيدة الوالدة والرفاق الى قصر الأمير للتشرف بزيارته . ولقيت في القصر نبيلة النجيب صديقتي الشريف عبدالله ، وليس في مكة من أنجاله النجباء سواه ، اذ كان قد وجه الامراء الثلاثة عليا وفيصلا وزيدا الى فتح المدينة المنورة والأمير عبدالله الى فتح الطائف — وتقدم ان فتح الطائف قد تم على يديه قيل قدومنا ، وانه دخل مكة منهرفا عنها في وقت دخولنا

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاثنين رابع ذي الحجة علم الناس بوصولي الى مكة مع الحجاج المصريين ، وذكرته جريدة القبلة في عددها الخامس عشر الذي صدر فيه ، فأقبل الكثيرون من الشرفاء والعلماء والوجهاء لزيارتنا وفي مقدمتهم الأمير الشريف عبدالله وبعض من يشار اليهم بعد ، وبقينا الى يوم التروية وهو يوم الجمعة ثامن ذي الحجة لأعمل لنا الاعادة الله تعالى وأخصها التطوف بيته ، والا لقاء الناس في الدار وفي الحرم والاستفادة من مذاكراتهم .

وقد كنت مدة إقامتي بمكة ضعيف البدن بنزف دم كان قد عرض لي لم يسبق لي مثله ، فكنت لا أستطيع الطواف الا في وقت الاصيل ووقت السحر ، وثقل علي الحر على أنه لم يكده يتجاوز الدرجة ٣٥ من ميزان سنتكراد الا قليلا ، ولم اكن أجد راحة في جسمي الا حيث كانت راحة روحي ، وما ذاك الا في الحرم الشريف . ولا يوجد في بطن مكة مكان كالحرم يتخلله الهواء لسمته وكثرة الفجاج الموصلة اليه من

الجهات الأربعة ولولا أن وصفه مبين بالتفصيل في كتب المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والرحالين لوصفته في هذه الرحلة الوجيزة . وكنت أصلي الفجر كل يوم بجانب مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام ، وأصلي المغرب والعشاء في الجانب الشرقي من الحرم مع صديقنا الشريف أبي نجي الذي يمشق فضله وأخلاقه كثير من فضلاء المصريين ، اذ عرفوه بأقامته في القاهرة عدة سنين ، وكانت داره في مصر بجوار دارنا من شارع درب الجمايز ، واتفق ان زارته في جدار الحرم الشرقي بالقرب من باب إبراهيم - وكذا داره - فهي بجوار المنزل الذي أنزلنا فيه كما علم مما تقدم . وكان خدمه يفرشون له في كل أصيل سجادة أو سجادتين تجاه زاويته حيث يصلي مع بعض أصحابه وكنت أنا والسيد الزواوي منهم ، وكنا نجيئه في الاصيل ونخرج بعد صلاة العشاء .

لم أجد قوة على رد الزيارة على كل من زارني ولم أتمكن من احصائهم ، فنويت ان أرجى النظر في ذلك الى ما بعد الانتهاء من أعمال النسك ، ولكنني زرت فوزي بك البكري من سروات دمشق الشام في داره وعبد العزيز بك المصري في منزله وكلا من الشيخ كامل قصاب أحد علماء الشام ومحب الدين افندي الخطيب وقواد افندي الخطيب في ادارة جريدة القبلة وكلهم يعملون فيها ، وكثر التلاقي بيني وبين هؤلاء والحديث معهم في الشؤون السياسية الحاضرة ، وعرف أخبار الحجاز منهم ولم أدخل دار أحد من المكين زائرا الا زاوية الشريف أبي نجي ودار الشيخ محمد صالح الشبيبي ففتح بيت الله الحرام (ورئيس مجلس الشيوخ في الحكومة الجديدة كما يأتي) ثم لم يتيسر لي بعد الحج زيارة أحد ممن زارني كما يعلم مما يأتي الا نائب الشرع الشريف الشيخ يونس افندي فأنني زرته في المحكمة الشرعية وكنت عرفته مجاورا في رواق الشوام بالازهر إذ كان يحضر دروس الاستاذ الامام ، وزرت الشيخ عبد الملك الخطيب من أدباء مكة قبل السفر منها بيوم واحد . وكنت أود أن أزور الشيخ عبدالله سراج قاضي القضاة ووكيل رئيس النظائر في الحكومة الجديدة وأخلو به في داره ساعة للمذاكرة في الشؤون الحجازية فلم أجد فرصة لذلك ، وكان قد تفضل بزيارتي في دار الضيافة الهاشمية وأثنى لي على تفسير المنار وطلب

مني جميع ما طبع منه . وقد رأيت أنه في أقرب منزلة من ثقة الأمير وقلما جئت قصر الامارة الا ورأيت معه أو منتظرا لقاءه .

وأما الشيخ الشيباني فهو كبير بني شيبه حجة الكعبة المظمية ووارثي مفتاحها في الجاهلية والاسلام ، ويقتسم من أكبر بيوت قريش بعد بيوتات الهاشميين عامة والعلويين منهم خاصة ، وهم ينسبون الى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الصحابي الذي فتح باب الكعبة للنبي (ص) يوم الفتح ودخلها معه كما في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة والسير والتاريخ . وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال : أقبل رسول الله (ص) عام الفتح على ناقه لأسامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال « اثني بالمفتاح » فذهب الى أمه فأبى أن تعطيه فقال : والله تعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صليبي (يعني أنه يقتل نفسه بطنه بطنه به حتى ينقذ من ظهره) قال فأعطته إياه فجاء به الى النبي (ص) فدفعه اليه ففتح الباب . وظاهر هذه الرواية ان النبي (ص) هو الذي فتح الباب ، وورد التصريح بذلك في رواية عنه أيضا سندها ضعيف في تاريخ مكة للفناكبي قال (أي ابن عمر) كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله (ص) المفتاح ففتحها بيده . ولكن روى عنه البخاري من طريق فليح انه قال : وقال لعثمان « اثنا بالمفتاح » فجاءه بالمفتاح ففتح له الباب فدخل . وفي هذه الرواية أيضا انه كان مردقا لأسامة على القصور ، وهي ناقته (ص) وفي رواية أخرى للبخاري وغيره انه (ص) أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردقا لأسامة بن زيد الحديث . وقال الحافظ في الفتح : روى عبد الرزاق والطبراني من جهته من مرسل الزهري ان النبي (ص) قال لعثمان يوم الفتح « اثني بمفتاح الكعبة » فأبطأ عليه ورسول الله (ص) ينتظره حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من الحرق ويقول « ما يحبسه ! » فسعى اليه رجل وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه أبدا ، فلم يزل بها حتى أعطت المفتاح فجاء به ففتح ثم دخل البيت ثم خرج منه فجلس عند السقاية . فقال علي (يعني بني هاشم) أعطينا النبوة والسقاية والحجابة ، ما قوم بأعظم نصيبا

منه . فكره النبي (ص) مقاتله ، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح اليه . ثم قال الحافظ : وروى ابن عائد من مرسل عبد الرحمن بن سابط (وهو ثقة) ان النبي (ص) دفع مفتاح الكعبة الى عثمان فقال « خذها خالدة مخلدة ، اني لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق ابن جريج ان عليا قال للنبي (ص) أجمع انا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يا بني شيبه خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة ان النبي (ص) قال « يا بني شيبه كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » اهـ

والظاهر ان ذكر بني شيبه ههنا غلط من النساخ صوابه يا بني أبي طلحة ، فان عثمان بن طلحة هذا هو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة كما تقدم وكانوا كلهم يدعون بني أبي طلحة نسبة الى جدهم أبي طلحة عبدالله بن عبد المزي بن عثمان ابن عبدالدار بن قصي . وقد ذكر الحافظ في ترجمة كل من عثمان بن طلحة وابن عمه شيبه بن عثمان من تهذيب التهذيب من عبارة الاصل عن مصعب الزيري ان النبي (ص) دفع المفتاح اليهما معا وقال « خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم » وذكر عن ابن سعد عن هوزة بن خليفة عن عوف عن رجل من أهل المدينة : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح شيبه بن عثمان فأعطاه المفتاح وقال « دونك هذا فأنت أمين الله على بيته » وذكر الحافظ هذين الحديثين في ترجمة شيبه من الاصابة أيضا ثم قال : وذكر الواقدي ان النبي (ص) أعطاهما يوم الفتح أممان وان عثمان ولي الحجابة الى ان مات فوليا شيبه واستمرت في ولده اهـ وهذا هو الصواب ، وقد استمرت في ولده الى اليوم وبهذا حفظ نسبهم ، وهظم حسبهم ، وقد نزعها منهم بعض أمراء مكة ثم عادت اليهم كما يؤخذ من بعض كتب التاريخ أقول ولاهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام ، التي أقرها الله تعالى ورسوله لهم في محكم القرآن ، وبأن اقرارها لهم كان سبب نزول تلك الآية العظيمة التي هي قاعدة أصول الاحكام ، وعليها مدار اصلاح الانام ، وهي قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها)

(المنار: ج ٣) (٢٠) (المجلد العشرين)

وإذا حكمتهم بين الناس أن يحكموا بالعدل) كما تقدم آنفاً
 وذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور من تخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن
 جريج ، بمعنى ما تقدم وفيه أنه قال وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله
 (ص) من الكعبة وهو يتلو هذه الآية فداؤه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك .
 وذكر هو والحافظ ابن كثير رواية طويلة في هذا المعنى عن ابن عباس أخرجهما
 ابن مردويه عنه من طريق السكابي عن أبي صالح وفيها أن العباس (رض) حاول أخذ
 المفتاح وطلب من النبي (ص) أن يجعل له الحجابة مع السقاية فأنزل الله الآية في
 ذلك . قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية : وهذا من المشهورات أن هذه الآية
 نزلت في ذلك ، وسواء كانت في ذلك أولاً فحكمها عام اه وذكر علماء الحديث والسير أن
 عثمان بن طلحة أسلم في هدنة الحديبية هو وخالد بن الوليد وهاجرا وان شذبة أسلم عام الفتح
 الشيخ محمد صالح الشبي

هذا وانني لم أرفيع رأيت رجلاً مثل رؤيته فصلا من تاريخ قریش في الجاهلية
 والاسلام وتاريخ بيت الله الحرام الا كبير الشيعيين الشيخ محمد صالح . وهو رجل
 جليل النظر لطيف المعاشرة ، حسن المفاخرة ، له مشاركة في العلوم الاسلامية ،
 والآداب العربية ، وحظ من المدنية المصرية ، ورأيت على مشربي في العناية بأمر
 الماء النقي البارد ، فهو لا يشرب من ماء عين زبيدة التي يشرب منها أهل مكة
 بل يستعذب له الماء من يثرب في ضواحيها — كما كان يستعذب الماء من آبار السقيا
 للرسول الاعظم ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم — ويثلج له الماء في داره ، وعنده رواية
 افرنجية من نوع الترمس الاسطواني المشهور يحمل له فيها الماء المتلوج مع قطع من
 الجليد المصنوع اذا خرج هو منها الى سفر قريب كهفة أوجدة . وقد أقام في الاستانة
 زمنا وهو يعرف اللغة التركية

رخاء المبيشة بمكة

وعلى ذكر الثلج أذكر من خبر رخاء المبيشة في مكة المكرمة أن أهل هذا البلد
 الامين يتمتعون أبدا بدعاء ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الذي حكه الله عنه في قوله
 (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ودعائه ان يبارك الله لهم في اللحم عند ما زار بيت

اسماعيل بمكة بعد زواجه الثاني كما ثبت في حديث ابن عباس عند البخاري الذي ذكرنا القسم الاول منه في بيان حكمة السمي بين الصفا والمروة من هذه الرحلة . قالهم في مكة كثير رخيص وهو جيد شديد السمن ، والثمرات والخضر فيها كثيرة رخيصة أيضاً على أنهم يرفعون أثمان كل شيء في موسم الحج . وقد كنا في دار الضيافة الهاشمية نستطاب لنا ألوان اللحم والخضر في كل غداء وعشاء ، ولكن كان يغلّب علي وعلى الوالدة والشقيقة الإقهاء ،^(١) فرغبتنا في الطعام كانت ضعيفة ، ولولا غيب الطائف ورماتها الجيدان لما طابت لنا المعيشة ، وكان لدينا طاه يحسن الطبخ على الطريقتين المكية والتركية ، ثم استعصت الوالدة أن تتولى الطبخ لنا إحدى الجاريتين اللتين خصصتا للخدمة المنزلية ، وأما الثلج أو الجليد فقد قيل لنا انه كان له ممل في مكة وقد كسر وتصل . ووجدنا بعض الهنود هنالك يعملون قطعاً صغيرة من الجليد يجمدونها في قوالب من الزنك ويبيعونها بأثمان غالية جداً لمعتادي شرب الماء المثلوج كالشيخ الشيباني فكنت أشتري منهم كل يوم ، إذ لم أجد ماء كيران الفخار مقبولا وإن كنا في شهر الميزان ، خلافاً للمثل الحجازي القائل : إذا دخلت الشمس في الميزان ، يبرد الماء في الكيزان .

وقد ذكر الرحالة محمد بن جابر الأندلسي في رحلته ما وجد في مكة من الثمرات والبقول كما ذكر غير ذلك من خبراتها ونحفها ، قل : وأما الارزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن ان الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حطوط البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تنقص بالنعيم والفواكه كالذين والمنب والمان والسفرجل ، والخواج والارج والجوز والمقل ... الخ ومن أعجب ما أخبرنا به من فواكه البطيخ والسفرجل وكل فواكهها عجب لكن البطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة ، وذلك لان رائحته من أعطر الروائح وأطيبها ، يدخل به الداخل عليك ، فبعد رائحته البقة قد سقت اليك ، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب ريائه ، عن أكله إياه ، حتى اذا ذقه خيل اليك انه شبيه بسكر مذاب ، أو بجنى النحل الباب ، الخ واطيب في وصف جودة اللحم وسمنه وليته وسهولة هضمه ، وهو كما قل ، ونحن لم

(١) الإقهاء فقد شهرة الطعام

ندرك كل ما أدرك من الثمرات فإنه جاء مكة في قلب الصيف من سنة ٥٧٩ وبقي فيها الى أواخر الشتاء . والبطيخ الاصفر الذي أدركناه دون النوع الجيد منه في مصر المعروف بالشمام

﴿ الاحرام بالحج وشد الرحال الى عرفات ﴾

صلينا الجمعة يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة^(١) في الحرم الشريف وفي ليلة السبت شددنا الرحال الى عرفات محرمين بالحج ، وقد قال لي صديقنا السيد الزواوي في صبيحة ذلك اليوم : ان سيدنا الامير أيده الله تعالى قد كان استحسن أن يخرج معه الى عرفة وتكون في صحبته هنالك وفي منى الى أن تمودوا الى مكة ، ولما ذكر لي ذلك مستشيرا فيه ذكرته بوجود والدكم معكم ، وقلت لعل الاولى أن يخرج في خدمتها لان ذلك آنس لها وأقر لعينها ومزيد ثواب له ، فاستحسن ذلك ، وأمرني بتجهيز الرواحل والمؤنة وسائر ما يلزم وأمر بصرف عشرين جنيها لدفعة عرفة خاصة ، وقد عهدت الى ابراهيم (هو وكيل الخرج والمتولي أمر خدمتنا) باختيار جمال قوية جيدة لكم والجمال في هذه العام قليلة جدا لكثرة مامات منها قبل الثورة لقلّة العلف ، ولو كان الحاج كثيرا كالعادة لما وجد من الجمال ما يكفي ، وقد وصلت أجرة الجمل الواحد الى عرفة ذهابا وإيابا الى عشرين ريالاً مجيداً ، ولولا ان سيدنا الامير حفظه الله أمر عسكر البيشة بجلب الجمال من الاعراب ولو بالقوة لتعذر على بعض الحاج أن يجدوها الا باجرة فاحشة

هذا ملخص ما قاله السيد الزواوي ، فشكرت لسيدنا الامير كرمه وفضله ودعوت له بالتوفيق والتأييد ، ثم للسيد عنايته بنا هو ونجلاه السيد عبد الرحمن ، وتعاهدهما اياتا بكل ما نحتاج اليه في كل يوم بل في كل آن ، وكانت هذه المناية على أنهما عند الحل والترحال ، ففي أصبيل هذا اليوم — يوم التروية — جيء بالرواحل الى حوش الدار ، وتولى وكيل الخرج ووالده شد الشقادف وفرشها بنظر السيد عبد الرحمن وإرشاده ، ثم ركبنا في وقت العشاء ، فكانت السيدتان والدة والشقيقة

(١) سمي بذلك لانهم كانوا يروون فيه ابلهم ويحملونها الماء السكندر لمدوم وجوده في عرفة

في أحسن الموادج ومعها فزلان الجارية طست بينهما خدماهما ، وركبت أنا ومحمد نجيب أفندي في شقوف ، وركب وكيل المخرج مع الأستاذ الشيخ خالد في شقوف ، وركب والد وكيل المخرج الجبل الذي يحمل الخيام والاثاث والماعون والمؤنة ، وركب السيد عبد الرحمن دابة قهرمة ، وسرنا الهويثا في أسواق مكة قاصدين عرفة بعد أن أحرمانا جميعا وأهلنا بالحج من منزلنا ، إلا الذي ذهب بالخيام والماعون فانه سبقنا ، وتأخر عنا السيد الزواوي الكبير ثم أدركننا ، وبعد سري نحو من ست ساعات ، وصلنا الى حيث ضربت خيامنا من عرفات ، وذلك بالقرب من موقف النبي (ص) حيث مسجد الصخرات ، (وسأني قريبا بيان هذا الموقف) ولم يكن في استطاعتنا ان تتبع سنته (ص) في السير بأصحابه الى عرفة

كان من لم يسبق الهدي من الصحابة الذين كانوا مع النبي (ص) في حجة الوداع قد قلبوا حجهم الى عمرة بأمره (ص) وبعد طواف العمرة وسميها قصروا شعورهم وتمتعوا الى يوم التروية ، وكانوا نازلين في خارج مكة ، فلما خرجوا معه (ص) فيه الى منى أهلوا بالحج من الأبطح — وهو ما انبطح من الأرض في أول طريق منى ما بين الجبلين الى مقبرة مكة (الملى) ويسمى البطحاء والمحصب — وقد صلى النبي (ص) الظهر والمصر يوم التروية فمضى وبات فيها ليلة عرفة وأما رحل منها بعد طلوع الشمس ففي ذلك عدة سن لم تنس لنا . والخروج في كل وقت من يوم التروية مباح ، وكره ما قبل التقدم اليها قبله والتأخر عنه الا أن أدركه وقت الجمعة بمكة فيصلها فيها كما فعلنا . وروى ابن المنذر أن عائشة لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب معه . اهـ من نيل الاوطار

صفة الطريق مكة الى عرفات

خرجنا من المنار وهي غربي الحرم بقرب باب المروف باب ابراهيم (١) فسرنا في الشارع الكبير ، ما بين يميننا الى جهة الجنوب الشرقي حيث يكون الحرم الشريف عن يسارنا ويسمى ذلك الموقع بالسوق الصغير ، ويهمن الشارع جياذوفيه ، وهذا الحكومة

(١) ابراهيم الذي أضيف اليه هذا الجبل شرق كان مكة ويطن بعض الناس أن لأبراهيم ابراهيم الخليل (ص) ومن اغتر بطاهر التسمية الرحلة ابن جيم فقال ذلك

والمطبعة والتكية المصرية ، ويليه شارع المسمى حيث يكون السهي بن الصفا والمروة ،
فالتشيشية فسوق الليل الذي كان فيه ميلاد النبي الأعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
وهناك يتحول السائر في الطريق الى جهة الشمال فيمر بالقرية وفيها قصر الامارة هن
يمينه ، قالنقا فالسليمانية عن يساره ، وهذا القسم الشمالي من مكة واقع بين جبل أبي
قيس من جهة الشرق وجبل قميعة من وجبل الهندي من جهة الغرب ، ودونهما جبل
الطع الصغير عند النقا

ومتى جاوز الخارج من مكة عمرانها من هذا القسم يرى عن يساره مقبرتها المعلاة
أو المعلى وفيها قبر السيدة خديجة أم المؤمنين ، وجدة آل البيت الطاهرين ، عليها
و عليهم السلام ، وهذه الجهة هي أعلى مكة وتسمى الحجون (بفتح الحاء المهملة) التي
قال فيها الحارث بن مضاض الجرهمي :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ائيس ولم يسمر بمكة سامر

بل نحن ككنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والحدود العوائر

ويدخل فيها من ثنية كداء (١) التي دخل منها رسول الله (ص) مكة عام الفتح
وفي حجة الوداع وهي في أعلى الجبل الذي على يسار المار الى المقبرة ، ويقال لثنية كداء
الثنية العليا ، وللاثنية الاخرى التي دخلنا منها الثنية السفلى وتسمى كدى (بالضم والقصر)
ومنها خرج النبي (ص) من مكة ، وهي بقرب شعب الشاميين من ناحية جبل
قميعة . وهناك باب الشبيكة المشهور بعد جردل .

ووراء المعلى في طريق منى مكان يسمى البياضية مطلق الهواء ، فيه قصور لبعض
الشرقاء . ومن هناك يتحول طريق منى الى الشرق ، وهو واد يختلف عرضه من
مئتي ذراع بذراع الآدمي الى ألف ذراع بالتقريب ، ويختلف أسماؤه باختلاف
المواقع ، وأشهرها وادي المنحنى الذي قال فيه ابن الفارض

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله

ويليه وادي السلم بفتح السين واللام ويند كر كثيرا في أشعارهم . والضال هو

(١) الثنية بوزن قضية الطريق في المقبة أو المقبة المساوكة . وقال الراغب الثنية من الجبل
ما يحتاج في قطعه الى صعود وحدود ، والمقبة الطريق الوعر في الجبل . وكداء بفتح الكاف والمد .

البري من شجر السدر وهو ذو شواك رزق من شجرة التمر التي في ورقه
القرظ ويدفع به ، وهما من أشجار تلك البلاد .

وأول منى العقبة التي فيها الجرة المنسوبة اليها وسبأني ذكرها . والمسافة بين
مكة ومنى فرسخ واحد أي ثلاثة أميال كما قالوا ، ففي معجم البلدان لياقوت :
منى بالنكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار يسمى بذلك
لما بنى فيه أي براق من السماء - أي دماء الأنعام للنسك - إلى أن قال : وهي
بليدة على فرسخ من مكة طولها ميلان تعد أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن
يحفظها ، وقل أن يكون للإسلام بلد مذكور إلا ولائله بمنى مضرب أم والمراد
بالمضرب المكان الذي تضرب فيه خيام الحاج . وهذه الطريق يقطعها راكبو الخيل
وكذا الحبر في ساعة واحدة وراكبو الأبل في ساعتين . وحسد منى من العقبة التي
فيها جرة العقبة إلى بطن محسر (بكسر السين المشددة) كما سبأني . والغالب فيها
التدكير والصرف ، وقد تؤنث على الأصل في أسماء البقاع وتمنع من الصرف

والوادي بين منى والمزدلفة يسمى وادي المنار ، وتسمى المزدلفة جمعاً أيضاً
ويكثر هذا الاسم في الأخبار والآثار والأشعار ، وهي المشعر الحرام عند الجمهور أو
هو جبل قزح فيها ، قال تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أي في المزدلفة فهي عند
الجبل . والمسافة بينها وبين منى من نهاية حدها الشرقي نصف ساعة لراكب الخيل
أو الحبر الفارحة وساعة أو ساعة وربع لراكب الأبل . وسميت جمعاً لجمعها الناس
في ليلة النحر ، والمزدلفة من الأزدلاف وهو الاقتراب أما للتقرب إلى الله بذكره
فيها أو للأزدلاف إليها منى بعد الأفاضة من عرفات . وقيل إن آدم وحواء تعارفا
في عرفة واجتمعا في المزدلفة وسبأني الكلام على المبيت فيها فليدرك .

والمسافة بين المزدلفة وعرفات ساعة ونصف على الدواب ويمكن قطعها بأقل
من ذلك ، وثلاث ساعات الأبل . وبين المزدلفة وعرفة مضيق الأخشين ووادي
نمرة وبطن عرنة . وقال العلماء إن المسافة بين مكة وعرفة تسعة أميال تقريباً ،
نقله الزبيدي شارح القاموس والاحياء ، ولكنه ذكر عند الكلام على نمرة أنها
على مسافة أحد عشر ميلاً

وفاة الشيخ سليم البشري

شيخ الأزهر

في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لاربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام توفى الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر عن عمر ناهز المئة سنة وقيل جاوزها ، وكان قبل يومين من وفاته سليما مفايا ، وقد نعته ادارة المعاهد العلمية في الأزهر الى رؤساء الحكومة والجرائد اليومية بما نصه :

« أصيب المسلمون في مصر بفقد شيخ المسلمين وكبير علماء الدين حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر ورئيس المجلس الاعلى للمعاهد العلمية والدينية الاسلامية »

« توفى الى رحمة الله قبل ظهر اليوم (الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٧) بعد ما لزم الفراش يومين كان من قبلهما ينهض باعباء المعاهد الدينية ويلقي دروسه العالية في الأزهر بعزم قتي لا تزل منه الشيخوخة ولا يدركه هرم

« وستشيع جنازة الفقيد غدا السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ الساعة ١١ صباحا من محطة كبرى الليمون مرة بشارع كامل فشارع الموسكى الى الجامع الأزهر حيث يجتمع وفود المشيعين من العلماء والطلاب وغيرهم للصلاة عليه . ثم تسير الجنازة الى مدافن السادات لمالكية بقرافة الامام مرة بشارع الغورية فشارع المغربلين فشارع محمد علي ويلقي صاحب العزة حافظ ابراهيم بك على قبر الفقيد مرثاة من نظمه . « أحسن الله عزاء المسلمين في فقيدهم الجليل وتولاه برضوانه ورحمته »

كانت وفاته في داره بالحلمية من ضواحي مصر وبدى الاحتفال بتشيع جنازته في الوقت الذي ذكر في النعي وقد وصفت ذلك جريدتا الاهرام والمقطم بالتفصيل ، قالت الاهرام :

« فجئ بالجنة من الحلمية الى كبرى الليمون بقطار خاص يصحبها أنجال الفقيد وأحفاده وآله وجمهور من العلماء والاعيان . وكان في انتظارها في محطة كبرى الليمون نفسها من الداخل جمهور عظيم من كبار العلماء والموظفين والملكيين والمسكرين

والأعيان والتجار والمحامين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حسن عبد الرازق باشا
وكيل الديوان العالي السلطاني بالنيابة عن صاحب المظمة السلطانية والكولونل ر. ف.
هربرت بالنيابة عن القومسبر العالي البريطاني وحضرة صاحب المعالي إبراهيم فتحي
باشا وزير الأوقاف العمومية بالنيابة عن رئيس الوزراء والميجر ه. م. جريفس أحد
أركان الحرب في الجيش البريطاني بالنيابة عن القائد العام فاللواء السيد علي باشا
مساعد الأذونات الجنرال بالنيابة عن وزير الحرية فالقائمقام إدواردس بك بالنيابة
عن مرقد الجيش فخضرة صاحب المعالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي
السلطاني فخضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية
(ثم ذكرت وكلاء الوزارات باسمائهم وكبار الموظفين والوجهاء بالأجمال وخيالة
البوليس فجاء الطلاب الأزهرين وطلبة مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة ماهر باشا)
ثم وصفت الجريدة السير بالجنائز إلى الأزهر والصلاة عليها فيه وتأبين الفقيد
كما بلغت ، ومنه ان المؤذنين كانوا يرتلون في المآذن التي مرت فيها الجنائز - وكذا
في صحن الأزهر - آيات الأبرار أي الآيات التي وردت في وصفهم من سورة
الإنسان وهي قوله تعالى (ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) الخ
وأقول ان هذا من البدع الخاصة بكبار رجال العلم الديني ومن ينزلونه منزلتهم ولذلك
يظن الكثير من غير المسلمين ومن المسلمين الجاهلين الذين لا يعرفون السنن والبدع أنه من
شعائر الدين . وللمؤذنين في قراءة هذه الآيات طريقة رديئة لو لم تكن قراءتها والاجتماع
لها في المآذن والمساجد بدعا لكأن هذه الطريقة في التلاوة كافية في وجوب الإنكار
عليهم ووجوب منعهم من ذلك على القادر . ذلك أن يقطعون الآيات قطعا يقرأ بعضهم كلها
منها يسكت في غير مواضع الوقف منها فيتم بعض آخر ما بدأ كما يفعل المثلون للقصص في
الملاهي ، فيفصلون بين الصفة والموصوف ، والعامل والمعمول ، يقول بعضهم (ان الأبرار
يشربون من كأس) فيقول آخرون (كان مزاجها كافورا) ثم يقول بعضهم (عينا يشرب
بها عباد الله) فيقول آخرون (يفجرونها تفجيها) وهكذا يفرقون في قوله تعالى (يوفون
بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) بين يوما وما وصف به ، ولو تدبروا الآية لحافوا
ان يمدحهم الله تعالى في ذلك اليوم على هذا التزييق في قراءة كتابه . ومن غريب الاتفاق

انا اقترحنا في جزء المنار الماضي على شيخ الازهر أن يسمي لا بطل البدع من المساجد ولم يكده نوزع الجزء الا وقد قضى الشيخ بحبه ، فمضى أن يقوم بذلك خلفه
ثم قالت الاهرام : وكان الناس من وطنيين وأجانب وقوفا بالعشرات والمئات على جانبي الطريق يحبون الفقيد في مشهده ويترحلون عليه . ثم ذكرت وصول الجنازة الى الجامع الازهر في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والصلاة عليها وقراءة الشيخ محمد الحلاوي قصيدة من نظمه في رثاء الفقيد . وتلاه الشيخ محمد أبو العيون بتأيين مشور أشير اليه بأن يختصره لاجل التعجيل بالدفن المطلوب شرعا ففعل .
ثم حملت الجنازة من الازهر والمؤذنون يكررون الآيات التي تقدم الكلام عليها الى مقابر المالكية من قراقة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وبعد مواراتها التراب أنشد محمد حافظ بك ابراهيم مريثته وتلاه الشيخ محمد فراج المنياوي بتأيين نثري أساء فيه الاطراء فجعل فيه الفقيد من الخفاء الراشد ينبل فضله عليهم في التعبير . ثم عزى جمهور المشيعين أبناء الفقيد وانصرفوا

﴿ مريثة محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

أيدري المسلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سلبا في التراب
هوى ركن الحديث فأى خطب	لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عزى البخاري	ودع الله تعزية الكتاب
فما في الناطقين فم يوفي	عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو بملي	على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسمون عزما	ولا صدته عن درك الطلاب
وما هالت قريحته الليالي	ولا خاتته ذاكرة الشباب
أشيخ المسلمين نأيت عنا	عظيم الاجر موفور الثواب
لقد سبقت لك الحسنى فطوبى	لموقف شيخنا يوم الحساب
إذا ألقى السؤال عليك، لى	تصدى عنك برك للجواب
ونادى العدل والاحسان انا	نزكى ما يقول ولا نحاي
قفوا يا أيها العلماء وابكوا	ورروا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ولنحن أولى يذل الدمع من ذات الخضاب
عليك تحية الاسلام وقفا وأهليه الى يوم المآب

التعازي

ونشرت جريدتنا الاهرام والمقطم تعزية برفية من نائب الملك لمدير المعاهد الدينية وأخرى للشيخ طه البشري أكبر أبناء الفقيد صرح فيهما بأن نهي الفقيد قد شق عليه كثيرا ودعا له بالرحمة والرضوان — و برقيتان أخريان بمعناها من كبير الوزراء صرح فيهما بأنه أسف جدا لعدم إمكان تشييعه الجنازة بشخصه .
وقد تألف وفد من أنجال الفقيد ومراقب الازهر رأسه المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ عبد الرحمن قراعة لاداء الشكر لرؤساء الحكومة وكبراء البريطانيين الذين اشتركوا في تشييع الجنازة بالذات أو بإنيابة الوكلاء عنهم والمعزين فبدؤا بقصر عابدين وسجلوا أسماءهم في (دفتر التشریفات) ثم نائب وزير الحرية وادورودس بك لشكر السردار ثم الجنرال كليتون لشكر القائد العام للقوات البريطانية بمصر على ارساله مندوبا لتشييع الجنازة ثم وكيل الاوقاف لشكره وشكر الوزير وأرسلوا برقيات شكر الى نائب الملك ورئيس الوزراء وقومندان المحرسة ومحافظة العاصمة وحكداؤها

﴿ ترجمة الفقيد ﴾

نشرت جريدة الاهرام ترجمة وجيزة للفقيد قيل انها مستمدة من أهل بيته ملخصها :
انه « ولد حوالي سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤٤ في محلة بشر بمركز شبراخيت ولما شب حضر الى مصر لتلقي العلم وأقام تحت رعاية شيخه الشيخ بسيوني البشري من شيوخ المسجد الزيني ،
وانه تعب في طلب العلم تعباً شديداً ولقي من الدهرفيه مقاومات عظيمة ، وانه كان يتعبد في المسجد الزيني ليلاً ويذهب الى الازهر نهاراً لتلقي الدروس ، وان خاله عين أمينا لكساوي المحمل في أول ولاية سعيد باشا فخرج معه الى الحجاز حاجاً « وبعد ان أدى فريضة الحج عاد الى مصر وبقي يشتغل بالتدريس حتى سنة ١٢٧٣ تقريباً »

== وأن أول عهده بالوظائف أن « عين إماما لمسجد إينال بمرتبة ٩٠ فضة في الشهر » وفي سنة ١٢٩١ مات الشيخ علي المدوي فنيطبه بالتدريس في المسجد الزيني بدلا منه بمرتبة مئة قرش في الشهر وعين وكيلاً عن شيخ المسجد الزيني لحدائثة سنة

وهو الشيخ أحمد الصفتي الشيخ الحالي وهي كذلك الى آخر ولاية اسماعيل باشا . ثم عين إماما وخطيبا لمسجد زين العابدين ثم شيخا للملكية بعد وفاة الشيخ عليش ثم شيخا للازهر لأول مرة في سنة ١٩٠١ وكانت مدته أربع سنين . وذكر من حبه للعلم وإثاره له أن تلميذه قدري باشا عرض عليه وظيفة بثلاثين جنيا فأبى مفضلا الانتفاع الى تعليم العلم . ولم يذكر تلك الوظيفة فالظاهر أنه لم يكن يمكن الجمع بينها وبين التعليم .

وذكر مسألتين من خلائقه أحدهما أنه كان اختار الشيخ أحمد المنصوري شيخا الرواق الصاعدة فأبى قاضي مصر إقامته ناظرا على أوقاف الرواق فأصر صاحب الترجمة على تعيينه دون غيره « ورأى في العدول إهدارا لرأيه وبالغ في الثبوت برأيه حتى فضل ترك المشيخة على التجاوز عن حقه المفروض بحكم القانون » والثانية أنه لما جدد المسجد الزينبي رأى رئيس مهندسي الأوقاف أن ينقل القبر المنسوب الى السيدة زينب بما فيه فعارضه الشيخ وأعلمه أن ذلك مخالف للشرع من وجوه عديدة ، وانتهى الخبر الى الخديو محمد توفيق باشا فأمر بابقاء القبر في مكانه وترضى الشيخ فتم له ما أراد . ولما كانت نشأة الشيخ الدينية قد كانت في جوار ذلك الضريح وصار قريبا له عدة سنين ظل محافظا على نصره بطول عمره ، ولا ندري أكان يعتقد أن السيدة زينب مدفونة في هذا المكان كما يظن عامة المصريين أم كان يرى أن نسبة القبر اليها كدونها فيه ؟

وفي هذه الترجمة أغلاط وقصور . وقد علمنا من عالم من أكبر تلاميذ الفقيد وأعلمهم بترجمته أنه سمع منه أنه ولد في سنة ١٢٣٧ وأنه جاء مصر في سنة ١٢٤٥ أو ١٢٤٧ وأقام عند خاله الشيخ بسيوني شلتوت المؤذن في مسجد السيدة زينب . ثم قضت الحال أن أرسله الحال الى الأزهر

وقد رأينا في جريدة وادي النيل التي تصدر في الاسكندرية — وهي أرقى جريدة للمسلمين في هذا القطر — نميا للفقيد وشيئا من حاله يبلغ زهاء نصف عمود بدأه بقوله : « نمت العاصمة الاستاذ الشيخ سايبا البشري شيخ الجامع الأزهر عن عمر طويل قضى شطره الأكبر في خدمة العلم وقضى أواخره في ولاية المشيخة الأزهرية غير مرة . وكان رحمه الله في ولاية المشيخة ذا أنصار يحفون من حوله وخصوم

كثيرين يأخذونه بأمور ليس من المناسب ذكرها » ثم ذكر ان علماء الازهر متفقون على أنه أعلمهم بالحديث وان طريقته في قراءته انه كان يقرأ الحديث أولاً على سبيل التبرك ثم يقرأه أحد الطلبة بصوت جهوري ثم يشرحه الشيخ بما شاء الله من علمه . أقول وهذه المزية له بشهرة سمعتها من كثيرين وعاليها بنى حافظ مرثيته ، وهي أعظم مزية تذكر له في هذا العصر الذي أهمل الازهر يون فيه العناية بعلم السنة رواية ودراية حتى صار طلبة العلوم الدينية في ديوبند وغيرها من بلاد الهند يفضلون أكبر شيوخ الازهر في علوم الحديث . وانما كان الشيخ سليم البشرى على حظ من علم الحديث لانه طلب العلم قبل هذا الجيل بجيلين وكانت كتب السنة لا تزال تدرس في الازهر . وقد أدركنا من أقران الشيخ في الطلب شيخ شيوخنا الشيخ محمود نشابة فالفيناها منفردا بعلوم الحديث ، وقد كنت أقرأ عليه صحيح مسلم فيصحح لي أسماء الرواة وغريب الحديث ويحجيني عن كل ما أسأله عنه من المشكلات على البداهة من غير مراجعة شرح ولا كتاب آخر . فاذا رجعت الى تلك الكتب رأيت ما قاله هو الصواب . ولكن صاحب الترجمة لم يعمل شيئاً لاجاء ما ندرس من علوم الحديث في الازهر في أيام رياسته ومشيخته

وعندنا ان أعظم ما يدكر في تاريخ مشيخته للازهر قبوله للقانون الذي وضعته الحكومة له ولمعاهد التعليم الديني التابعة له وتنفيذه إياه ، وقد بينا رأينا فيه في المجلد الرابع عشر من المنار ، ولا مجال لبيان ذلك ولا لما كان بين المترجم وبين الاستاذ الامام من الوفاق والخلاف في ادارة الازهر ، وانما أقول ان المترجم كان حريصاً على نيل رضا السلطة العليا في كل وقت ، وقد فصلنا ذلك بعض التفصيل في تاريخ الاستاذ الامام (للترجمة بقية)

﴿ شيخ الازهر الجديد ﴾

لما توفي الشيخ البشرى كثر القبل والقال في الازهر في ترشيح خلف له وسرى ذلك الى صائير معاهد العلم الديني التابعة للازهر والى غيرها واشتهر أن الازهر بين رشحوا أربعة أشياخ كل منهم له حزب رشحه ، وسعى له سعيه ، وقد كتب بعضهم مقالات الى الجرائد يطمعن فيها بيهض ، منها ما نشر ومنها ما لم ينشر ، واتسم الوقت للخوض في ذلك

بأن البشري توفي قبيل عطلة عيد الاضحى ولم يتعين الخلف له الا بعد انتهائها فقد صدرت الارادة بتعين الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي شيخ معهد الاسكندرية شيخا للأزهر ورئيسا لمجلس المعاهد الدينية الاعلى في يوم الاثنين لاربعة عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام ، وهو أكبر علماء المالكية بعد البشري سنا ومن أشهر علماء الأزهر في العلم والمحافظة على آداب الشيوخ وشيئاتهم، ويقال انه في العقد الثامن من العمر، وقد سبق له الاشتغال بإدارة الأزهر إذ كان أحد أعضاء مجلس إدارته في مشيخة الشيخ حسونه النواوي ثم عين وكيلاً للأزهر وبعد قليل من الزمن عين شيخاً للمعهد الاسكندرية. فنهته بأكرم منصب يرتقي اليه شيوخ العلم الديني بمصر ونسأل الله تعالى ان يوفقه ويسدده فيه ويجعل لاهياء علم السنة ومقاومة البدع أفضل حظ من عنايته

عبر التاريخ

ما قيل في فتح الانكيز لبغداد

قالت جريدة المقطم في فائحة مقالة طويلة نشرت في صدر العدد الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ - ١٣ مارس سنة ١٩١٧

«قضي الامر في العراق وسقطت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ومبارة مجدهم وعنوان فخرهم، واستولى البريطانيون على منبت أثلة المنصور والمهدي وهرون الرشيد والمأمون وموئل العلماء والشعراء والادباء في عصر الشرق الذهبي الحديث. أي ذكرى تهيج في خاطر العربي اذا ذكر اسم بغداد والزوراء ودار السلام؟ بل أي مجد يتحلى لبيته عند سماع اسمها من دولة عظيمة الاركان، متينة البنيان، قامت على العدل والنظام والعلم والامان، وشعب ناهض ناشط لطلب العلم واتقان الصناعة وترويج التجارة، وتوسيع نطاق الزراعة وبسط السيادة، وازدهار مصباح العلم لتزيق دياجير الظلام.

بغداد دار العلم والمجد وبغداد مقر المظلة والثروة وبغداد عاصمة العرب وقاعدة الشرق هذا ارث مجيد ظل بيد الشرقيين اثني عشر قرناً شاهداً ناطقاً بعظمة أسلافهم يناوح خرائب بابل وآثار نينوى حتى صار أمره الى الانحاديين فضاء منهم كما ضاع سواه، وصارت بغداد في يد من يعرف قبمتها ويقدرها حق قدرها

هذا ميراث العرب الكرام أخذه الانحاديون كما يأخذ الصبي الكرة وقذفوا به كما يقذف بها فأفلت من يدهم وهم يسبرون الجيوش الى بلدان أوربة فأنجمن وثغور تركيا وكبار مدنها تسقط الواحدة بعد الأخرى . هذه سنة الله في خلقه وقد سخر الانحاديين لانفاذ مشيئته وأنزال قضائه »

ثم قال في فاتحة العدد الذي صدر في ٢٢ جمادى الأولى بعد كلام علل فيه تسمية الجرائد الانكليزية بغداد مدينة الشعر والخيال بأنهم أخذوا ذلك من كتاب الف ليلة وليلة الذي هو أشهر كتاب عند الانكليز بعد التوراة والانجيل :

« أما العرب فينظرون الى بغداد من وجهة أخرى وان لم ينفلوا وجهة الشعر والخيال فالعرب في مقدمة الأمم التي نبجل الشعر والشعراء ولكن العرب يرون في بغداد القديمة عنوان مجد جنسهم، ورمزاً الى أكبر شأ وبفته حضارتهم، ويذكرون ان عصرها الأول كان عصرهم الذهبي إذ منها انبج صبح العلم في المصور الحديثة فأضاء الشرق والغرب » ان العرب يرون في بغداد الأولى مقر العلم والحكمة، وخزانة معارف الشرق، ومدرسته التي نبغ فيها العلماء والأطباء والفلاسفة والفلكيون والكيمائيون والشعراء والكتاب والقويون والمهندسون برعاية العباسيين وعناية أفاضل خلفائهم ولا سيما المأمون الذي كان عضد العلم وسند العلماء

« قال السر هنري رولنسن المؤرخ الشهير في كلامه عن بغداد ما نصه: [وقد نافست بغداد قرطبة في الآداب والعلم والصناعة والفنون فكان لها تين المدينتين سيادة العالم من هذا القبيل . أما في التجارة والثروة فان قرطبة لم تبلغ شأو بغداد . وكانت بغداد عاصمة الاسلام الدينية والعاصمة السياسية لمعظم بلدانه لما كان الاسلام ركن حضارة الدنيا] » هذه هي بغداد كما براها العرب الذين يعرفون تاريخ قومهم، ويحفظون ذكر عظمة جنسهم ، ويتحسرون على أيام الرشيد والمأمون، ويتمنون لو اتيح للعرب ان ينهضوا مثل نهضتهم في ذلك العصر السعيد ، ويتعاونوا على رفع شأنهم باتقان العلم وتنشيط الصناعة والتفاني في تأييد المجموع

« كانت بغداد لسلطنة العرب كلندن اليوم لسلطنة البريطانيين ، فكانت مركز قوتهم، ومجمع علمهم، وركن صناعتهم، وسوق تجارتهم، ومجلس حكومتهم، وكان خلفاءها

ينظرون في الجهات الأربع ويعلمون أن الرياح كيفما هبت فانها تهب عليهم من ولاياتهم
 وهم الكهم حتى لقد قال الرشيد مخاطب السحابة « طري حيث شئت فان خبرك يأتيني »
 « ان بغداد صارت الآن للعرب مدينة الشعر والخيال اذ لا سبيل الا بهما الى
 تمثل عظامتها الماضية ، أما في عصر العرب الذهبي فقد كانت بغداد جلصة لاهية
 الملك وشرف العلم ومجد الصناعة وعظمة التجارة واتقان الفنون وبراعة النظام ، فكان
 الخيال والشعر فيها تفكها يلطغان من أخلاق أهلها وهم في طلب العلم جادون ، والى
 التقدم والارتقاء والنجاح ناشطون ، وفي ذلك يقول أحد شعرائهم :

بغداد أيتها الجياد قلها أنجى وأقرب للشؤون وأنجح

« والله در ذلك المستشرق القائل ^(١) : [في بلاد سكانها من صميم العرب الذين
 عرفوا بالبرعة والافتة والشعم ودانت لهم الاقطار ، فتحتوا الممالك ودوخوا الامصار في
 غابر الاعصار ، وأنشأوا لهم في التاريخ مجداً خالداً ، وذكرأ باقياً ، فذاع فضلهم ، وطار
 شهرتهم ، وتناقلت الركبان أخبارهم ... هناك جنة عدن وهناك جنات النعم ، كانت
 راقلة في حلل الهناء والرخاء أيام كانت انكلترا والمانية فيافي وقفاراً ، وكان أهلها غارقين
 في بحار الجهل يتخبطون في دياجى الظلام . بلادكم أيها العرب هي البلاد التي أزهرت
 فيها الحضارة وأينعت الفنون وأمر الادب وعمرت دور العلم والفلسفة وهي البلاد التي
 انبعث منها نور الدين وألبست العالم ثوب الرفاهية والسعادة]

« ترى هل يكون للعرب نصيب من يقظة العالم بعد الحرب ويد في نهضته
 القادمة فيحل الجاء محل الخيال ، وتطلق العقول والقلوب مما أصابها من الفتور ، وتنزل
 هذه الامة المنزلة التي تجدر بها في مجالس الشعوب ؟ أو تظل تعود بصرها القهقري
 الى عصور مضت ، وأيام انقضت ، تفدى بالذكري ، ونصعد الانقاس الحرى » اهـ

(١) أي في مقالة نشرت مترجمة في المقطم بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

﴿ حجم المثار ﴾

اضطررنا اقتطاع ورود الورق وغلاؤه المضاعف الفاحش الى تصغير حجمه رجاء
 الزيادة في أجزائه وهو ضرورة نتقدر بقدرها ، وعسى أن لا يطول أجلها .

بؤني الحكمة من بقاء ومن بؤن الحكمة فقد
أوفى غيرة كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الله

قد عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام عمى و «منارا» كمنار الطريق﴾

٢٩ المحرم ١٣٣٦ — ٢٢ العقرب (٢ خ) ١٢٩٦ هـ ١٥ نوفمبر ١٩١٧

فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قد هنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمشل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ حكم تارك الصلاة ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأرجوكم تعريفنا على صفحات المنار
الأغر عن حكم تارك الصلاة بغير عذر في نظر الشرع وهل الاحاديث التي وردت
بخصوص ترك الصلاة تؤخذ على ظاهرها أو فيها ما يحتمل التأويل كما يقال ؟ اماما
أعلم من الاحاديث الواردة في تارك الصلاة أو المتخلف عنها فهو الموضح بعد فان
كان هناك أخرى أرجو التفصيل بإيضاحها في الاجابة . قال صلى الله عليه وسلم : —
١ « بين العبد والكفر — وفي رواية الشرك — ترك الصلاة فاذا تركها فقد
أشرك . وحوضي كما بين أيلة الى مكة أباريقه كهدد نجوم السماء له ميزابان من الجنة
كلما نصب أمداه ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً وسيرده أقوام ذابله
شفاهم فلا يطمعون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشراب يومئذ »
٢ « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (يريد طبعاً العهد
الذي بيننا وبين الكفار)

٣ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

٤ « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

• والذي نفسي بيده لقد هممت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم انه يجب عرفاسمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء» فأرجو بهد النظر في هذه الأحاديث التكرار بتفهيما درجة صحتها وعمّا اذا كان في ظاهرها شيء . يحتمل التأويل خصوصا في لفظة الكفر أو الشرك هذا والسبب الذي ألباني الى عرض سوء الى هذا على فضيلتكم هو ذلك التهاون الغريب في أمر الصلاة بين من يسمون أنفسهم مسلمين الآن وظنهم ان تاركها لا يخرج عن كونه عاصيا بسيطا مثل باقي العصاة مفتوحة له أبواب التوبة في أي وقت شاء فيه الصلاة وذلك بالرغم مما ورد في أمرها في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من التشديد والوعيد . لذلك أرجو أن تكون الإجابة مفصلة الشرح لها تكون فصل الخطاب فيما عليه شياتنا المسلمون المتفرنجون من الحيرة في حكم تارك الصلاة بغير عذر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعي

علي مهيب

بتفتيش عموم التفراقات

(ج) يجد السائل في المجلد الثامن عشر من المنار ما يغنيه عن تفصيل القول في هذه المسألة وهو رسالة للشيخ محمد أبي زيد من طلبة دار الدعوة والارشاد اسمها (البرهان على خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الإيمان) نشرت في ص ٥٠٥ و ٥٦٢ و ٥٨٦ وما بعدها أورد فيها كثيرا من الآيات التي استدل به على كفر من ذكر وبعض الأحاديث المؤيدة لدلائلها على ذلك ، وذكرنا فيما علقناه في حواشينا وما ذيلناها خلاف العلماء في المسألة والجمع بين الأقوال . وان أدري أريد السائل الآن أن أتوسع في شرح المسألة واستيفاء ماورد فيها من النصوص لزيادة الايضاح وتكرار تذكير التاركين لهذه الفريضة التي هي عماد الاسلام ؟ أم لم يقرأ تلك الرسالة وما علقناه عليها ؟ وقد يستدل بما أوردته من الأحاديث وسؤاله عن غيرها انه لم يقرأ الرسالة ، على أنه من أشد قراء المنار عناية بهذه المسائل كما نظن ، فنحنه أولا على مراجعتها وقراءتها ونرشدنا الى كتابين جليلين في المسألة أحدهما

(كتاب الصلاة) لامام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، (وكتاب الصلاة وأحكام تاركها) لناصر السنة ابن القيم رحمه تعالى ، والكتابان مطبوعان معا .
فاذا أشكل عليه بعد الاطلاع على ما ذكر أمر فليسأل عنه

أما الحديث الاول مما أورده في السؤال فصدره الخاص بالصلاة في صحيح مسلم وأكثر كتب الستين والثاني رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي والنسائي والثالث والرابع والخامس في الصحيحين وغيرهما الا الثالث فقد رواه البخاري دون مسلم ، وبما قيل في السادس انه في تهديد جماعة من المنافقين وأنه في صلاة الجمعة خاصة أو الجماعة مطلقا فلا حديث التي أوردها في الموضوع كلها صحيحة . وقد ورد في معناها أحاديث أخرى

وانني أذكر كلمة وجيزة في المسألة تنيد السائل بفضل فائدة في المسألة وان كان يمكنه مراجعة المجلد الثامن عشر من المنار ولاكتفاء بما فيه لانه من قدماء المشتركين الذين يحفظون المنار وقد تكون ضرورة للذين اشتركوا في المجلد التاسع عشر والمجلد العشرين ومن يتعذر عليه مراجعة ما أعلنا السائل على مراجعته :

« ان الكفر والظلم والفسق وما اشتق منها قد استعملت في لغة الكتاب والسنة استعمالا أعم وأوسع من الاستعمال الاصطلاحي الذي جرى عليه المتكلمون والفقهاء . فهو لا قد جعلوا الكفر مقابلا للإيمان والاسلام فالمسلم الصحيح الإيمان قد يكون عندهم فاسقا وظالما ويطلق عليه هذان اللقبان ولكن لا يطلق عليه لقب كافر . وفي لغة الكتاب والسنة تطلق هذه الالفاظ على ما يقابل الإيمان والاسلام وعلى بعض كبائر المعاصي التي اختلف أئمة الفقهاء والمتكلمين في كفر مرتكبها بمعنى خروجه من ملة الاسلام كالصلاة وكذا على ما أجمعوا على انه غير كفر بهذا المعنى كالنياحة على الميت . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » وأهل الاثر يتبعون النصوص في ذلك ويقولون بكفر كل من أسند اليه الكفر أو وصف به في الكتاب أو السنة وما كل كفر عندهم خروج من الملة بل هنالك كفر دون كفر ، وهم ثلة من الاوابين وقليل من الآخرين . وأهل المذاهب يتبعون مذاهبهم في كل مسألة فيفرقون بين النصوص

يؤولون بعضها ويأخذون ببعض اتباعا لمن قلدهم لا للنصوص
 والتحقيق الجامع بين النصوص ان من كان مؤمنا صحيح الايمان مسلما صادق
 الاسلام لا يخرج من ملة الاسلام تركه لصلاة كسلا أو ارتكابه لكثرة من المنهيات
 بجهلة يتوب منها ولكن الايمان الصحيح هو ايمان الاذعان والخضوع الفعلي لاوامر الله
 ونواهيه الذي به يكون المؤمن مسلما . وقد يكون المرء مؤمنا غير مذعن كابليس ومن
 قال الله تعالى فيهم من أئمة الكفر (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ومن
 قال فيهم (فاتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وغير هؤلاء ،
 وهل يعقل أحد ينصف من نفسه ان يكون من أوائلك المؤمنين المذعنين من يترك
 عماد الدين وأعظم أركان الاسلام بغير مبالاة ويصر على ذلك غير مكترث للآيات
 والاحاديث الكثيرة في الامر بها والترغيب فيها والبيان لفوائدها ومكانتها العليا من
 الدين والترهيب والزجر عن تركها والوعيد الشديد عليه وتسميته كفرا في أحاديث
 صحيحة ظاهرها ان المراد به كفر الاعتقاد لا كفر النعمة أو كفر العمل كما قيل ؟
 وممن قال بكفر تارك الصلاة من أئمة السلف إمام الأئمة علي كرم الله وجهه
 وقد أول الجمهور الاحاديث الواردة في ذلك بما أشرنا الى بعضه آنفا وحملها
 بعضهم على الاستحلال ولا خلاف في كفر من استحل حراما مجمعا على تحريمه مملوما
 من الدين بالضرورة كترك الصلاة والزكاة من الفرائض وكفعل الزنا وشرب الخمر
 من المحظورات . واستحلال الشيء هو عده حلالا كما قال ابن منظور في لسان العرب .
 فاذا كان المراد به الاستحلال بالفعل وهو أن يكون المحرم عند مرتكبه كالللال في
 عدم تخرجه من فعله ولا احترامه لامر الله ونهيه حتى كأنه لم يفعل شيئا فهذا هو الذي
 لا يعقل أن يصدر من مؤمن . وإن كان المراد اعتقاد أن الشرع أحله فهذا محال
 على نشأ بين المسلمين . ولا أعرف لا مكان الجمع بين الايمان بما جاء به محمد (ص)
 وبين ترك فريضة منه أو ارتكاب محرم الاضرة واحدة وهي الغرور بالاماني
 كالمغفرة والشفاعة وجعل الفاسق ذلك كالمقطوع به ، وقد كشفنا الشبهة عن وجه
 هذا الغرور مرارا في التفسير وغير التفسير والله أعلم

رحلة الحجاز

٥

عرفات ومحدودها

كل من عرفة وعرفات (بفتح العين والراء فيهما) اسم لتلك البقعة الشريفة من الأرض التي هي من أشهر البقاع عند ألوف الألوف من البشر . وعرفات اسم مفرد ينون كأذرعات وليس جهما لعرفة، وجوز أن يكون أشير بصيغة الجمع إلى كون كل مكان أو قسم من تلك البقعة يتحقق فيه معنى التعارف أو التعرف الذي عللت به التسمية كما يأتي قريباً . ويحتمل أن يكون بعض قدماء العرب مدّ فتحة الفاء وأشبعها في الشعر ثم كثر فصار اسماً مستقلاً ، ونظيره قول الشاعر في عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون) أبكاك دون الشعب من عرفات بمدفع آيات إلى عرفات

وقول عمر بن أبي الكنات الحكمي المعفي

عفت الدار بالهضاب اللواني بين توز فلتقى عرفات

وظاهر عبارة لسان العرب أنهما موضعان قال : وعرونة وعرنة موضعان وعرفات موضع دون عرفات إلى أنصاب الحرم ، قال لبيد :

والفيل يوم عرفات كهكما إذ أزمع المعجم به ما أزمعا اه

وأقول : ليس دون عرفة موضع يسمى عرفات غير بطن عرنة الذي يذكره جميع العلماء . وأخطأ من قال أن عرفة مولد ليس بعربي صحيح ومن قال أنه اسم لليوم التاسع من ذي الحجة ، وإنما يقال أنه يوم عرفة بمعنى أنه يوم الوقوف بها كما يقال يوم التروية وليس ~~هك~~يوم عاشوراء . وقد ورد اسم عرفة في الأحاديث الصحيحة علماً للبقعة وكذا في كلام الصحابة وسياقي شيء منها ، وعليه جرى العلماء والفقهاء فكلهم يطلقون اسم عرفة على تلك البقعة الشريفة، فلا يفترون أحد بعبارة القاموس الموهمة ولا يقول من توهم ذلك من المتأخرين وزعم أنه مقتضى كلام الراغب ، وإنما قال الراغب « و يوم عرفة يوم الوقوف بها » أي بالبقعة المخصوصة التي اسمها عرفة وعرفات . قيل أنها سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد هبوطهما من الجنة، وقيل لقول جبريل لأبراهيم عليهما السلام لما علمه المناسك وأراه المشاهد : أعرفت

أعرفت ؟ قال عرفت عرفت . وقيل لانها مقدسة معظمة كأنها عرفت أي طبت
بالعطر . وقيل لان الناس يتعارفون فيها ، وقيل لتعرف العباد فيها الى الله تعالى
بالعبادة والدعاء . والقولان الاولان يتوقفان على نقل صحيح ، والاخير ان أظهر معنى ،
ويعدون تعارف الناس هنالك من حكم الحج التي شرع لاجلها ، والواقع ان التعارف
بين الحجاج لا يتيسر في عرفة كما يتيسر في منى لان وقت عرفة قصير فان المجمع عليه منه يمتد
من وقت الظهر الى وقت المغرب ولا يجزئ الوقوف قبل الزوال عند أحد من العلماء الا
ماروي عن الامام أحمد من ان وقت عرفة من فجر يومها . ويجوز الوقوف في ليلة
العاشر عند غير الشافعية ، فإني يقيس التعارف بين أفراد ذلك الجمع الكبير ، في
ذلك الوقت القصير ، مع ما يشرع فيه من ذكر الله تعالى ودعائه ، المقصود في هذه
المعاهد اذاته . وستأتي للبحث تمة

وحده عرفة معروفة للناس بما يتناقلونه بالتواتر عن المواضع التي يحصل الفرض
بالوقوف فيها . وذكر العلماء المتقدمون لها حدودا منها قول بعضهم : الحد الاول ينتهي الى جادة
طريق المشرق ، والثاني ينتهي الى حافات الجبل الذي وراء أرضها ، والثالث ينتهي الى
الحوائط (أي البساتين) التي تلي قرية عرنة وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة في
عرفة ، والرابع الى وادي عرنة بضم العين وفتح الراء والنون ، وعرنة ونمرة (بفتح فكسر)
ليستامن عرفة ولا من أرض الحرم والمالكية يحيزون الوقوف بعرنة ويحتج عليهم الجمهور
بحديث « عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا
عن بطن محسر ، ومنى كلها منحر » رواه مسلم وغيره . ومحسر (بكسر السين المهملة
مشددة) و بطن محسر وعرنة كل منهما واد فاصل بين ما قبله وما بعده من المشاعر ،
فوادي عرنة فاصل بين عرفات ومزدلفة ، ووادي محسر فاصل بين المزدلفة ومنى .
وقالوا : حد الحرم من المأزمين (بكسر الزاي) وهو مضيق بين عرفة ومزدلفة وهناك
علامان مبنيان في أول حدود عرفة جملا علامة على حد الحرم فما كان شرقيهما من
عرفة وما وراءها فهو من الحل ، وما كان قبليهما من جهة الغرب من بطن عرنة ومزدلفة
ومنى فهو من الحرم ، ويوجد ميلان آخران في أول حد مزدلفة من جهة الغرب ،
فإبين العلمين والميلين هو وادي عرنة .

وفي الجانب الجنوبي من العلمين مسجد نمرة المعروف بمسجد إبراهيم بقرب الطريق الممتد من منى إلى الطائف ويسمى أيضاً مسجد نمرة ومسجد عرنة . قال الفزالي : ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرنة اه وظاهر حديث نزول النبي (ص) بنمرة أنها أدنى عرنة لا كلها . وفي كتب اللغة أن نمرة هي الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك إذا خرجت من المأزمين تريد الموقف . قال شارح القاموس : كذا في التكملة . وقيل : الحرم من طريق الطائف على طرف عرقة من نمرة على أحد عشر ميلاً اه وقد قل هذا في معجم البلدان وفيه بعده : وقيل نمرة على أحد عشر ميلاً اه أي من مكة . فالتحقيق الذي عليه الجمهور أن المسجد لم يكن من عرقة ، وقول بعض الناس فيه « مسجد عرقة » بالفاء من باب ما جاور الشيء ، أعطى حكمه أو نسب إليه ، ولذلك نسب بعضهم عرقة إلى مكة وبعضهم إلى منى . وقال بعضهم إن بعضه من عرقة وبعضه من عرنة ، وذلك بعد أن زيد فيه كما سيأتي

وقال شيخ الاسلام أحمد بن حنبل في مناسك الحج بعد ذكر استحباب البيت النبوي ليلة عرقة كما فعل النبي (ص) ما نصه : ويسبرون منها إلى نمرة عن طريق ضب من يمين الطريق . ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات (أي فخرت كما صرح غيره) من جهة اليمن فيقيمون بها إلى الزوال كما فعل النبي (ص) ثم يسبرون منها إلى بطن الوادي وهو موضع النبي (ص) الذي صلى فيه الظهر والمصر وخطب ، وهو في حدود عرقة بطن عرنة . وهناك مسجد يقال له مسجد إبراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس اه المراد منه هنا وقال الفزالي : في الأحياء وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فعنده في الوادي وأخرياته من هرقة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتبين مكان هرقة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك اه

قال الزبيدي عند شرح أول هذه العبارة من شرح لأحياء : وجدت بخط الإمام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري ما نصه « قد وقع للفقهاء في نسبة هذا المسجد لإبراهيم الخليل عليه السلام كلام وقد نسب إليه جماعة منهم ابن كنج وابن سراقه والبغوي والقاضي حسين والأزرقي وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين ، وادهى الأسنوي أنه خطأ وإنما هو شخص اسمه إبراهيم من رؤوس الدولة المتقدمة كما قاله

غير الاسنوي فالتبس بالخليل عليه السلام . ورد الاذرعى هذا بأن الازرقى من أعلم الناس بهذا وقد نسبته الى الخليل عليه السلام ، قال وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يمتنع أن يكون منسوباً من حمله الى الخليل عليه السلام إما لأنه صلى هناك أو اتخذ مصلى للناس فنسب اليه « اهـ وأقول : نعم لا يمتنع ذلك عقلاً ولا كتباً لا تثبته الا بنقل صحيح فأين هو ؟ وقال لزبيدي عند شرح آخر تلك العبارة : قال النعماني في زوائد الروضة : الصواب ان نمره ليست من عرفات وأما مسجد ابراهيم (عم) فقد قال الشافعي رحمه الله انه ليس من عرفة فاعلم زيد بعده في آخره ، وبين هذا المسجد وبين موقف النبي (ص) بالصغرات نحو ميل . قال إمام الحرمين وتطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهرها المنبلة من عرفة اهـ وقال صديقنا محمد ليلى بك البتانوني في لرحلة الحجارية التي ألفها في سنة ١٣٢٨ هـ وصفه لي وانتقاله الى وصف الطريق منها الى المندافة فعرفة ما نصه : ومن ثم يضيق الوادي ويسمى بوادي محسر حتى اذا وصل الى المندافة وهي على مسافة ساعتين من منى (٤) أخذ في الانساع مرة أخرى . وهناك ترى على يمينك المشعر الحرام الذي يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة . وفي هذه الجهة مسجد على جبل قزح عمره السلطان قايتباي . ومن هناك يضيق الوادي ثانياً ويسمى بوادي عربة (يضم البين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمره (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم) انفتحت ارجاؤه الى الشمال والجنوب . وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي [يعني الاروقة] في جهاته الاربع من داخله . وعمره قايتباي عمارة تشكر ، ونصفه الغربي (الذي الى مكة) في الحرم والصف الآخر في الحل وبوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زبيدة . وفي شمال هذا المسجد بقليل الى الشرق ترى العامين وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما [أي أحدهما بعيد عن الآخر] بارتفاع خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد أقيا في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب وهناك نجد الجبل قد حلق على الوادي وقفله امامك من الشرق [أقفله أي سده] بشكل قوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفي طريقه من جهة الشمال اسان يبرز الى الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وسفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال . اهـ

صفة جبل الرحمة بعرفات

قال ابن جبير الاندلسي في رحلته : « وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو كان محشر الخلائق لوسمهم ، يمدق بذلك البسيط الافيج جبال كثيرة . وفي آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وفيه وحوله موقف الناس ، والعلمان قباه بنحو الميلىن فما أمام العلمين الى عرفات حل وما دونهما حرم ، وبمقربة منهما مما يلي عرفات بطن هرة الذي أمر النبي (ص) بالارتفاع عنه — ثم قال — « وجبل لرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم وسط البسيط وهو كله حجارة منقطعة بعضها عن بعض . وكان صعب المرتقى فأحدث فيه جمال الدين (هـ) المذكورة ما أثره في هذا التقييد أدراجا وطبقة من أربع جهاته يصعد فيها بالدواب الموقورة وأنفق فيها مالا عظيما . وفي أعلى الجبل قبة تنسب الى أم سلمة (رض) ولا يعرف صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد يتراحم الناس للصلاة فيه . وحول ذلك المسجد المكرم سطح ممدق به فسبح الساحة جميل المنظر يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبلة منه جدار وقد نصبت فيه محاريب يصلي الناس فيها . وفي أسفل هذا الجبل المقدس عن يسار المستقبل للقبلة دار عتيقة البنيان في أعلاها غرف (وفي نسخة غرفة) لها طيقان تنسب الى آدم (ص) وعن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي (ص) وهي في جبل متطامن »

أقول هذا الجبل هو جبل إلال (بوزن هلال) قال ابن دريد في وصف الحاج

ينوي التي فضلها رب العلى	(١) لما دعا تربتها على البنى
حتى اذا قابلها استعبر لا	(٢) بملك دمع العين من حيث حرى
نمت طاف واثني مستلما	(٣) نمت جاء المروتين فسمى
نمت راح في الملبين الى	(٤) حيث تحجى المأزمين وهى
ثم أتى التعريف يقر ومحباً	(٥) منازلا بين إلال قالما

(*) هو جمال الدين محمد الجواد الوصلى كان وزير صاحب الموصل وله في الحرمين والمشارع عمارات عظيمة (١) البنى جمع بنية يشير الى أثر « دعا الله الارض دعواً من تحت السمكة » وهو مردي عن عطاء وليس حديثاً كما توهموه من الشيء راءه كشفه ونحوه قيل وبسطه (٢) استعبر جرت عبرته أي دمعته (٣) المروتان الصفا والمروة تذيب (٤) تحجى قصد وتعمد (٥) التعريف الوقوف بمرقة أي أتى مكان التعريف يقر ويستقري ويتبع منزلاً بعد منزل ، ونحوها خاضعاً خاضعاً واللال الجبل ، والنفا تلال الرمل

موقف النبي (ص) بعرفة

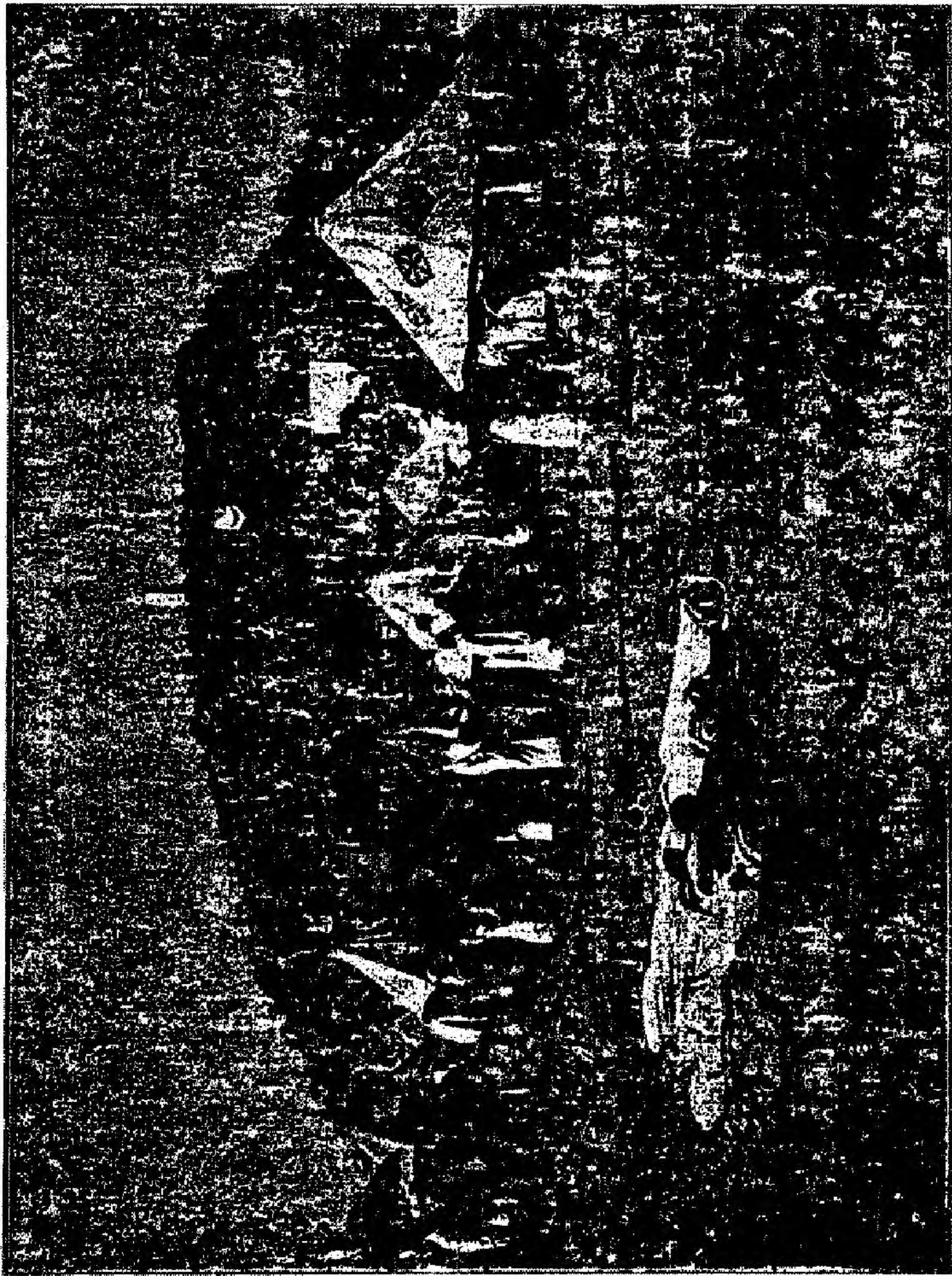
اتفق الرواة على أنه (ص) صلى الصبح يوم عرفة بمنى ورحل منها بعد طلوع الشمس حتى جاء نمرة فأقام بها إلى وقت الزول ثم جاء بطن الوادي فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة ، وعلى أن المكان الذي وقف فيه وأشار إليه في الحديث هو المكان المعروف عند الصخرات . وقال « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » والمراد أنه لم يقف هنالك لمزية لذلك المكان على غيره في أداء النسك بل يصح الوقوف في كل موضع من عرفة . ولكن صار لذلك المكان مزية بوقوفه فيه فصارت موقف الأئمة ونوابهم الذين يحجون بالناس . وقد نقل الزبيدي في شرح الأحياء كلاماً منصلاً للمحب الطبري في ذلك المكان وفي جبل الرحمة قال « وقد روى أبو الوليد الأزرق بإسناده عن ابن عباس أن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الأجل الثلاثة النبوة والنبوة والنبوة ، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على النابت قال والنابت على النشرة التي خلف موقف الامام . وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذي يقال له إلال ككتاب = (قال المحب الطبري) وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلات الصغار التي كانت الروابي عند جبل الذي يعني الناس بصعوده ويسمونه جبل الرحمة واسمه عند العرب إلال بالكسر ، وذكر الجوهرى فيه الفتح والمحموظ خلافة ، وهذا يرجح ضبطه من ضبط قول جابر في حديثه الطويل « وجعل جبل المشاة بين يديه » بالجيم فن الواقع كما وصفناه يكون هذا الجبل أعني الإلا بين يديه وهو جبل المشاة ، وذكر ابن حبيب أن إلالا جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الامام ، حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الأنصاري في تعاليقه على الجوهرى ، وذكر ابن أبي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهرى أن اسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبكب = (قال المحب الطبري) والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نهران بقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكبابة نسبة إليه ، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه . إذا تقرر هذا فن كان راكباً ينبغي أن يلبس بدابته الصخرات المذكورة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن كان راجلاً وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكن من غير

ايذاء أحد ، ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر (قال) وذكر شيخنا أبو عمرو ابن الصلاح في منسكه عن صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام ، وعن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الامام يعني جبل الرحمة ، والذي ذكره صاحب الحاوي لادلاله فيه على إثبات فضل هذا الجبل فإنه قال والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الاجبل الثلاثة على النابت . ثم ساق ما أورده سابقا ثم قال وهذا أحب المواقف اليه للامام والناس (قال المحب الطبري) وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء النابت الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا اثبات . وما فهمه رحمه الله أنه جبل الرحمة غير مطابق وقوله وهو الجبل أراد سهله وهو من الاضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض والنبي صلى الله عليه وسلم إنما وقف عليه لكونه موقف الانبياء عليهم السلام ، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه أراد بالجبل الذي عن يمين الامام الجبل الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو النابت كما تقدم بيانه والظاهر منهما أراداه بقولهما فيكونان قد أثبتا له شيئا من الفضل ، ولا نعلم من ابن اخذا ذلك اذ لم يثبت في فضله خبر ولو ثبت له فضل فوق موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه وهو الذي خصه العالم بالذكر والفضل ثم قال الطبري تقلا عن صاحب النهاية : في وسط عرقة جبل يقال له جبل الرحمة : ولا نذكرك في الرقي عليه وان كان يعتاده الناس . وقال غيره قد افتتت العامة بهذا الجبل في زماننا واخطوا في اشياء منها (أهم) جعلوا الجبل هو الاصل في الوقوف فهم بذكره لهجون ، وعليه دون غيره معرجون ، حتى ربما اعتقد بعض العامة ان الوقوف لا يصح بدون الرقي (فيه) ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف ، ومنها ايقادهم النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هنالك صعودا وهبوطا بالشع الكثير الموقد ، وإنما حدث ذلك بعد اقراض السلف الصالح ، ومن كان متبعا آثار النبوة فلا يحصل بمرقة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويمن عليه وينهى عن مخالفته اه ما نقله الزبيدي



هذه الصورة رسمت لرحلة البتاتوني

النجاني على جبل الزمعة بقرن قريش



هذه الصورة رسمت لرحلة البتاتوني

الحرب والصلح

كثير الحوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف
الجرماني هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضة في الصلح وكلفت ألمانية الدكتور
ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية قبل انضمامه الى محاربيها أن
يتوسط بين المتقاتلين في الصلح فكتب مذكرة في ذلك ردت عليها انكثرة أشد
الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى
جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء وعقد الصلح
على قاعدة جعل قوة الحق الادبية بدلا من قوة الجيش المادية ، وتحديد التسليح البري
والبحري والجوي ، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها
الى بعض وعدم أخذ غرامة حرية وجعل التعويض عن الخراب بالتعاون - وقاعدة
التحكيم الاجباري فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه
المذكرة من دول التحالف البريطاني الا حكومة روسية المؤقتة التي سبقت الى اقتراح
قاعدة « لا ضم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا واقفه
عليه سائر الحلفاء أهم ما فيه ان حكومة ألمانية الحاضرة حكومة اتقراطية لا تثق الحلفاء
بمهورها فيمقدوا مهابلحا فالاساس الاول لقواعد الصلح عندهم تحويل هذه الحكومة
الى ديمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الالمان أنفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش
آل هوهنزلرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة ديمقراطية فان الحلفاء
هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقي الذي يستريح به
البشر من مصائب الحرب . وقد أيدت الحلفاء الرئيس في رده وأثنت جرائدها عليه (١)
الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيمنس أنكرت منها تفرقة الرئيس بين الحكومة
الألمانية والشعب الألماني اذ جعل وزير الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن
الشعب الألماني قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذي أعلنها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن في مقطم ٣ ذي الحجة الماضي (٢١ سبتمبر) ونشرت نبذة من
الجرائد الأمريكية والانكليزية والفرنسية واليطالية في تأييده في ٤ ذي الحجة

نوابه على جميع الاعتمادات الحربية وقابلت صحافته الفظائع الجرمانية بهتاف شديد «
وتقول ان الظاهر لنا أن الرئيس واسون يرمى بتبرئة الشعب الالماني من تبعة
الحرب واظهاره الا كتفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى اغرائه بثورة داخلية على
حكومته الممتازة بكونها جهة الوحدة اقوتها وقوة احوافها فان تم هذا تنتهي الحرب في
أقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرمانى فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد
أرسل وزير امبراطوريتها ردا جميلا الى وزير خارجية الفاتيكان بأمر مولاه الامبراطور
بدأه بقوله « ان جلالاته ينظر بعين الاحترام والشكر والسرور الى المساعي التي يبذلها
قداسة البابا لتقصير أجل الحرب وتخفيف وطأتها » الخ وتبجح بأن مولاه مازال نصير
السلم منذ تبوأ العرش وبأنه يوافق على ان الشروط التي فاتها قد استه من الامور التي
يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وبأنه « ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على أساس
اصلاح ذات البين بين الامم و اخلال الاخاء والمساواة محل البغض أكثر من الشعب
الالماني. (قال) فإذا أدركت الامم البشرية بهذه المبادئ ان الاتفاق خير من الشقاق
فاتها تستطيع أن تسوي جميع المشاكل الحاضرة وتمنع وقوع الحروب في المستقبل
بالإالة جميع الشعوب ما يلزم لحياتها وسعادتها ، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن
يبرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم وينهض بالبشرية نهضة كبيرة من الوجهتين
المعنوية والاقتصادية . وهذه الثقة هي نحملا على الاعتقاد بأن أعداءنا يجدون في
المبادئ التي أرب عنها قداسة البابا أساسا تهديدا للصلح المقبل بشروط ثلاث
روح المدل وموقف أوروبا الحالي » اه بنص ترجمة المقطم (في ٩ ذي الحجة الماضي)
ورد امبراطور النمسة الجديد (كرلوس) بنفسه ردا مشربا بمتهى التعظيم
والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي الوحيد ولكنه لم يفه بكلمة ما
تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد لدولة العثمانية على المذكرة بامضاء السلطان محمد رشاد رد
مشربا بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بالموافقة على القواعد الاساسية التي اقترح ان
يبنى عليها الصلح والاستعداد لدرس الطرق الى تؤدي الى تسوية المشاكل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) « ونا نصرح بذلك وامام انظارنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارتقاها لاننا رأينا في اقتراح قدامتكم أساسا متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء »

وقال قبل ذلك « لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارتقاء بلادنا . وهذه الغاية الشريفة هي الغاية الوحيدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في اادنا وعلى حدودنا القومية » اه من ترجمة المقطم التي نشرت في عدد ٨ المحرم - ١٢٥ أكتوبر الماضي

وقد جزم سياسة الحلفاء بأن البابا لم يسع هذا السعي الى الصلح الى بتوسل ألمانية والنمسة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والمعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء الميالين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح ، فما من أمة محاربة الا وفيها كثير من محبي السلم ودعائه . أما رأي هؤلاء الاحلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجزء الاول ، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب سياستهم ان من أهم شروط الصلح عندهم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الالزاس واللورين الى فرنسة وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (١٢٢ أكتوبر) بنص خطبة طويلة بليغة من خطب لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ألقاها على ملا أعظم في لندن كان غرضه الاول منها الحث على لاقتصاد في جميع النفقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جو السياسة شروطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « ولكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تقضي الى حرب أشد هولاء من هذه . ان هذه الحرب مخيفة ولكن ما كشفتته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولاء وأعظم زعجا ، فلماذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبتهر - اذا صح ان هنالك من يلح فيه - ان ينعموا بالنظر فيما يحتمل وقوعه اذا وقع صلح غير مرض » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

العظيم من هذه الحرب فان المسألة ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التسليم، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات للتعويض من ضرر، ولذا في الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدأ قاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد أو أتيح له الفوز (هتاف) « ان العدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ وترعرع في بروسيا، هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تسلط فيه القوة البهيمية تسلطاً لا ينازع فيه أحد، بدلاً من عالم تسكنه ديمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعري السلم الشريفة، وقد أقيم لهذا الروح هيكل يعمد فيه في بسلام^(١) فلا سلم في العالم ولا حرية الا اذا دك هذا الهيكل وشتت شمل كهنته وألبسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

«وعلقت الرجاء باننا نتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً ننتظر حركة حرية عظيمة من جميع الجهات تتجه الى العدو وتنبئنا هذه الامنية. ولكن تضمض قوة روسيا الحربية الموقت — لأقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا » اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية، أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب القلمية، ما هو أدل على الخدق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية، ومن براعة الانكليز الممودة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم، بازاء قذف غواصات الالمان لبواخريهم بالحلم، حتى صار أعظم دول أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية حرباً لهم، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضاً، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات والتبع زهاء ألف وخمسمائة مليون، وهم لا يزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليوناً، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لا يقل عن ثلاثة ملايين، وان الجيش الالماني المقاتل بالفعل لا يكاد يتجاوز أربعة ملايين. وصرحت مراراً بأن الانكليز وأحلافهم متفوقون على الجرمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضماًفاً كثيرة، بل جاء في برقية لمكاتب

المقطم بباريس في ٣٠ مايو الماضي ان الجنرال ز. . لندن قال في مقالة له « يظهر ان النمسة وبافارية وتركية استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رمق ، وان هذه الدول الثلاث ما كانت اثبتت لولا همة ألمانية ونشاطها ، ولكنها سقتلاشى بنفاد قواتها وتطرد الوهن اليها » وقال عن الجيش الالماني « ان عدد فرقه كان في شهر ابريل الماضي ميتين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسا فللفرنسويين والانكليز التفوق على ألمانية » اه

نعم انهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم ، وهذه الدولة أغنى دول الارض الآن ، وهي تقرض الحلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الدخائر والاغذية والمواد الضرورية للحرب ماخف به الحمل الثقيل عن عاتق الانكليز . ففي مقطم ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية اقترضت حلفاءها ألفا ومئتي مليون من الجنيهاات ، وهي تجود عليهم بالبواخر والفحم والصوف والقطن والازيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الخام التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نحو من ثلاثة ملايين مقاتل هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خبر من كثرة الجيوش ، فتأمل تعليل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : إذا لقيتم فئة فاثبتوا — الى قوله — ولا تنازعوها فتفشلوا وتذهب ربحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بجمل الصبر ، من أعظم أسباب الفلب والنصر ، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه ، وبمجموع ذلك فاز المسلمون من قبل فظلبوا الامم الكثيرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ أجيال ، لذلك كانت أخلاقهم ، أنفع لآحلافهم من أموالهم ومقاعدهم ، فلولا لم يثبت على حرب الالمان أحد ، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقتال في ذلك ، فحرب الاخلاق بينهما هي الجهاد الاكبر ، وعليه المعول الاخير في النصر والظفر ،

مختارات من الجرائد

﴿ الطعن في رئيس وزراء الإنكليز ﴾

الطعن في العظماء والمصلحين في الأمم سنة من سنن الاجتماع حوادثها كثيرة في التاريخ، وقد اتهمت جريدتان من الجرائد الإنكليزية مستر لويد جورج رئيس وزراءهم الذي أظهرت الحرب كفاءته وتفوقه على الأقران فزعمت أنه فر من لندن إلى فرنسا عند علمه بأحدى غارات الطائرات الألمانية إلى العاصمة وقد كذبت الحكومة الجريدتين فلم تعتذرا عن كذبهما فرفع الوزير عليهما دعوى لسوء تأثير طعنهما في العامة. وقد عجبنا مما أظهرته الدعوى من كثرة ما سبق من الطعن في الوزير، وهو موضع العبرة التي أردنا ضمها إلى أمثالها من حوادث التاريخ. فقد جاء في مقطع ٢٤ المحرم ١٠ نوفمبر — من مقالة في شرح هذه القضية ما نصه :

« ولما عرضت القضية على المحكمة قال المحامي عن المستر لويد جورج أن موكله يقول أنه لو كان ما عزته الجريدتان والشركة اليه طعنا شخصيا في شخصه فقط لرأى أن كرامته ومقامه كرئيس وزراء بريطانيا العظمى يقضيان عليه بأن يتقاضى عنه ويكتفى بتكذيبه في الصحف التي نشرته فإن المستر لويد جورج استهدف في حياته السياسية لما لم يستهدف له سياسي آخر من الحملات والمطاعن الشخصية والسياسية فقابلها كما يجب على الساسة أن يقابلوها أي أنه عدها من الأمور التي لا مناص للسياسي من الاستهداف لها في حياته السياسية. قال المحامي والمستر لويد جورج يعذرنى إذا قلت أن خصومه ما كانوا يخرجون من مناضلاته فائزين. على أن الذي يهم رئيس لوزارة في قضيتنا هذه هو سوء الوقع الذي يقع في نفوس الجمهور من اتهامه كذبا بالجن، فقد بلغه أن الناس ولا سيما في القسم الشرقي من لندن ساء لهم خبر مغادرة كبير وزراءهم للندن للتخلص مما تعرضوا له، ولما كانت هذه التهمة كاذبة لجأ الرئيس إلى المحاكم لينفي فيها على رؤوس الأشهاد هذه التهمة الباطلة ويطالع مواطنيه على الحقيقة » ثم ذكر المقطم أن الوزير لما حضر المحكمة وحلف اليمين ألقى عليه المحامي أسئلة أجاب عنها، منها السؤال الآتي مع جوابه :

س : ألم أفهم منك انه لو كان الطعن شخصيا موجه الى شخصك فقط لارفعت هذه القضية ؟
ج : كنت أكتفي بنفي الخبر الذي روته الجريدتان لأنني لو سرت على قاعدة رفع القضايا على كل من يظن في لما أتيح لي ان أفعل شيئا آخر »

﴿ الاسرائيليون وفلسطين ﴾

ترجمة برقية خصوصية للمقطم من مكاتبه بلندن أيدتها برقيات روتر
لندن الجمعة في ٩ نوفمبر الساعة ٣ بعد الظهر
ذكرت جريدة « جويش كرونكل » ان المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية
كتب الى اللورد رتشلد يقول ما نصه : —

« يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح
الى المشروع الذي يراد به ان ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود وتفرغ خبر مساعيها
لقهيل ادراك هذا الغرض . ولكن ايكن معلوما انه لا يسمح باجراء شي يلحق الضرر
بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق
التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمر كزهم السياسي فيها » مكاتبكم بلندن

﴿ مظاهر الصهيونية لتحقيق أمانهم في فلسطين ﴾

جاء في مقطم ١٦ المحرم — ١٣ نوفمبر ما نصه :
« قال وكيلنا الاسكندري أمس : أقام الاسرائيليون ولا سيما الصهيونيين منهم
احتفالا كبيراً أمس في حديقة رشيد بالاسكندرية على إثر البيان الذي أباهه المستر
بلفور الى اللورد روتشلد في شأن تحقيق أمان الاسرائيليين بمجمل فلسطين وطناً
قومياً لهم . وقد ألقى بعض خطبائهم في هذا الاحتفال خطبا تناسب المقام فشكروا
للحلفاء عامة وبريطانيا خاصة هذا الوعد الشريف آمين تحقيقه في القريب العاجل
ثم طاف المحتفلون وهم في أحسن نظام في شوارع المدينة الكبرى لتقديمهم
الموسيقى وفرقة الكشافة الاسرائيلية وهم فرحون جذلون بتلك البشري السارة هاتفون
للحلفاء ولبريطانية العظمى بدوام النصر والظفر » اهـ

معركة غزة ونتائجها

نشر المقطم تحت هذا العنوان البرقية الآتية : باريس في ٨ نوفمبر
ان سقوط غزة من الحوادث التي يمكن أن تنشأ عنها نتائج عظيمة جدا والتي
تعد مقدمة لافول نجم تركيا في الاماكن المقدسة وتحرير البلاد التي هي مهد
الديانة المسيحية . وقد قطعت المواصلات التركية تماما مع القوات التي تحارب في
بلاد العرب وحصار مصر « المدينة » معروف من الآن . وقد احتلت انكلترا حليقة
ملك الحجاز كل العراق تقريباً وجنوبي بلاد فلسطين (هافاس)

عبر التاريخ

٢

ما قبل في سقوط بغداد

نشر المقطم في عدد ٢٨ جاد الاولى سنة ١٣٣٥ - ٢٢ مارس ١٩١٧ ترجمة
منشور الجنرال مود الذي خاطب به أهل بغداد عقب دخولها فاتحاً باسم ملكه
واسم الشعوب التي يحكمها وقد بدأه ببيان أن غرضهم من الحرب كسر المدو
واخراجه من البلاد فنجي جيوشهم العراق لذلك لا « كما يأتي الغازي الفاتح والمدو
الطامع » ثم تبي بذكر تخريب الجانب للبلاد من عهد هولاكو واستبدادهم فيها ثم قال :
« ان جلالة ملكي وشعوبه والامم العظيمة المحالفة له برومون لكم السعادة
والرخاء واحياء العصر القديم لما كان الخصب منتشرا في دياركم تضي العالم ببراس
الآداب والعلم والفنون ولما كانت بغداد احدى عجائب الدنيا
« ان بين شعبكم واملاك ملكي علاقات مصلحة وثيقة فقد تعامل تجار بغداد وتجار
بريطانيا العظمى منذ مئتي سنة بنجاح المودة والصداقة وجنى الفريقان الربح أما الالمان والترك
الذين نهبوكم فقد اتخذوا بغداد منذ ٢٠ سنة مقرا لها بجهة قوة بريطانيا العظمى وحلفائها
في ايران وجزيرة العرب ، فلم يسمع الحكومة البريطانية الا أن تكثر لما يقع في بلادكم
الآن وفي مستقبل الايام ، فان الواجب والمصلحة للشعب البريطاني وحلفائه يقضيان على
الحكومة أن لا تسمح بان يتكرر في بغداد ما فعله الترك والالمان في ابان الحرب »

ثم خاطب أهل بغداد خاصة فذكر لهم أن حكومتهم بهما يسرهم التجاري وسلامتهم من الظلم والجور، ومناياهم من أرهاقها لهم بأحكام أجنبية عنهم قال: « بل هي نرجو أن نحقق آمال فلاسفتكم وحكمائكم وكتابكم فنزهو بغداد ونزهر وينشط أهلها ويتمتعون بثروتهم ومقتنياتهم في ظل النظام الذي يطابق شرائعكم المقدسة وأمانكم القومية » وذكرهم ثانية بظلم الأجانب واستقلال الحجاز، وختم المنشور بدعوتهم إلى الاشتراك في إدارة شؤونهم الملكية مع مندوبي بريطانيا العظمى الذين يصحبون الجيش البريطاني (قال) فتحدوا مع بني جنسكم في الشمال الشرقي والجنوب والغرب على تحقيق آمال العرب

ثم نشر المقطع مقالة في عدد ٢٩ جادى افتتحه بعبارة طويلة من مقالة لمستشرق بريطاني دعا العرب فيها إلى اليقظة وطلب الحرية والاستقلال (هي المقالة التي نشرها المقطع في شهر سبتمبر من العام الماضي وأشار إليها في المقالة التي نقلنا عنه معظمها في آخر الجزء الماضي) هذا نصها:

« هل انحط العرب اليوم أو فسدت حسابهم وضعفت همتهم؟ - كلا لا هذا ولا ذاك فهمتهم لا زال كبيرة، وحسابهم لا زال صحيحة وهم حافظون لأنسابهم وقداصانوا مآزاتهم به الله من قوة وبأس وهمة ونشاط ومضاء عقول وأصالة رأي وشجاعة وقدام وأخلاق كريمة وسماحة وجود وإحسان، ولكني رأيتم غارقين في بحور الفاقة، وقد تولاهم التفرق واشتد بهم الانقسام فدانوا السوام وخضعوا، وبعدها كانوا سادة صاروا مسودين، فهل يبقون بعد أن تضع الحرب أوزارها، كما كانوا لما أضرم أوارها

« تشتت شمل العرب ودالت دولتهم منذ عصفت في بلادهم عاصفة هولا كوال المغولي واجتاحها الساجوقيون رعاة طوران فضاع استقلال العرب وباتوا رعية لسوام، فذلوا بعد المز وافتقروا بعد الفنى وخيم الجهل على بلادهم بعد ما كانت مطلع شمس العلم والعرفان حتى طلع صبح اليوم الذي تفك فيه قيود الامم المقهورة، فهل يعتبر العرب بما يقع الآن في انحاء الدنيا ويجمعون كلمتهم ويتبنون الوحدة القومية لهم ولا بنائهم بدم

« لقد كان العرب أعداء أنفسهم، فأوسعوا مجال الانقسام بينهم ولولا ذلك لما تسلط عليهم شعب أدنى منهم وأعطاه العرب لا نعوزهم الشجاعة ولا تنقصهم الاخلاق

الكريمة، وقد امتد ملكهم من بحر الروم الى سور الصين فضربت الامثال بنجدتهم،
وتحدثت الامم بياسهم وشدتهم، ولا يزالون كما كانوا من أشد الناس نخوة وأعظمهم
حمية، وهم كرمل البحر في الكثرة، فكيف يرضون بالذل ولا يطمعون بالاستقلال
ومساواة الشعوب العظيمة والتمتع بأطياب الحياة ورغد العيش والهناء.

«لست أدعو العرب لأن يكونوا سفاحين كاللمان ولا ظالمين كالترك، ولكنني أنمى لهم
ان يكونوا أحراراً في بلادهم، وان يطبوا انفساً وعيشاً ويعودوا الى سابق عهدهم، فينبروا
العالم بأنوار حكمتهم وعلمهم، وفلسفتهم وصناعتهم، كما فعل أسلافهم الكرام من قبلهم
« اني أسمع صوتاً ينادي من السماء ويقول : انهضوا يا أبناء عدنان، وياسلالة
قحطان، وافيقوا من سنة النوم فقد غابت عليكم الف عام »

ثم قفى المقطع على هذه البذرة بالتنبؤ به بنشور الجنرال مود والثناء عليه، ولكنه
هنا هفوة كبيرة في المقابلة بينه وبين ما خاطب به الحجاج أهل العراق، اذ وصفهم
بالنفاق والشقاق، والفرق بين الحالين عظيم

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

أرجأنا بقية هذه الترجمة الى جزء آخر

﴿ المطبوعات الجديدة ﴾

لدينا كثير من مطبوعات السنتين الماضيتين — على قلة المطبوعات في هذا الزمن — لم
تفرغ للنظر في شيء منها للنيل من رتبته، أما وقد طال الأمد فسند ذكرها بالاختصار، وأقل
حقوق أصحابها الاعلان، ونبدأ بذكر صحيفتين مصريتين:

﴿ المجلة السلفية ﴾ « علمية أدبية أخلاقية تاريخية اجتماعية تصدر مرة في كل شهر،
صاحبها ومديرها عبد الفتاح (افندي) قنلان » سنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها ٢٠
قرشاً في القطر المصري و٨ فرنكات في الخارج تدفع مقدماً. وقد تمت سنتها الاولى فكانت
٢١٦ صفحة وأكثر ما نشر فيها مختارات من الكتب العربية للشيخ طاهر الجزائري.
وهذا وجه تسميتها بالمجلة السلفية

﴿ الحال ﴾ جريدة اخبارية اقتصادية قضائية تاريخية تصدر ثلاث مرات في
الاسبوع. صاحبها ومديرها خليل بك صادق وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في السنة. وفاته
ان يذكر في صفتها انها فكاهية فروح فكاهة صاحبها، نجلى في كل ما ينشر فيها.



وَقَدْ بَعَثَ
الْحَكِيمَةَ مِنْ بَنِيهِ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْحَكِيمَةَ فَقَدْ
خَبِرَ كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلَ الْأَلْبَابِ

الْحِكْمَةُ
١٣١٥

أَوَّلُكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوَّلُكَ هُمُ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ
أَوَّلُكَ عَادِي الدِّينِ بِسَمْعِهِمْ فِي الْقَوْنِ فَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ

قال عليه السلام: إن الإسلام يسمى و «منارا» كنار الطريق

٣٠ ربيع الأول ١٢٣٦ — ٢٢ الجدي (ش ١) ١٢٩٦ هـ ١٣ ش ١٣ يناير ١٩١٨

فَتَاوَى الْمُنْبَازِ

فتحنأ هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركن خاصة، أذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء. وأننا نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قد منأ متأخراً لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمشل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لأغفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء الرمزي في سنهافوره

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

ماقول الاستاذ المرشد مولانا السيد محمد رشيد رضا أرشده الله ورضي عنه في

حكم عمل الصور من الجص والاحجار والمعادن مجسمة — وفي حكم عملها بالحفر

أو القلم أو بآلة حبس الظل (الفوتغراف) غير مجسمة، هل هو جائز مطلقا أو في بعض الصور وما الدليل على ذلك ؟

وهل تقولون بحرمة ما صنع للعبادة والتعظيم فقط أم تذهبون الى كون التحريم خاصا بالزمن المتقدم خوفا من ان يكون ذريعة الى عبادة الصور اما الآن فلا يحرم لانعدام الذريعة ؟ وهل يدل على ذلك ترك الصحابة ما وجدوه في ايوان كسرى من الصور مع صلاحهم فيه لانها لمحض الزينة ام لا ؟ وما حكم الاقتناء لها ولو لحاجة والنظر ولو لضرورة عسر الاحتراز او لكونها عند من لا يحرمها ؟

افتونا على صفحات مناركم مأجورين ، ولا زاتم قبلة الافادة وللصواب موفقين ، وبإمداد الله معانين . — حرره في سنة فوره — د ه ن

(ج) سبق لنا قول وجيز في هذه المسألة وقتضت الحال الآن بسط المسألة بالتفصيل وهو يتوقف على ايراد الاحاديث الصحيحة الواردة فيها وملخص ما فهمه العلماء المشهورون منها . وقد استوفى الامام البخاري جل ذلك في كتاب اللباس من صحيحه فنعمد في النقل على ما ورد فيه فنذكره بغير عزو اليه غالبا ونعزو ما نقله عن غيره لزيادة قاطعة فيه ونعمد في تلخيص أقوال العلماء على ما أورده الحافظ ابن حجر في الفتح فانه أجمع الكتب التي نعرفها لذلك ولا مثاله، وان نقلنا شيئا عن كتاب آخر نعزوه اليه

﴿ الاحاديث الصحيحة في التصوير والمصورين ﴾

١ — عن مسلم (هو ابن صبيح أبو الضحى واشتهر بكنيته) قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير (هو مولى عمر بن الخطاب وروى عنه) فرأى في صفته (تماثيل فقال سمعت عبد الله (هو ابن مسعود) قال سمعت النبي (ص) يقول « ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » وفي رواية مسلم : كنت مع مسروق في بيت فيه تماثيل فقال مسروق هذه تماثيل كسرى فقلت لا هذا تماثيل مريم . ثم ذكر الحديث

• الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء كالطلة وزنا ومعنى وتطلق على المكان المظلل بفناء الدار أو المسجد وعن الليث انها مكان كالبهو مظلل مستطيل

٢ - عن ابن عمر (رض) أن رسول الله (ص) قال « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم »

٣ - عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال لي أصور هذه الصور فأفتني فيها فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « كل مصور في النار . يجعل له بكل صورة نفسا فتعذبه في جهنم » وقل فإن كنت لا بد فاقبل فاصنع الشجر وما لا نفس له . ورواه مسلم وأحمد وفي بعض الروايات ان السائل رجل من أهل العراق أراه نجارا . وفي بعضها انه قال له انما معيشتي من صنعة يدي . وانه عندما ذكر له الحديث انتدخ خبيطا فرخص له بما ذكر . ونص المرفوع في رواية أخرى « من صور صورة في الدنيا كف يوم القيامة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » قال الحافظ بن حجر وفي رواية أبي سعيد ابن أبي الحسن « فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا » واستعمال حتى هنا نظير استعمالها في قوله تعالى (حتى يبلج الجمل في سم الخياط) وكذا قولهم لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب . ثم ذكر ان هذا أمر تعجز لا من تكليف مالا يطاق . وانه استشكل في حق المسلم لانه يدل على الخلود وانه يتعين تأويله بإرادة لزجر الشديد وأن ظاهره غير مرد . هـ ما ذكره الحافظ . انحصار . وأقول لا ولي ان يحمل على المشركين الذين يصنعون ما يعبد تمادته كما يعلم مما يأتي

٤ - عن عمران بن حطان بن عائشة (رض) أخبرته ان النبي (ص) لم يكن يترك في بيته شيئا فيه نصاليب لا تقص.

التصاليب جمع تصليب وهو مصدر سمي هـ . كان فيه صورة الصليب من ثوب أو غيره ، ونقصه أزاله ، والازالة تكون بنحو الطمس والحك والطح والقطع . وقد ذكر البخاري هذا الحديث في (باب نقض الصور) وذكر الحافظ في وجه مطابقة الحديث للترجمة انه استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي أشرك مع الصليب في المعنى الذي هو سبب التحريم وهو عبادتهما من دون الله

٥ - عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورا بصور فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة »

في هذه الرواية حذف علم من رواية أخرى وهو « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق « الخ رواها مسلم . وفيها ان الدار دار مروان وفي رواية له : تبنى لسميد أو لمروان . قال ابن بطال فهم أبو هريرة ان التصوير يتناول ماله ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكر ما ينقش في الحيطان . يعني ابن بطال ان هذا الفهم غير صحيح من حيث ان التشبيه في الحديث القدسي لا ينطبق عليه فان الله تعالى خلق ذوات ماثلة لا نقوشا في الحيطان ونحوها . ويمكن ان يقال أيضا ان صنم التماثيل ذات الظل التي شددوا فيها لا تعد من هذا الظلم الا اذا قصد صانعها أن يخلق كخلق الله ، وقد فسروا « ذهب يخلق » بقصد وهو رواية حديث ابن فضيل . ويؤيده حديث عائشة الآتي (وهو التاسع) اذ قال : بضاهون بخلق الله ، وفي رواية مسلم : يشبهون بخلق الله . وانما يكون هذا بالقصد .

٦ - عن ابن عباس عن أبي طلحة (رض) قال قال رسول الله (ص) « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير »

٧ - عن عبد الله بن عمر قال : وعد جبريل النبي (ص) فراث (أي أبطأ) عليه حتى اشتد على النبي (ص) فخرج فلقبه فشكا اليه ما وجد فقال « إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب » هكذا أخرجه البخاري مختصرا . وهو عند مسلم من حديثي عائشة وميمونة أوضح وفي الاول ثم التفت فاذا جرو كلب تحت سريره فقال « يا عائشة متى دخل هذا الكلب ههنا » فقالت والله ما دريت به ، فأمر به فأخرج فجاء جبريل الخ وفي الثاني : ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ما ففصح مكانه فلما أمسى لقبه جبريل الخ وظاهر الحديثين ان امتناع جبريل كان بسبب وجود الكلب اذ ليس فيهما ذكر للصورة ، وفي الاول انه رأى الكلب مرضيا ولم يكن هالما بوجوده وفي الثاني انه كان هالما به وتذكره بعده إبطاء جبريل . وفيهما الخلاف بين السرير والفسطاط والاول معروف والثاني بيت من شعر دون السراشق وقال النووي أصله عمود الاخوية والمراد به في الحديث بعض حبال البيت فيطابق حديث عائشة اه بالمعنى . وفي القصة حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود والنسائي والترمذي وصححه كابن حبان والحاكم وهو :

« أناني جبريل فقال أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت الا أنه كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب . فر برأس التمثال الذي على باب البيت بقطع فبصير كهيئة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج » ففعل رسول الله (ص) وإذا الكلب جرو كان للحسن والحسين تحت نضد لهم . وفي رواية النسائي « إما ان تقطع رهوسها وما ان تجعل بسطا توطأ » والنضد بفتحيتين ما ينضد من متاع البيت يجعل بعضه فوق بعض وما ينضد عليه ذلك المتاع من سرير وغيره فهو بطابق حديث عائشة من هذا الوجه

ظاهر هذا الحديث ان الواقعة كانت في بيت علي وفاطمة وظاهر حديث كل من عائشة وحفصة انها كانت في بيتها .

ومن الاضطراب في هذه الروايات ان حديث ابن عمر صريح في ان النبي (ص) خرج فلقى جبريل خارج البيت وظاهر حديث عائشة ان جبريل دخل البيت بعد اخراج الكلب ، وصرحت عائشة وحفصة بأنه (ص) أمر باخراج الكلب قبل لقاء جبريل بهدرويته أو تذكره وصرح أبو هريرة بأن جبريل هو الذي أخبره به واقترح عليه اخراجه وعادة العلماء ان يجمعوا بين أمثال هذه الروايات المتعارضة بتعدد الوقائع ، وعليه يترجح أن يكون ما رواه أبو هريرة وقع أولا فعلم منه النبي (ص) ان جبريل لا يدخل مكانا فيه كلب ولذلك أمر باخراج الكلب بعد ذلك لما رآه أو تذكره له مما سبق انه هو سبب تأخر جبريل ولكن في حديثي عائشة وحفصة عند مسلم ان النبي (ص) لم يكن يعلم سبب تأخر جبريل عليه السلام لانه سأله عنه فقال في حديث عائشة « منعي الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل الخ

وذكر النووي في سبب الامتناع أربع علل (١) كثرة أكل الكلاب للنجاسات (٢) قبح رائحتها أي رائحة بعضها (٣) ان بعضها يسمى شيطانا وهو الاسود القبيح المنظر (٤) الهي عن اتخاذها ، ولهذا الاخير قل الخطابي ان الامتناع خاص بما نهى عنه دون المأذون فيه ككلب الماشية والزرع والصيد وخافه النووي فقال بالتعميم في الكلاب ولكنه خص الملائكة بملائكة الرحمة

- ٨ - عن أنس (رض) قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال لها النبي (ص) « أميطي عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي » أميطي أي نحى وازيلي وفيه حذف المفعول ورواية مسلم « أزيله »
- ٩ - عن عائشة (رض) قالت : قدم رسول الله (ص) من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه رسول الله (ص) هتكه وقال « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » قالت فجعلناه وسادة أو سادتين وفي رواية للبخاري في المظالم قالت فأنخذت منه مرقتين فكأنتا في البيت يجلس عليهما . وفي رواية لمسلم فجعلته مرققتين فكان يرتفق بهما في البيت . وفي لفظ أحمد : فقطعته مرققتين فلقد رأيتُه متكئاً على إحداها وفيها صورة ، والتمرقة والمرقة الوسادة كما سيأتي
- ١٠ - وعنها أنها اشترت تمرقة فيها تصاوير فقام النبي (ص) بالباب فلم يدخل (قالت) فقلت أتوب إلى الله مما أذنبت . قال « ما هذه التمرقة ؟ قلت اجلس عليها وتوسدها ، قال « ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور » وفي رواية مسلم « اشتريتها لك تهجد عليها وتوسدها . والفقرة المرفوعة منه « ان البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة »
- ١١ - وعنها قالت : قدم النبي (ص) من سفر وعلمت درنوكة فيه تماثيل فأمرني أن أنزعها فزعمته ، هذا لفظ البخاري . ولفظ مسلم : وقد سترت على بابي درنوكة فيه الخيل ذات الأجنحة . وفي لفظ آخر عنده : دخل النبي (ص) علي وقد سترت غطاء فيه تصاوير فنجاه فأنخذت منه وسادتين . وستور الدرنوك والنمط جنس واحد كما سيأتي
- ١٢ - عن بشر بن سعيد عن زيد بن خالد (الجهني الصحابي) عن أبي طلحة (زيد بن سهل الأنصاري) صاحب رسول الله (ص) قال ان رسول الله (ص) قال « ان للملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة » (وفي نسخة الصور وفي أخرى صور) قال بشر ثم اشتكى زيد (أي ابن خالد) فمدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة (وفي نسخة صور) فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي (ص) (وكان مع بشر) : ألم نخبرنا زيد عن الصور يوم الاول ؟ (وفي نسخة يوم أول) فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال « الارقما في ثوب » قال الحافظ : في رواية عمرو بن الحارث :
- (المنار : ج ٥) (٢٩) (المجلد العشرون)

فقال انه قال « الا رقما في ثوب » الاسمته ؟ قلت لاه قال بلى قد ذكره . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي

١٣ - وروى مسلم وأبو داود عن زيد بن خالد عن أبي طلحة الانصاري قال سمعت رسول الله (ص) يقول « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل » قال فأتيت عائشة فقلت ان هذا يخبرني ان النبي (ص) قال لا تدخل الملائكة ... الخ فهل سمعت رسول الله (ص) ذكر ذلك ؟ فقالت لا ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل - رأيته خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أوقفه وقال « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين » قالت فقطعنا منه وسادتين وحشونهما ليفا فلم يعب ذلك علي قالوا ان هذا النمط هو الذي فيه الخيل ذات الاجنحة كما تقدم آنفا من رواية أخرى عند مسلم وذكر النووي ان العلماء استدلوا به على منع ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم ، هذا هو الصحيح . ثم رد على من حرمه وأقول : الظاهر ان هذا الحديث معارض لتلك الاحاديث اذ ليس فيه أنه أنكر الصور التي في النمط ويمكن ان يقال ان هذا وقع قبل امتناع جبريل من دخول البيت لوجود التماثيل والكلب فيه ، الا ان عائشة حدثت بهذا وبغيره بعد رسول الله (ص) فلمسألة مشكلة من هذا الوجه . ومثله حديث أنس عند البخاري (وهو الثامن مما أوردنا) ففيه أنه (ص) أمرها بإمطاة القرام لان تصاويره تعرض له في صلاته ، فعلة الامر بازائه أنه يشغل نظر المصلي اليه ، وجهاهير الفقهاء متفقون على كراهة الصلاة الى ما يشغل المصلي ، ولا دليل فيه على انكار الصور أو تحريم اتخاذها . ومثله حديثها في الدرنوك (وهو الحادي عشر) ولكن ليس فيه تصريح بالعلة . ومثله حديثها عند مسلم في الثوب الممدود الى السهوة . وأما حديثها في القرام (وهو التاسع) وحديثها في النمرقة (وهو العاشر) فهما صريحان في إنكار اتخاذ الصور بتلك الهيئة . وقد استشكل ذلك العلماء وأجاب بعضهم عنه بتعدد الوقائع وبأن الصور في بعضها من غير ذوات الارواح وهي التي لم ينكرها وفي بعضها من ذوات الارواح كالطيور والخيل وهي التي أنكرها . ويقال هنا أيضا ما قلناه في حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة ، وهو

أن عائشة كانت تحدث بذلك بعد رسول الله (ص) فلماذا كانت تذكر كل واقعة وحدها ولم تبين لكل سائل أو محدث كل ما علمته في المسألة ؟ وهل يعقل ان ينكر النبي (ص) على عائشة عملا علمته في بيته فتزيله بأمره ثم تعود الى فعله ؟ كلا ان الروايات في هذه المسألة مضطربة ولم ير لاحد من العلماء قولاً شافياً فيها .
والذي نراه أقرب الى الوقوع ان عائشة كانت علقت على الجدار سترها فيه تصاوير للزينة فأنكر النبي (ص) ذلك من باب الارشاد الى ما يستحسن في تدبير المنزل وهو عدم إضاعة الثوب بوضعه على الجدار وضعا لا فائدة فيه لان الثياب لستر الابدان وزينتها لا لستر الحجر والطين . ويحتمل ان يكون هذا هو الذي وقع أمامه في صلاته وأنه علل أمره بإزالته بكونه يشغل النظر في وقت الصلاة وبكونه اسرافا وإضاعة للثوب وان عائشة ذكرت كل تعليل مرة في سياق كلام اقتضاه ، أو ذكرتهما معا وذكر الرواة كلا منهما في سياق اقتضاه ، ويحتمل ان يكون الحديثان في واقعيتين علل الانكار في الاولى منهما بشغل النظر في الصلاة وان السر كان في الثانية بحيث لا يراه في الصلاة ، وكل حديث في هذا الباب لم تنكر أو لم تذكر فيه التصاوير فهو محمول على تلك الواقعة أو الواقعتين . وأما الروايات التي فيها التصريح بانكار اتخاذ التصاوير بتلك الصفة فالأقرب انها في واقعة واحدة كانت بعدما تقدم ، وانها علقت النمرقة في غيبته اذ كان مسافرا فلما عاد ورآها أنكر عليها وامتنع من دخول البيت حتى تنزعها فلما تابت دخل وهتكها بيده أي أزالها الا ان الإخبار بها كان في أوقات مختلفة فاختلف التعبير باللفظ والمبنى . ومن الاول القرام والنمط والدرونك والنمرقة والوسادة والمرفقة (*) ويدل على هذا الجمع قولها : أتوب الى الله

(*) القرام بالكسر ستر فيه نقوش وتصاوير . وقيل ثوب من صوف ملون يفرش في المودج أو يغطي به . والنمط قال النووي في شرح منام المراد به هنا بساط ليف له خمل . والدرونك بالضم كمصفر . ر ثوب غليظ له خمل اذا فرش فهو بساط واذا علق فهو ستر . والنمرقة بضم النون والراء — وكبرهما لنة كلب — الوسادة يجلس عليها وتوضع على الرجل تحت الراكب لاينها وتوسد أيضا فتسمى وسادة والوسادة بثلاث اذ ارا النعمة التي تتوسد في النوم أي بوضع عليها الرأس وتسمى مخدة بكسر الميم لانها بوضع عليها عند النوم . وتسمى مرفقة ومرفقا بكسر الميم وفتح الفاء لانها بوضع عليها المرفق عند الانكسار . فاختلاف الاسماء لا اختلاف الاستعمال =

مما أذنبت . فلو لا النهي السابق لم يكن تعليقها النمرقة ذنباً تتوب منه . ولكن في بعض روايات الصحيح أنها قالت : فما أذنبت . ولعل هذا غلط من بعض الرواة

١٤ — عن عائشة (رض) قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله (ص) إذا دخل يتقمصن منه (أى يستترن) فيسربهن (أى يرسلهن) إلي فيلعبن معي . أخرجه البخاري في كتاب الادب من الصحيح

وقد حرف بعض المشددين في مسألة الصور هذا الحديث فزعم ان معنى قولها كنت ألعب بالبنات — كنت ألعب مع البنات . قال الحافظ في شرح الحديث : حكاه ابن التين عن الداودي ورده (قلت) ويرده ما أخرجه ابن عينة في الجامع من رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه عن هشام بن عروة في هذا الحديث : وكن جوارى يأتين فيلعبن معي . وفي رواية جرير بن هشام : كنت ألعب بالبنات وهن الالعاب . أخرجه أبو عوانة وغيره . وأخرج أبو داود والقسائي من وجه آخر عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خيبر — فذكر الحديث في هتكه السر الذي نصبته علي بابها قالت : فكشف ناحية السر هن بنات لعائشة لعب فقال « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت بناتي ، ورأى فيها فرساً مربوطاً له جناحان فقال « ما هذا ؟ قلت فرس ، قال « فرس له جناحان ! » قلت ألم تسمع انه كان لسايمان خيل لها أجنحة ؟ فضحك . فهذا صريح في ان المراد باللعاب غير الآدميات اه

١٥ — عن عائشة (رض) قالت لما اشتكى النبي (ص) — أي مرض مرض الموت — ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتيا أرض الحبشة فذكرتا من حسنهما وتصاويرهما فيها فرفع رأسه فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » أخرجه البخاري في أبواب المساجد وفي الجنائز وأخرجه مسلم في المساجد

== وقد كان يختلف المسمى بالكبر والصغر كما يختلف الآن وهو جنس واحد تحديد معناه أنه شبه كس من نسيج بوضع فيه نحو قطن أو صوف أو ليف وبخاط عليه . ومنه ما يصنع أولاً وبالذات للنوم ومنه ما يصنع للأنكاه أو الجلوس . ثم يستعمل لعب ذلك عند الحاجة

﴿ أقوال العلماء في فقه هذه الأحاديث ﴾

(١) قال الحافظ عقب ذكر حديث أبي هريرة المتقدم عن أحمد وأصحاب السنن مانعه : وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب إلى أن الصورة التي تمتع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه هي ما تكون على هيئتها مرتفعة غير ممتنه . فأما لو كانت ممتنه أو غير ممتنه لكنها غيرت عن هيئتها إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع

(٢) ثم قال الحافظ في إثر ما تقدم : وقال القرطبي ظاهر حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة الماضي قبل (وهو التاسع مما تثناء عن البخاري) أن الملائكة لا تمتع من دخول البيت الذي فيه صورة إن كانت رقفا في الثوب ، وظاهر حديث عائشة المنع . ويجمع بينهما بأن يحمل حديث عائشة على الكراهة وحديث أبي طلحة على مطلق الجواز وهو لا ينافي الكراهة . (قال الحافظ) قلت وهو جمع حسن لكن الجمع الذي دل عليه حديث أبي هريرة روى عنه والله أعلم

(٣) قال الحافظ عند الكلام على حديث النمرقة : قال الرافعي وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان قال الأكثر يكره وقال أبو محمد بحرم . فلو كانت الصورة في ممر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهابزها لا يمتنع الدخول . قال وكان السبب فيه أن الصورة في الممر ممتنه وفي المجلس مكروه . (قلت) وقضية إطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرها لا فرق اهـ

(٤) اختلفوا في الملائكة التي لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب قليل هو على العموم وقيل هو خاص بالملائكة الرحمة وتقدم عن النووي وصرح هؤلاء بأنه يستثنى منه الحفظة ، وقيل من نزل بالوحي خاصة كجبريل (قال الحافظ) وهذا نقل عن ابن وضاح والداودي وغيرهما وهو يستلزم اختصاص النهي بعهد النبي (ص) لأن الوحي انقطع بعده وبانقطاعه انقطع نزولهم . وقيل التخصيص في العفة أي لا تدخله الملائكة دخولهم بيت من لا كلب فيه

(٥) قال الحافظ : وأغرب ابن حبان فادعى أن هذا الحكم خاص بالنبي (ص)

قال وهو نظير الحديث الآخر « لا تصحب الملائكة رنقة فيها جرس » - قال -
فانه محمول على رنقة فيها رسول الله (ص) اذ محال ان يخرج الحاج والمعتمر لقصد
بيت الله عز وجل على رواجل لا تصحبها الملائكة وهم وفد الله انتهى وقد استبعد
الحافظ هذا التأويل وقال انه لم يره لغيره

(٦) قال : وقد استشكل كون الملائكة لا تدخل المكان الذي فيه التصاوير مع
قوله سبحانه وتعالى عند ذكر سليمان عليه السلام (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل)
وقد قال مجاهد كانت صوراً من نحاس أخرجه الطبري . وقال قتادة كانت من
خشب ومن زجاج . أخرجه عبد الرزاق . والجواب ان ذلك كان جائزاً في تلك
الشرعية وكانوا يعملون أشكال الانبياء والصالحين منهم على هيتهم في العبادة ليعبدوا
كمبادئهم . وقد قال أبو العالية لم يكن ذلك في شرعهم حراماً ثم جاء شرعنا بالنهي
عنه . ويحتمل ان يقال ان التماثيل كانت على صورة النقوش لغير ذات الارواح ،
واذا كان اللفظ محتملاً لم يتعين الحمل على المعنى المشكل ، وقد ثبت في الصحيحين
حديث عائشة في قصة الكنيسة التي كانت بأرض الحبشة وما فيها من التصاوير
وانه (ص) قال « كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا
فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » فان ذلك بشر بأنه لو كان جائزاً في
ذلك الشرع ما أطلق عليه (ص) ان الذي فعله شر الخلق ، فدل على ان فعل صور
الحيوان فعل محدث أحدثه عباد الصور والله أعلم اهـ

أقول: لم يأت الحافظ رحمه الله بشيء يشفي في هذه المسألة والذي يظهر في حل
الاشكال أن وجود التصاوير في مكان ليس ما نعا ذاتياً لدخول الملائكة فيه ، اذ
لو كان كذلك لم يختلف فيه حكم شرائع الانبياء عليهم السلام وأصل دين الله فيهم
واحد وإنما اختلفت شرائعهم بما يختلف ضرره ونفعه وفساده وصلاحه باختلاف الزمان
والمكان . وما ذكره الله تعالى من منته على نبيه سليمان عليه السلام في هذه المسألة
دليل على ان عمل التماثيل له واتخاذها إياها في مبانیه لم يكن فيه مظنة عبادة ولا تشبه
بالمشركين مذكر بمبادئهم مؤنس للمؤمن بها .

ومن المعجيب أن يذكر الحافظ في تعليل ما كان يعمل سليمان انه كان يعمل

له صور الانبياء والصالحين الخ وهذا هو أصل البلاء في عبادة الصور والتماثيل فقد روى البخاري وغيره ان اصنام قوم نوح وأوثانهم المذكورة في سورة نوح صارت الى العرب وان اسماءها كانت أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عادت ، ويؤيد هذا حديث عائشة في قصة الكنيسة وقد تقدم ، فالنصارى قد اتبعوا سنن سلفهم من الروم واليونان في اتخاذ الصور والتماثيل فكانوا يجعلون صور الانبياء والصالحين في المعابد وغيرها وهي التي ذمهم الرسول (ص) ولم يذمهم على اتخاذ صور الملوك والقواد والوالدين والاولاد وغيرهم مما لا شبهة فيه على العبادة ولا دخل له في الدين . فمن المجيب ان يغفل المستنبط عن علة الشيء الصريحة ويتخذ له علة أخرى يفسر بها النصوص ليجمع بينها فيحمل الشيء على ضد المراد . على ان الحافظ ذكر حديث الكنيسة المصرح بالعلة الصحيحة ولكنه لم يرد به ما ذكره قبله

وقد وقع مثل هذا لبعض المؤلفين المقلدين في تشريف القبور بالبناء ووضع الستور عليها فحمل النهي عن ذلك في الاحاديث على ما لم يقصد به تعظيم الميت الصالح أي لانه اضاءة للمال وأباح ما اتبع به الخلف الصالح سنن من قبلهم من بناء القبور الصالحين ووضع الستور عليها اذا كان المراد به تعظيمها قياسا على أستار الكعبة وهو قياس مصادم للنص مبطل له نقض لعلته ذاهب بحكمته ، فان الخطر على أصل الدين وهو التوحيد إنما هو في تعظيم قبور الصالحين لانه أدى عبادتها بالتعظيم والطواف والمسح ودعاء الموتى ، و « الدعاء هو العبادة » كما ثبت في الحديث عند أحمد وأصحاب السنن وغيرهم . وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة مرارا

(٧) نقل الحافظ في شرح حديث عبد الله بن مسعود - وهو الاول مما أوردنا - عن الخطابي قدم شراح البخاري انه قال فيه : إنما عظمت عمومة المصور لان الصور كانت تعبد من دون الله ، ولان النظر اليها يقتل بعض النفوس اليها تميل ، قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح اه

أقول : التعليل الاول هو الصحيح الذي يؤخذ من مجموع النصوص واقتصر عليه

المحققون، وأما دعوى الافتتان بجمالها وهذا لا يقع الا نادرا فلا يبنى عليه مثل هذا الوعيد الشديد، وإنما يظهر وجهه اذا أريد به الافتتان الديني الذي كان عليه الكفار وهو يرجع الى التعليل الاول . ومن المجيب أن يجعل الميل والاستحسان لبعض خلق الله والسور به مذموما شرعا ومقتضيا لتحريم الاستمتاع به وان لم يترتب عليه ترك فريضة ولا ارتكاب معصية . فليحرموا اذا النظر والتأمل في زينة الكواكب النيرات ، والجنات معروشات وغير معروشات ، وجمال رياض الازهار ، ومحاسن حدائق الاشجار ، وسماح خريز المياه ونفحات الاطيار، وغير ذلك من صنع الله (الذي أتقن كل شيء) الذي أحسن كل شيء خلقه) وماذا يفعلون بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، لمن سأله عن حب الزينة في اللباس (ان الله جميل يحب الجمال) ؟ رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وغيرهما عن غيره أيضا

(٨) ثم قال بعد ثقل ما تقدم عن الخطابي : وقيل يفرق بين العذاب والعقاب فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أو فعل كالعتب والانكار والعقاب يختص بالفعل . فلا يلزم من كون المصور أشد من عذابا أن يكون أشد الناس عقوبة . هكذا ذكر الشريف المرتضى في شرحه في باب بالآية المشار اليها وعليها انبى الاشكال ولم يكن هو عرج عليها فلماذا ارتضى التورقة والله أعلم

(قال) واستدل به أبو علي الفارسي في التذكرة على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله « المصورون » أي الذين يعتقدون ان لله صورة . وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بانفظة « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون » وبحديث عائشة الآتي بعد بابين بانفظة « ان أصحاب هذه الصور يعذبون » وغير ذلك ، ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره — أي معارضة الآية بالحديث — اهـ وحديث الباب الذي أشار اليه هو الثاني مما أوردنا

وأقول : كان يمكن لأبي علي أن يجيب عن هذا لو أورد عليه بحمل حديث « ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » في الذين يجعلون لله تعالى صورة مماثلة لصور بعض المخلوقات ، ويجيب عن معارضة الآية بتقدير « من أشد » ويتفصى بذلك من جعل التصوير ككفر آل فرعون مشاركا له في مثل عقابه ، ومعلوم من أصول الشريعة

المجمع عليها أن ما ورد النص تسميته أكبر الكبائر هو دون أشد الكفر بالشرك بالله ومعاندة رساله ككفر آل فرعون ، إذ كل كبيرة من هذه الكبائر التي هي أعظم جرما من التصوير المحرم يجوز أن تغفر ولا يطذب صاحبها أصلا ، فكيف يحرم بأن لمصورين أشد الناس أو من أشدهم عذابا كآل فرعون . وأما كونهم يعذبون فلا مر فيه دون ذلك ، ولا سيما على قول من فرق بين العذاب والمقاب فلم يجعل كل عذاب عقابا

(٩) من أشد الفقهاء تشديدا في التصوير واتخاذ الصور أبو بكر بن العربي من المالكية والنووي من الشافعية . وقد جزما بتحريم التصوير مطلقا لخص الاول الاقوال في اتخاذ الصور فقال : حاصل ما في اتخاذ الصور انها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع وان كانت رقما فأربعة أقوال الاول يجوز مطلقا على ظاهر قوله في الحديث « الا رقما في ثوب » الثاني المنع مطلقا حتى الرقم الثالث ان كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو تفرقت الاجزاء جاز — قال وهذا هو الاصح — الرابع ان كان مما يمتن جاز وان كان معلقا لم يجوز اه ونوزع في دعوى الاجماع فيما له ظل واستثنى الجمهور لعب البنات كما تقدم وفيه بحث سيأتي قريبا

(١٠) قال الحافظ في شرح حديث الدرر نوك : يستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور اذا كانت ممالا ظل له وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتن بالاستعمال كالنخاد والوسائد قال النووي : وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين . وهو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي ، ولا فرق في ذلك بين ما له ظل وما لا ظل له ، فان كان مطلقا على حائط أو ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يمد ممتنها فهو حرام . ثم ذكر الحافظ مؤاخذات فيما نقله النووي (منها) حكاية ابن العربي بتحريم ماله ظل بالاجماع ، وقال ان محله في غير لعب البنات ، وان القرطبي حكى فيما لا يتخذ للبقاء كالتمخار قواين أظهرهما المنع ، وجعل إلحاق ما يصنع من الحلوى بالتمخار ولعب البنات محل تأمل (ومنها) ان مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان مطلقا الا ان يكون على جدار فيمنع . أي عملا بحديث « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين »

(١١) قال النووي : وذهب بعض السلف الى ان الممنوع ما كان له ظل وأما لا ظل له فلا بأس باتخاذ مطلقا ، وهو مذهب باطل فان الستر الذي أنكره النبي (ص) كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك ومع ذلك فأمر بنزعه (قال الحافظ متعبا للنووي) قلت المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير القديس والعنقاء . ففي اطلاق كونه مذهبا باطلا نظر اذ يحتمل انه تمسك في ذلك بعموم قوله « الا رقما في ثوب » فإنه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا ، وكأنه جعل انكار النبي (ص) على عائشة تعليق الستر المذكور مكرها من كونه مصورا ومن كونه ساترا للجدار . ويؤيده ماورد في بعض طرقه عند مسلم — وذكر تحليل الحديث المتقدم في ذلك وقال — فهذا يدل على انه كره ستر الجدار بالثوب المصور فلا يساويه الثوب الممتن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار ، والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذي روى حديث التمرقة فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة ما استجاز استعمالها . ثم رجح الحافظ ان الرخصة فيما يمتن لافيما كان منصوبا وتقل عن جماعة من علماء السلف القول بذلك ، منها ما روى عن عكرمة : كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصبا ولا يرون بأسا بما وطئته الاقدام ، وما روى من طريق عروة انه كان يتكى على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال اه

[المنار] القاسم بن محمد هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق (رض) أحد أئمة التابعين تربى في حجر عمته عائشة وتفقه بها وروى عن غيرها من الصحابة أيضا ومن أخذ عنه الزهري وريعة شيخ الامام مالك وكثيرون . قال يحيى بن سعيد الانصاري : ما أدركنا بالمدينة أحدا نفضله على القاسم ، وعن أبي الزناد قال : ما رأيت فقيها أعلم من القاسم ، وما رأيت أحدا أعلم بالسنة منه ، وقال سفيان بن عيينة : كان القاسم أعلم أهل زمانه ، وقال ابن سعيد : كان اماما فقيها ثقة رفيعا ورعا كثير الحديث ، قال أيوب السختياني : ما رأيت أحدا أفضل من القاسم . انتهى ملخصا من تذكرة الحفاظ .

(١٢) قال الخطابي في شرح حديث اللعب : ان اللعب بالبنات ليس كاللهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد وإنما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ . قال الحافظ عقب نقله : وفي الجزم به نظر لكنه محتمل لان عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكلتها أو جاوزها أو قاربها وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا فيخرج رواية من قال في خيبر ويجمع بما قال الخطابي لان ذلك أولى من التمازض . اهـ

وأقول : ان هذا ليس بجمع اذ لو كانت لعب البنات محرمة لما أقر النبي (ص) عائشة وصواحبها على اللعب بها وان كن غير بالغات ولما تركها في بيته . والصواب ان هذه اللعب لا تدخل في عموم ما أنكره من الصور المتعلقة بل هي أشبه بما أقره من الصور في الوسائد والمرافق في أن كلا منهما لا يشبه ما كان يعبد من الصور والتماثيل (١٣) بعد كتابة ما تقدم كله راجعت ما كتبه الحافظ في شرح حديث كنيسة مارية في الحبشة المقارن في البخاري لحديث امن أهل الكتاب لا تخادهم قبور أنبيائهم مساجد فإذا هو يقول في شرح الاول في باب هل تنفث قبور المشركين : وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فاعبدوها . فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية الى ذلك ، وفي الحديث دليل على تحريم التصوير وحمل بعضهم الوعيد على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الأوثان وأما الآن فلا . وقد أطنب ابن دقيق العيد في رد ذلك كما سيأتي في كتاب اللباس اهـ

ثم قال في شرح الحديث الثاني في باب بناء المسجد على القبر : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية ان يصنع بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا ، وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متعجه قوي اهـ ويعني بما تقدم قوله في الكلام على ترجمة الباب السابق : ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرحهم ذلك الى عبادتهم اهـ (للفتوى بقية)

رحلة الحجاز

٦

صفة الوقوف بعرفات

بلغنا عرفات في وقت السحر فألفينا الخيام قد ضربت لنا وفرشت فنزلنا فيها ولما طلع النهار وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد الصخرات حيث كان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأينا أكثر الحجاج في هذا الجانب من بسيط عرفات وسائر الجوانب والأجواز خالية وفي بعضها قليل من الحجاج ، ولبعض حجاج الاقطار مواضع خاصة يقفون فيها كل عام كما يرى القارئ في صورة الموقف من الفصل السابق . ويقف كثير من عرب الجزيرة في جبل الرحمة وبصممه كثير من حجاج الاقطار الاخرى كما علم مما تقدم . وكانت خيام الشريف في موضعها المعتاد من وسط ذلك البسيط وكان السبب في بعدها عن مسجد الصخرات وموقف الامام أن يسهل على أي فريق من الحجاج الوصول اليه للزيارة أو الشكوى في زمن قصير

واني بعد كتابة ما تقدم من وصف عرفات اطلعت على كتاب دلائل الحج لمحمد باشا صادق المصري المهندس أحد ضباط أركان الحرب الذي طبع سنة ١٣١٣ فاذا فيه أن مساحة سطح البقعة المستوية من عرفات « كيلو متر مربع » أي نحو ألفي ذراع بذراع الآدمي - وهو من رؤس الاصابع الى المرفق - والذي يترأى للنظر انه أوسع من ذلك وهذا المكان لا يسع مئات الالوف من الحجاج ولكن كثيرا منهم يقفون في جبل الرحمة وفي غيره مما الى ذلك البسيط من الجبال، وجبل الرحمة يرى في المساء مكتظا بالحجاج من سفحه الى قمته . وارتفاعه نحو من ستين ذراعا (٣٠ متر) وطوله قريب من ستمائة ذراع (٣٠٠ متر) كما قال محمد صادق باشا . قال : وأعلى هذا الجبل سطح مستو مباط بالحجر مربع في نحو عشر بن مترا وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في (عرض) سبعة وارتفاعها متر ونصف ، وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض مترين يرى من أسفل الجبل

كنار للطريق اه وأقول ان هذا منار لا كالمنازل لا يشترط في مسمى المنار لغة أن يوضع في أعلاه أو أثناؤه نور وإنما هو العلم الذي يهتدى به ، وهذا المنار يراه حجاج الآفاق من الجهات المختلفة

قد فاتنا لقلة الحجاج رؤية منظر من أعظم المناظر المؤثرة في النفس ، الحركة لشعور الخشوع والعبودية في القلب ، وهو رؤية تلك البقعة الشريفة خاصة بالشعوب الوافدة من جميع أقطار الأرض ، ملين دأين ، باكين خاشعين ، يجأرون الى الله عز وجل على اختلاف لهجاتهم ، الناشئة عن اختلاف لغاتهم ، يرددون الاذكار الماثورة بالعربية ، ويدعون الله ماشوا بلغاتهم المختلفة.

قال صديقنا محمد ايبك في رحلته بعد وصف عرفات والكلام على الوقوف : عند وصول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب المحامين (أي المصري والشامي) بنحياهم قربا من جبل الرحمة ، يليهما مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم ، وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجاج الاعراب محتشدين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالبنين المرصوص . أما بقي الحجاج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدحم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف وقاعد وجهالهم وجهدهم مربوطة بجوارهم ، وترى الكل في صعيد واحد حتى يتمذر على الانسان السير الى أي جهة أراد ولو لضرورة في نفسه ، ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أحذية أفقية [أي أمكنة متعاضدة كالصفوف] يقسمها شارع رأسي ويخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجاج وجهالهم من ورائهم . وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الجمالة في ربط جهالهم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، — لكان له شكر الله وللاشكة والناس أجمعين . وفي سعة الوادي ما يضمن لدولته إقامة الكل على الراحة التامة ، لأن هذا التزاحم إنما سببه التقرب من بحرى الماء ومن السوق الذي تراه بجوار مسجد الصخرات (ويبيع فيه بعض الأغذية الضرورية) وربما كان لتزاحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من ذلك الرحاب عون على النهب والسلب ، وبسبب هذا التزاحم يضل الناس عن أمكتهم

إذا تركوها لا مرميًا ، ولذلك تراهم ينادون بعضهم [أي أنفسهم] إما بأسمائهم أو بألقاظ اصطلاح عليها أهل كل جهة حتى إذا سمعها واحد منهم أجابه بصوت عال وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة الإقامة بعرفة . اه وأقول ، اننا لم نشاهد شيئاً من ذلك لقلة الحجاج ، وهذا يؤيد ما قلنا من قبل ان التعارف بين الشعوب في عرفة لا يتيسر

وذكر ابن جبير الاندلسي في رحلته ان الجمع الذي كان في عرفات في سنة حجة - وهي سنة ٥٧٩ - لا شبهة الا الحشر ، وان المحققين من الاشياخ المجاورين زعموا « انهم لم يعاينوا قط في عرفات جمعا أحفل منه ، وانهما رؤي من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله . ثم قال : « فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، والى الله عز وجل في الرحمة متضرعين ، والتكبير قد علا ، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع ، فما رُئي يوم أكثر مدامم ، ولا قلوبا خواشع ، ولا أعناقاً طيبة لله خواضع ، من ذلك اليوم . فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تفتح وجوههم الى أن سقط قرصها ويمكن وقت المغرب وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ووقفوا بمقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذ الأسر واليمنيون مواقعهم بمنازلهم المعلومة لهم في جبال عرفات المتوارثة عن جدّ جدّ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدى قبيلة على منزل أخرى ، وكان المجتمع منهم في هذا العام عددا لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين ، ومن النساء العقائل المروقات بالخواتين (واحدتهن خاتون) ومن السيدات بنات الأمراء كثير ومن سائر المعجم عدد لا يحصى ، فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم في نفر الامام المالكي لان مذهب مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا ينفر حتى يتمكن سقوط القرصة ويحين وقت المغرب ، ومن السرو اليمنيين من نفر قبل ذلك . فلما أن حان الوقت أشار الامام المالكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعا ارتجبت له الارض ورجفت الجبال ، فياله موقفا ما أ هول مرآه ، وأرحى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه ، ونعمده بنعماءه ، انه منعم كريم حنان منان » اه المراد منه

وقوفنا بعرفة وتأويل رؤيا صادقة

زرت في أثناء النهار الأمير الشريف مع بعض الاخوان فجشت سرادقه راكبا فرسا
 لبعده عن موقفنا . ورأيت سوق عرفة وهي بقرب مجرى عين زبيدة كما يعلم من الصورة
 التي نشرناها . ولما رأيت مجرى عين زبيدة هناك ووجدتها تنحدر بقوة في مجاريها
 الواسعة المبنية تذكرت رؤيا كنت رأيتها بمصر قبل ثورة الحجاز وكتبتها وذكرتها
 لكثير من الناس : رأيت في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ اني في مكة المكرمة ومعي رفيق
 لي فدخلنا المسجد الحرام ثم أردنا أن نخرج لحاجة لنا فسمعنا أذان المصر فقلت
 لرفيقي لا ينبغي لنا أن نخرج وقد أدركتنا الصلاة الا بعد أدائها في المسجد ، وينا
 أنا جالس في المصلى بالقرب من الكعبة المعظمة رأيت الشريف حينما أمير مكة جالسا
 أمامي من جهة يميني قريياني واعتقدت انه جاء ليصلي بالناس إماما ، فالتفت الي من
 جهة يساره وقال لي أبطأت علينا إنا منذ زمن نتظر قدومك إلينا . وبعد أن خرجنا
 - ولم أره صلى ولا اتنا صلينا معه - رأيت معي بعض رجاله وانا ذاهبون بأمره الى
 أحد دوره - أي غير دار الامارة - لا تكون فيها ضيفا عليه ، وينا نحن نسير غربا
 جنوبا رأيت في شارع واسع ممتد من الجنوب الى الشمال ماء غزيرا صافيا مندفا
 بقوة في مجرى واسع مبني بالحجارة وله فرع الى الغرب وفرع الى الشرق ، فوقفت
 متعجبا من قوة جريان ذلك الماء وقلت في نفسي : اهذا ماء عين زبيدة ؟ ما سمعنا
 أحدا من الحجاج ذكره بهذا الوصف ، وهذه القوة في الجريان لا تكون الا بقوة
 دافعة كالكهربائية أو البخارية . ورأيت في الطريق دارا جديدة ممتازة بين دور مكة
 يياضها من الخارج علمت انها خاصة بنساء الشريف . وخطر في بالي ان دار الضيافة
 التي خصصت لي سأكون فيها مع الشريف عبد الله أحد أنجال الأمير

هذا ما رأيته في نومي قبل ثورة الحجاز بمدة أشهر ولما حدثت الثورة وأعلن
 الاستقلال خطر في بالي أنه ربما كان تأويل رؤياي إصلاح جديد نجيا به مكة ويمتد
 الى سائر الجهات كما تداد ذلك الماء الذي رأيته فان الله تعالى يقول (وجعلنا من
 الماء كل شيء حي) ولما جئت مكة حاجا ظهر لي من تأويل الرؤيا أنه كان معي
 رفيق ، وأنني كنت ضيفا للأمير ، وانه رحب بي أحسن ترحيب وكان ينتظر مجيئي ؛

وان دار الضيافة كانت في الجهة الغربية من الحرم الشريف ، وان الشريف عبدالله زارني في هذه الدار ، وانني رأيت دارا بيضاء قبل لي انها دار حرم الامير النخاس ، وان الناس تحدثوا بأنه سيبلغ بالخلافة - والامامة الخاصة ، قد تؤول بالامامة العامة ، وكل منهما كان متوقعا ولم يقع . وأما صدق الرؤيا في مسألة الماء فلم أشاهده في البقعة على نحو ما رأيته في النوم الا في عرفات ، فأنجري المني وطوله وتمداده يشبه الذي رأيت الا ان سرعة اندفاع الماء وقوته كانتا دون ما رأيت في النوم ، والفرق يسير . فهذه الرؤيا من أوضح الرؤى وأجلاها تأويلا ، وهي حجة على الذين ينكرون الرؤى الصادقة

الحالة الروحية في الوقوف والنفر

ان الحالة الروحية لا تبلغ الكمال في عرفات ظاهرا وباطنا الا في أصيل ذلك اليوم العظيم ، ففي أول النهار يعرض لاكثر الناس شغل تشغل حواسهم وجوارحهم وأفكارهم . منها ضروب لا كل والشرب ، ومنها رؤية المظهر الجديدة من تلك البقعة بجماعة تشوب كثرة مما يحبطهم من الجهد . فبذو النظر تشغل كثيرا من الناس بصورتها وتساكن في أول العيد بروايتها ، عن مناهج وحكمة كون السير اليها ولو قوف فيها عبادة لله تعالى ، وفي أثناء النهار يأكل الناس طعامهم ويستريح أكثرهم في خيامهم ومضاربهم أو في ظلال الجبال ولا سيما إذا كان الحر شديدا ، فإذا جاء وقت الصلاة جمعا منهم يشدو وحالهم وفرغوا قلوبهم لذكر والدعاء والذبح عند موقف تطيب من - بل الرحمة - حرصا على سماع الخطبة ، أو لاشتراك في اللوف من آخرتهم في التكبير والتلبية ، وقد يراى في الماسك ن السرع لم يحمل امرئة ذكرا ولا دعاء خاصا بل ترك ذلك الافراد ، ولم يرد ان النبي (ص) كان يلبي بعرفة في الخطبة ولا في غير الخطبة ولكن صح أنه كان يلبي بين المشاعر ذهابا وإيابا وهي منى ومزدانة وعرفة . ودعا إلى زفته بعرفة رافعا يديه بل يرد في الصحاح نص ذكره ولا دعائه واستسبح الله ذكر ماورد في الضمف كقول « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير » روي عن عدة من الصحابة مرفوعا وأنه خير ما يقال

قضينا جل نهار عرفة بذكر الله والدعاء وتيسر لي والحمد لله الاغتسال فيه .
وصلينا الظهر والعصر جميعا في مسجد الصخرات ، ورأينا هناك خطيب عرفة وهو
نائب الشرع بمكة وقد صعد بناقته فاستوى على تلك الصخرة من جبل الرحمة ذات
التاريخ الاسلامي العظيم وقد أحاط به الناس وازدحموا من حوله يسمعون منه أحكام
المناسك ، ومن دونه ومن فوقه في الجبل ألوف من الناس يشاهد بعضهم بعضا ويراهم من
في السفح ومن في بسطة عرفات كلها لأن الجبل مدرج يشبه ما يتخذ في بعض المدارس
الكبرى من المقاعد ذات الدرج المقوسة التي تسمى الفرنجة (نفيتاترو) وكما لي
وكبر الخطيب لي من حوله وكبروا وأشاروا بأطراف أرويتهم البيضاء أو مناديلهم
ويتبعهم في التلبية والاشارة كل من هناك من قمة جبل الى سفحه ، فيلي سائر الناس
ويكبرون ، فيتموج بأصواتهم الهواء ، وترتج الحواء ، حتى تصل الى عنان السماء ، بل
تخترقها حاملة ذلك الذكروا إنشاء ، والضرعة والدعاء ، الى من استوى الى عرشه المجيد ،
وهو أقرب الى عبده من جبل الوريد . فياله من موقف ما أعظمه ، وما أصدق من شبهه
بيوم القيامة ، وقد يكون التشبيه على أكمله في ذلك المساء ، فانه وقت يكون فيه لكل
مؤمن من الشغل بنفسه والتوجه الى ربه ، ما لا يمهذ مثله في وقت من أوقات حياته ،
يشمر الناس محيطون به من كل جانب — بأنه في خلوة لا يشغله فيها عن ربه شاغل ،
ولا يشوب خشوعه له وبكائه من خشيته وسروره بمناجاته ربه ولا سمعة ، بل لا يكاد
يخطر بباله أن أحدا هناك يرى أدا . فما أعجب شأن هذا الاجتماع العظيم الذي
يجتمع كل من شهد به بإيمان وعرفان ، بين مزايا عبادة الخلوة وعبادة شعائر الاجتماع ،
بل أقول ان له مزية على سائر الشعائر لا يعرفها لا من ذاقها

وقبل الغروب أقبل الشريف أمير مكة بموكبه الحافل حتى صعد أدنى جبل
الرحمة فكان قريبا من موقف الخطيب وتلاه ركب المحمل المصري . وحينئذ أطلقت
المدافع ، وعزفت المعازف ، (الموسيقى) واستعد الناس للدفع من عرفة ، لاجل ميت
تلك الليلة بمزدلفة ، وبدأ الدفع بعد الغروب . فركت السيدتان هودجهما ، وسار
الرفيقان الكراءان والخدم مهمما ، وفضل السيد لزواوي بارسال نجله السيد عبد الرحمن
مهمم ويهدئ ناله أن يذهب بهم الى منى ليلا بعد أداء أدنى ما يجب من المقام بمزدلفة

ويبر عنه بالميت ، ورائقني هو قد دفنا مما على دابتين فقطعنا ذلك الطريق ، في ذلك الوقت المتدل اللطيف . ونحن نجأ الى الله تعالى بالتلبية والتكبير ، ولقد وصفنا تأثير التلبية في الطريق بين جدة ومكة ، وأبن تأثير طريق مكة من تأثير عرفة ؟ وما أبعد الفرق بين حال المبتدئ بهذه العبادة - عبادة المناسك - الذي لم يذق منها الا طعم الاحرام والتلبية ، وبين من شاهد بيت الله عز وجل وطاف به كثيرا وسعى بين الصفا والمروة متذكرا تلك الآيات اليزنة ، ثم أقام ركن الحج الاكبر وهو الوقوف بعرفة قائملا قلبه إيمانا وعرفانا ، وانثى بين الالوف من الموحدين يكبر الله على هدايته تكبيرا ، ويكرر التلبية له تكريرا ؟

﴿ المبيت بمزدلفة وقصر الصلاة وجمعها ﴾

الامام بمزدلفة ليلة النحر وذكر الله عند المشعر الحرام (أي فيها) واجب وجعله بعض علماء الاثر ركنا ، وقد ثبت في السنة التعجل بالضمعة كالساء والصبيان بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد غياب القمر . وأدنى الواجب الوقوف فيها ليلا لذكر الله تعالى وأما المبيت الى الصباح فهو سنة كما بينا في المناسك . نزلت مع السيد الزواوي بفناء مسجد المزدلفة فصليت هنالك المغرب والعشاء قصرًا وجمعا . والسيد لا يقصر في عرفة ومزدلفة ولا يجمع لانه مكى شافعي ، والشافعية لا يجيزون القصر والجمع الا في السفر الطويل ، والحنفية يوجبون الجمع في المزدلفة لاجل النساك ، والتحقق عند أهل الحديث ان القصر عزيمة والجمع رخصة في كل سفر طويل أو قصر ، وان الجمع في المشاعر أفضل للاتباع ، وناهيك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في أعمال حجة الوداع ، التي علم فيها الالوف المناسك وغير المناسك ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

قال الحافظ ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ان الامام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة وكذلك من صلى مع الامام ، وذكر أصحاب الشافعي انه لا يجوز الجمع الا لمن بينه وبين وطنه ستة عشر فرسخا إلحاقا له بالقصر (قل) وليس بصحيح فان النبي (ص) جمع فجمع معه من حضره من المكيين وغيرهم ، ولم يأمرهم بترك الجمع

كما أمرهم بترك القصر فقال « أمموا فانا سفر » ^(١) ولو حرم الجمع لينه لهم اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . قال ولم يبلغنا عن أحد من المتقدمين خلاف في الجمع بعرفة والمزدلفة بل وافق عليه من لا يرى الجمع في غيره اهـ

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في مناسك الحج بعد ان ذكر صلاة النبي (ص) الظهر والعصر جمع تقديم يعطى عرنة في حدود عرفة وخطبته هناك مانصه : ويصلي بعرفة والمزدلفة ومنى قصرا ، ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) ولم يأمر النبي (ص) ولا خلفاؤه أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى « أمموا صلاتكم فانا قوم سفر » ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ .

ولكن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة . وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم ، ولما رجع من عرفة رجعوا معه ، ولما صلى بمنى أيام منى صلوا معه ولم يقل لهم أمموا صلاتكم فانا قوم سفر ^(١) ولم يحد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لا بمسافة ولا بزمان ، ولم يكن بمنى أحدا سائرا كنافي زمنه ولهذا قال « منى مناخ من سبق » ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافر من يحمل الزاد والمزاد اهـ

وذكر المحقق ابن القيم في الهدى النبوي مثل ما تقدم عن المناسك مختصرا وزاد انه ليس على المسافر جمعة لان النبي (ص) لم يصلها يوم عرفة ولا في سفر آخر . وأقول ان عدم أمر النبي (ص) لأهل مكة بالاتمسام في منى وما بعدها ينطبق على حديث أنس « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصرحوا ان الشاك في الاميال والفراسخ شعبة لأنس . وقال الحافظ في الفتح ان هذا أصح حديث وأصرحه في المسألة

مكث السيد الزواوي معي قليلا في المزدلفة ثم ذهب الى منى وأوصى الخادم

(١) السفر بفتح السين وسكون الهمزة جماعة المسافرين كالشرب جماعة الشاربين

باحضار دابتي في الصباح فتمت ساعات واستيقظت في وقت السحر. وقد سخر الله تعالى لي زفاقا من خير الناس بتبحوارهم وقد عرف الزواوي منهم رجلا مكي اسمه الشيخ علي مؤمنة، فلما استيقظت وجدتهم أيقاظا فطلبت منهم ماء فتوضأت وصليت الوتر احدى عشرة ركعة فلما آتممت صلاتي وجدتهم قد أحضروا الشاي وخصني كبيرهم بإبريق نظيف من نوع جيد منه وقدم لي معه صحفا فيه لوز مقشور وصحافيه هشة من الكعك المعروف بالقراقيش فأصبحت من ذلك كله شاكرا لهم. وطفق كبيرهم بسألني أسئلة في السنة والاتباع والابتداع واختلاف العلماء والبصوفية ويتلقى أجوبتي عنها بالقبول مسرورا بما جليتها به من الشرح والتفصيل. وهذا الرجل بخاري الاصل يعرف العربية وكنت توهمت انه داغستاني وقد ساح في كثير من البلاد، وقد فهمت انه جاور في مكة المكرمة وأنه يخرج كل سنة منها الى عرفة ببعض أصحابه في الموسم مشاة ويعودون مشاة. وقد اختلف العلماء في أي الأمرين أفضل في المناسك المشي أم الركوب فقيل المشي لانه أقرب الى التواضع وأعون على الدعاء، وقيل بل الركوب تأسيا بالنبي (ص) فانه لم يفعل الا الأفضل والاكمل، ويمكن أن يقال ان الأفضل لأهل الآفاق وللضعفاء من أهل مكة الركوب وأن الأقوياء من المقيمين بمكة قد يكون المشي أفضل لهم من عدة وجوه منها مشاركة أهل الآفاق ببعض مشقة السفر وان ذلك لا ينافي بالاتباع

وقد سألت السيد الزواوي عن هذا الشيخ وعن رفيقه الخاص الشيخ علي مؤمنة وكلفته بعد عودتي أن يسأل عنهما فكتب الي إن الثاني نشأ من صغره محبا للعزلة والبعد عن كبراء الدنيا وهو على الدوام يخدم العلماء وأهل الطريق من الغرباء ومنهم الشيخ حسام الدين البخاري صاحبكم في المزدلفة: ويقول تلميذه الشيخ علي مؤمنة انه أقام في مصر مدة طويلة وخرج منها في العام الماضي مأمورا عليه (كذا) بالوصول الى مكة والاقامة بها هذا العام وهو الآن موجود في أحد أربطة البخارية بحارة جواد لا يخالط أحدا، لا يعرف ولا يعرف، مواظبا على الجمعة والجماعة كتلميذه الشيخ علي ولما طلع الفجر صلينا مع الجماعة ثم ذهبنا حول المسجد نجتمع الحصا لرمي الجمار فلما جهناها ركبنا دابتي وسارت وسار أصحابي مشاة قاصدين مي

﴿ الأفاضة الى منى ورمي جرة العقبة ﴾

أفضنا من مزدلفة ملين مكبرين قبل طلوع الشمس عملا بالسنة، ومخالفة لما كان عليه عمل الجاهلية من تأخير الأفاضة منها الى طلوعها . ومن السنة المبينة على سبب تأريخي هناك الاسراع المعتدل في السير في بطن محسر لا فرق في ذلك من الماشي والراكب . وتقدم ان بطن محسر بقشيد الباء المكسورة هو الوادي الفاصل بين منى ومزدلفة . قال بعض العلماء ان حكمة الايضاع فيه ان أهل الجاهلية كانوا يقفون فيه ويذكرون مفاخر آبائهم ، ففي الاسراع فيه إظهار البراءة من ذلك . وقال بعضهم ان هذا المكان هو الذي أهلك الله تعالى فيه أصحاب القيل الذين جاؤا من طريق اليمن لهدم بيته المحرم فاستحب الاسراع في الخروج منه لانه كان موضع سخط الله تعالى وعذابه لاولئك الظالمين المعتدين ، ويستحب مثل ذلك في كل مكان مثله كديار نمود

ولما وصلنا الى منى قصدنا الجرة الكبرى جرة العقبة وكانت الشمس قد ارتفعت فرميناها بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة . وفي مثل هذا الوقت رماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم راكبا ، وقد صح انه (ص) جعل البيت عن يمينه ومنى عن يساره ورمى . وانه كان يكبر مع كل حصاة ، وانه قل : « اللهم اجعله حججا مبرورا وذنبيا مغفورا » وبعد الرمي جثت الدار للمدة لنزولنا فيها فاذا هي من أعظم دور منى حسنا وسعة وهي اصدقنا الشيخ محمد نصيف ، فرأيت السيدتين في قسم النساء منها ، والرفيقين في قسم الرجال ، والجميع كما أحب ، وأعطيت لو كيل الخرج دراهم ووكلته بشراء النسك والذبح عني . وقد قصصت قليلا من شعر رأسي بيدي ، ولم يتيسر لي الا تيان بحلاق الى دار لاتي أريد الأفاضة الى مكة لاجل طواف الركن . وفي حديث أنس عند مسلم انه (ص) أتى منى فأتى الجرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قل للمحلاق « خذ » وأشار الى جانبه الايمن ثم الابسر ثم جعل يعطيه الناس ومنى شرع الحاي في رمي جرة العقبة مكبرا تقطع التلبية التي هي شعار الحج . ويستبدل بها التكبير الذي هو ذكر الله في العيد ، ومنى رماها وحلق شعر رأسه أو قصره حل له كل ما كان محرما في النسك الا ملامسة النساء فلها لا تحمل الا بالتحلل الاخير بطواف الأفاضة .

الحرب والصلح

عقدت الهدنة بين الروس وأعدائهم وألف الفريقان لجنة من مندوبي كل دولة منهما للبحث في شروط عقد الصلح، وفي عدد جريدة الاهرام الذي صدر في ١١ ربيع الاول ان وزير خارجية الالمان الذي رأس الجلسة الاولى جعل الفرض من الاجتماع اعادة الصلات الاقتصادية والادبية الى ما كانت عليه قبل الحرب، وان الوزير الروسي (كامنف) تلا برنامج حكومة الروس المعروف الذي تقترح جعله أساسا للصلح العام، وخلاصته ان يكون الصلح الاضام ولا غرامة. وان يعطى كل شعب تحكمه أمة أخرى الحرية والاستقلال اما بالاعتماد على رأيه بعد سحب القوة الفاصلة من بلاده. واما بالاعتماد على الرأي الذي أظهرته صحافته ذلك الشعب وجمياته. وتمتد حكومة روسية. واصلة القتل لتقتسم الشعوب الغنية لشعوب الصغيرة الفقيرة جريمة لا تغفر» ثم قالت الاهرام: «وقد جاءنا اليوم بيان أتم عن مطالب الروس (١) المدول عن كل ضم وفتح بالقوة (٢) اعادة استقلال البلاد التي اجتاحت (٣) منح كل نصر الحق بان يختار الحكم الذي يريد (٤) تفادي عن ضرب الغرامة الحرية وتقرير التعويض على الافراد (٥) انشاء صندوق دولي من أموال الجميع لدفع التعويضات» ثم ذكرت أمرا ثالثا أعلن في الجلسة وهو «رغبة الالمان بان يشترك جميع المتحاربين بمفاوضات الصلح حتى تقررت دعوة مندوبي فرنسا وانكلترا وإيطاليا والولايات المتحدة الى المفاوضات»

ومن الناس من يرتاب في اخلاص الدولة الالمانية في اظهار ارتياحها الى دخول جميع الحلفاء في مؤتمر الصلح ولا يرتابون في اخلاص النمسة، ويرى هؤلاء ان ايعاز الاولى الى حكومة [البولشفيك] الروسية التي لم يعترف بها الحلفاء بأن تدعوهم الى الاشتراك معها في مفاوضات هذا الصلح في بلادها يراد به اضطرار الحلفاء الى الإبقاء والرفض ويؤيد ذلك ما قاله السنيور [أورلندو] رئيس وزارة ايطالية في خطابه بمجلس الشيوخ وهو: «انه قد حان الوقت لكشف الفطاء عن الأعيب دولي الوسط اللتين تبدلان كل وسيلة لشد عزائم شعوبهما ولتسو يد صفحة خصومهما

بإدعائهما أنهما تريدان الصلح وإن الحلفاء يرفضونه . فالحلفاء هم الذين يريدون الصلح وهم وحدهم يريدونه ولا يكتفونهم يريدونه على شكله الممكن أن يجعله صلحا عادلا شريفا دائما باتفاقات جليلة صادقة . أما امبرطوريتنا الوسط فأنهما تتبعان خطة غريبة تطلبان بها من الحلفاء أن يعودوا إلى مواسلتهم على يد حكومة لم يعترف بها الحلفاء لأنها حكومة وقتية إلى أن تجتمع الجمعية الدستورية ولأن شطرا كبيرا من روسيا لم يعترف بها . « هذا من حيث الشكل وأما من وجهة الجوهر في مقترح الصلح فإن مندوب البولشفيك يظن أن باستطاعته أن يقول إن الشطرين الأولين من مقترحات الصلح مقبولان وهما أولا - إعادة الممالك التي فقدت استقلالها من جراء الحرب وثانيا - الجلاء عن الأراضي التي احتلت مع العدول عن الضم وانكم لترون أن في هذا القول ضللا ففي الحقيقة إن الشرط الثالث المتعلق بالشعوب الخاضعة لأمم ليست منها لم يقبله الألمان والنمسيون . (وضرب لذلك مثل أمانتهم القومية والألزاس واللورين) « ثم غلب الخطيب في بيان ضرر العودة إلى الحالة القديمة لأنه ليس في هذا القول ضمان إذا ما قبل الشرطان اللذان قال بهما البولشفيك أولا لأن امبرطوريتي الوسط أعلنتا أنهما لا تنويان إزالة الاستقلال السياسي من البلاد التي حلتها فلفظة « الاستقلال السياسي » لا تنفي الاعتداء على الاستقلال الآخر كالأستقلال الاقتصادي مثلا . ولأنها لا تتضمن أيضا عودة الملكية المستقلة إلى جميع أراضيها كاملة . أضف إلى ما تقدم أن لفظة « استقلال الشعوب » هي لفظة مبهم لا تزال الشكوك وما تضمنه دولتنا الوسط من المطامع فأنهما تقولان أنهما لا تريدان ضما بالقوة ومعنى ذلك أنهما تنويان ضما بغير القوة . فحتى إذا يمكن أن يوصف الضم بالقوة ؟ فالجواب على ذلك أن الأمر متعلق على وجود القوة وعلى شكل الخيار الذي يعرض على الشعوب الموجودة تحت نير الغازي أضف إلى هذا هل يعتبر الضم ضما عند ما لا يمكن ذكر الضم بالقوة في المعاهدات الدولية . فأصبغة التي تعرضها دولتنا الوسط صيغة مبهم لا يحمل الريب والشكوك وتدلنا على أننا لا نزال بعيدين جدا عن المبدأ الأول الذي ينبغي لكل ضم « أه المراد منه تقلا عن عدد ؟ يناير من الأهرام وقد كانت لبرقيات المنشورة بهذا التاريخ أن مقاضات الصلح أوقفت لأن

ألمانية نزعهم أن شعوب الولايات أو الممالك الأربع التي انضمتها من الروسية - وهي البولندية والكورلندية واللوانية والاستونية - قد جهرت برغبتها في الانضمام إلى ألمانية فيجب أن تكون ألمانية ، وإن الروس ينكرون عليها ذلك وإن وزير خارجيتهم تروتسكي خطب في اللجنة المركزية لحزب العمال والمحدثين فأنكر ذلك أشد الانكار لأن ظهور الشعب الرخبة في مسألة الحكم لا يكون صحيحاً مع وجود الاحتلال الاجنبي والقوة العسكرية . وفي برقية لروتر من لندن وردت في ٢ يناير أن اللجنة أقرت الوزير الخطيب على خطابه ووضعت قراراً بفحواه قالت في آخره

« فنحن ندافع عما لبولندا ولتوانيا وكورلندا من الحق في بت مصيرها والحكم في مستقبلها بنام الحرية ونقول لشعوب النمسا والمانيا وبلغاريا وتركيا اذكروا ان التعجيل في عقد صلح ديمقراطي يتوقف عليكم فقد سالت دماؤكم وأصابكم الإعياء والجهد في حرب عديمة المثل فلا تسمحوا لدعة السلطة والفتح من النمساويين والالمان أن يجاروا روسية الثورية لإخضاع بولندا ولتوانيا وكورلندا وأرمينية »

(المنار) قد سبق فيينا في الجزء الاول من هذا المجلد مثل ماقررت الروسية ورئيس الوزارة الإيطالية اليوم في مسألة حرية الشعوب واختيارها لكل الحكومة الذي ترضاه نفسها . وينا في الجزء الرابع - الذي قبل هذا - أهم ما بشرط الحلفاء للصالح . وبعد كتابة ما تقدم واعداده للطبع جاءنا البرق بخطبة رئيس الوزارة البريطانية ثم بخطبة رئيس الولايات المتحدة وهما أصرح ما قلناه الحلفاء في أسباب الحرب وشروط الصالح وبعد ناسخا لكل ما يخلفه سيد القول ما يقول الرئيس . وسبيل منهما حقيقة غرض الحكومة الألمانية وهل هي تريد الصالح حقيقة فيما تتخذ من الوسائل الصورية له كما يقال ، أم تريد به إيقاع الشقاق بين أعدائها كما قال رئيس الحكومة الإيطالية ، أو إقامة الحجة عليهم بأنهم هم طلاب الحرب والفتح كما يظن كثير من الناس . ولعل هذه الصراحة من الحلفاء تضطرها إلى التصريح بشروط الصالح التي ترضاه قائما لما نصح بشي . لا طلب حرية البحار . ونسأل الله تعالى أن ينصر الحق والمعدل وحرية الشعوب المستضعفة على الباطل والظلم قوة الاستبداد والاستعباد ويكشف عنها حجب الخداع والرياء . إن ربي سميع الدعاء .

(تنبيه) اضطررنا إلى تأخير ترجمة التبريد سلام البشري

أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألبار
أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألبار

الله
١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألبار
أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألبار

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٦ — ٢٢ الدلو (ش ٢) ١٢٩٦ هـ ١١ فبراير ١٩١٨

فَتَاوَى الْمَلِكِ

ففتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء . وأما تذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قد منأماخراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه . وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولأن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا عفا له

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

تابع لما في الجزء الخامس

﴿ ملخص ما تقدم من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء في شرحها وفقها ﴾

أما الأحاديث فملخص في سبع مسائل

- (١) أن المصورين يعذبون يوم القيامة ويكفون إحياء ما صنعوا أمجيزاً ووصفهم بالظلم الشديد المقصودهم مضاهاة خلق الله
- (٢) لعن المصور كما لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال فيهم أنهم كانوا يصورون الصالحين منهم ويصمونهم في معابدهم ووصفهم بأنهم شر الخلق
- (٣) إنكار نصب الستور التي فيها الصور والتماثيل وهتكها أي إزالتها
- (٤) تمليح الإنكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين وتارة بكونها في المصلى تعرض للمصلي في صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتاً فيه صورة أو كلب
- (٥) اتخاذ الثياب التي فيها الصور وسائل ووافق واستعمال النبي (ص) لها مع بقاء الصورة فيها كما صرح به في رواية الإمام أحمد
- (٦) أن تغيير الصورة الحيوانية بما يصير به أشبه بالشجر كقطع رأسها يبيح اتخاذها . وفي معناه فتوى ابن عباس للمصور العراقي
- (٧) نقض اتصاليات وإزالتها

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين في المسألة (فمنها) استعمال زيد بن خالد الصحابي للسنة الذي فيه الصور وهو أحد رواة حديث «ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة الا رقفا في ثوب» فهو لم يشترط ان يكون الثوب الذي فيه الصورة مهانا (ومنها) اتخاذ أحد أعظم أئمة التابعين القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) الحجة التي فيها تصاوير القديس والعنقاء، وهو ربيب عمته عائشة الصديقة واعلم الناس بمحدثها وفقهها وقد روى عنها حديث النمرقة

(ومنها) استعمال يسار بن عمار مولى عمر بن الخطاب (رض) وخازنه الصور في داره. وقد روى عن عمر وغيره وهو من الثقات كما قال ابن سعد وابن حبان (ومنها) صنع الصور في دار مروان بن الحكم أو سعيد ابن العاص وكل منهما ولي إمارة المدينة وكانا من التابعين روى الشيخان عن الأول ومسلم عن الثاني وهو خير من الأول. وقد انتقد على البخاري روايته عن مروان وأجابوا عنه بأنه ثقة في الحديث وإنما ذنبه عملية سببها السياسة أعاذنا الله من شرها وشر أهلها. وعمل مروان لا قيمة له في الاحتجاج الا أنه يدل على أن التصوير كان مستعملا في عصر الصحابة ولكن أبا هريرة أنكر ما رآه في داره وكان من أعلم الصحابة بأحداث بني أمية وأخير بعضها قبل وقوعها. وكذلك أنكر ابن عباس على المصور العراقي تصويره للحيوان وافتاه بتصوير النبات

وأما أقوال العلماء في شرحها وفقها فهم من شدد فيه ومن خفف، وأشهر المشددين من محققى الفقهاء في القرون الوسطى أبو بكر ابن العربي والنووي فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا وان كان الاصل ان ماحل اتخاذه واستعماله حل صنعه وقال الأول: ان ما له ظل كالتماثيل ذات الاجسام يحرم اتخاذه بالاجماع، وبين الحافظ ابن حجر ان حكاية الاجماع غير صحيحة لتصریح الجمهور بحل لمب النبات اصحة الحديث بذلك، ونقل عن القرطبي حكاية قولين فيما لا يتخذ للبقاء كتماثيل الفخار وجعل إلحاق ما يصنع من الحلوى بالفخار وبالمب النبات محل تأمل. وأقول ان تمثيل الحلوى التي تصنع بمصر في أيام الموالد أقل بقاء مما يصنع من الفخار لانها لا تلبث أن تؤكل وهي تؤخذ للاطفال كلعب النبات فالقول بحلها أظهر من

القول يحمل ما يتخذ من الفخار ، وأما ما لا ظل له من الصور فخكيا في اتخاذها أربعة أقوال : ١ الجواز مطلقا ٢ المنع مطلقا ٣ تحريم ما كانت الصورة فيه تامة وجواز ما قطع رأسها أو تفرقت أجزاؤها ٤ جواز ما يمتن دون كان معظما كالمعلق . وقد رجحنا الثالث ورجح الحافظ ابن حجر الرابع .

وقد علم من هذا التفصيل كلام المخففين بالاجمال . ومن التفصيل فيه قول الحافظ : مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان مطلقا الا ان يكون على جداره ومذهب القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) ان ما لا ظل له لا بأس باتخاذها مطلقا فقد صح انه كان في بيته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، ومنه حمل أبي علي الفارسي الوعيد بمذهب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى صوره كصور خلقه تعالى عن ذلك ، وجعل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة خاصا بالنبي (ص) وجعل بعضهم إياه خاصا بملائكة الوحي ومقتضاها انه انقطع ، وجعله الكثيرون خاصا بملائكة الرحمة ، وخصصه بعضهم بالصفة كما تقدم في ص ٢٢٩ ومنتهى التخفيف قول بعضهم ان الوعيد على تحريم التصوير خاص بمن كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاثان وأما الآن فلا . ورده ابن دقيق العيد كما قال الحافظ في الفتح

والتحقيق ان الاصل في الوعيد على التصوير قسمان أحدهما لا يتحقق الا بالقصد وهو مضاهاة خلق الله كما تقدم في الكلام على الحديث . وثانيهما لا يشترط فيه قصد علة الخضر وهو كما يؤخذ من حديث كنيصة الحبشة ومما صرح به المحققون من المتقدمين والمتأخرين في شرحه وشرح غيره هو سد ذريعة عبادة صور الانبياء والصالحين وغيرهم ومثله الوعيد على بناء المساجد على القبور لافرق بينهما البتة . فيأتي فيه ما قاله الحافظ في شرح الحديث من (باب بناء المسجد على القبر) من صحيح البخاري وهو كما في آخر ص ٢٣٥ من جزء المنار لماضي : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية أن يضع بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا . وأما اذا آمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متعجه قوي اه

ويمكن أن يقال ان سد الذرائع يختلف باختلاف الازمنة وباختلاف أنواع الصور

ولما كانت التماثيل والصور المعظمة في الجاهلية تعظيم العبادة هي صور ذات الانفس اذن ابن عباس (رض) للمصور الذي استغناه بتصوير الشجر وما لا نفس له . ولما صارت صور ذات الانفس مجرد الزينة وزات مظنة العبادة اتخذ بعض أئمة السلف بعض الصور في بيوتهم كترك الصحابة الصور في ايوان كسرى . ولا نقول ان ذريعة تعظيم الصور تعظيم ديانة وعبادة قد زال في هذا الزمن وان علة التحريم انتفت كما قال من جعل التحريم كالمفسوخ لجعله خاصا بالمصر الاول ، اذ لا شك في أن تصوير الانبياء والاولياء وكل من يغلو في تعظيمه العوام أو اتخذ تماثيل لهم قد يفضي الى العبادة . كما رأينا نظير ذلك في تعظيم قبور الصالحين الذي جاء مصداقا للحديث الصحيحين « لتبمن سنن من قبلكم شبرا يشبر وذراعا بذراع الخ ولكن الناس شددوا في سد ذريعة عبادة الصالحين بتعظيم صورهم وتساهلوا في سد ذريعة عبادتهم بتعظيم قبورهم ببناء المساجد عليها والطواف بها والتما من جلب النفع ودفع الضر بالتمسح بها ودعاء من دفن فيها . ومن تأمل الاحاديث وآثار السلف في مسألة تشييد القبور وتجهيزها وحظر اتخاذها مساجد ووضع السرج والستور عليها ، ومسألة التصوير واتخاذ الصور بمجملها في البيوت والستور ونحوها - يتجلى له ان علة النهي عن الامر بن واحدة ، ألا انها في القبور أشد وأعم ؛ وقد جمع الامر بازالتهما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي : ألا أبغضك على ما بغضني عليه رسول الله (ص) « أن لاتدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته » وفي رواية : أن لا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته » باسناد الافعال الى ضمير المتكلم أي بغضني على أن لا أدع الخ . وطمس التمثال نحو صورته التي يشبه بها الهي ، ويحصل بتشويبه أو قطع رأسه دون ازالة عينه لان ذلك كاف في اخراجه عن صفة المعظم عبادة . وأما تسوية القبر فازالة عينه لان المراد بها تسويته بالارض أي جعله مساويا لها . ولكن أجاز الفقهاء رفع القبور قدر شبر كما رفع الصحابة قبر النبي (ص) وصاحبه (رض) . وقدر بعض من رأى القبر الشريف من السلف ارتفاعه بأربعة أصابع ، نقله الحافظ في الفتح والظاهر انه اعتمد - وقال الشافعي في الام : « رأيت الاثمة بمكة يأمرؤن بهدم ما يبنى . قال النووي عند نقله في شرح مسلم ويؤيد

الهدم قوله « ولا قبراً مشرفاً إلا سوية » اهـ
وأما الخلف من العوام والحكام فخالفوا جميع الأحاديث والآثار في المسألة الأولى
والمكثرون ظلوا يشددون المسألة الثانية إلى أن عمت البلوى بها في هذا العصر فصاروا
يتساهلون في أمر اتخاذ التصاوير للزينة وللانس بصور الأقربين والمحبين وصار العلماء
يسمحون للمصورين بتصويرهم حتى أكار شيوخ الأزهر وقضاة الشرع والمفتين، والمكثرون
لا يزالون يشددون في صناعة التصوير نفسها على كثرة منافعها وشدة الحاجة إليها في
غير ما تساهل الجمهور في اتخاذها من أعمالها

سأني بعض العلماء البصراء في طرابلس الشام مرة عن التصوير إذ قلت أنه
بعد الآن من أركان العمران والحضارة هل له فائدة يعتد بها شرعاً فإن ما فتن به الناس
من زينة التصاوير ليس بالأمر البافع الذي رخص في هذه الصناعة لاجله ولو في غير
ما نخشى عبادته أو تعظيمه تعظيماً دينياً ؟ فقلت له لي البداهة ولم يكن قد سبق لي تفكر في
مصر فوائد التصوير : إن له أنواعاً من الفوائد في حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم
والفنون وفي الأعمال العسكرية والإدارية والسياسية وذكرته من الأمثلة على ذلك ما يأتي
(١) اتنا نرى في كتب اللغة أسماء كثير من الأشياء كالنبات والحيوان وغيرها

غير مفسرة بما يعرف به المسمى من لم يكن يعرفه باسمه ذلك بل يقولون حيوان
معرفة أو طائر معروف وصاحب القاموس المحيط يكتبني بحرف م الخزل من كلمة
معرفة وهذا تقصير كبير في حفظ اللغة ولو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما كان يفعل
قدماء المصريين وكما تفعل أم الحضارة الآن لكان ذلك أحسن حفظ للغة ولا
يفني عنه الوصف بالكلام لأن بعض الأجناس تتشابه فلا يسهل التمييز بينها بقول بل
تسمى أو يتمدرو وصف أي جنس من أجناس الخنازير وصفها يمكن أن يعرفه به كل من سمعه
(٢) يترتب على الجهل بأجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الأحكام

الشرعية كالحكم ما يحل أكلها وما لا يحل وأحكام جزاء الصيد على المحرم وغير ذلك
فإن للتصوير فوائد عظيمة في علوم التاريخ الطبيعي والطب والشرح
الإنساني والحيواني وفروع هذه العلوم قد عرفت كثرة في هذا العصر، ويتوقف
إيضاح الحقائق فيها تأليفاً وتعليقاً على الصور التي تظهر بها جميع الأقسام الظاهرة والباطنة

صحيحة ومر بضة فائقان هذه العلوم يتوقف عليها

(٤) للتصوير فوائد عظيمة في الاعمال الطربية، فلا يمكن لمن يتركه أو يقصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلونه به ولا أن يمد لهم ما استطاع من قوة — فنما تصوير المواقع والطرق والبلاد والجيوش وما إليها من السلاح والخيالة، ومنها تصوير من يشبه في أمرهم أن يكونوا عيوننا وجواسيس وتقتضي الحكمة أن يحملوا تحت المراقبة. ومنها تصوير من يحتاج إلى تحقيق شخصيتهم لئلا يشبهوا بغيرهم... (٥) للتصوير فوائد عند حكومات هذا العصر في الاعمال السياسية والإدارية

كأعمال الجواسيس وحفظ الأمن وغير ذلك وتفصيل ذلك يطول.

لا يقال أن المسلمين يمكن أن يستغنوا عن صناعة التصوير في التعليم والتأليف والاعمال الحربية وغيرها كما استغنى سلفهم فإن هذا بمثابة القول باستغنائهم عن سلاح هذا العصر ومراكبه البحرية والهوائية كما استغنى عنها سلفهم، وإنما كان يصح هذا التشبيه لو كان ما ذكر من المستحدثات موجودا في عصر السلف يستعمله خصومهم وهم يتركونه ولا يضرهم تركه. وهذا باطل لا يقول به أحد.

ولا يترتب على نوع ما من أنواع هذه التصوير تلذع إلى عبادة غير مشروعة ولا إلى تعظيم ديني ولا يقصد بشيء منها مضاهاة خلق الله — فإما أن يؤخذ فيها بقول من يحمل الوعيد على التصوير خاصة بما ذكر من أول الأمر كتصوير الصالحين ومن يخشى أن يفتتن الناس بصورهم وتماثيلهم وبما يقصد به مفسدة أخرى كالتعريض على المعاصي وهتك الموراث، وإما أن يخص عمومها بأحكام الضرورة في بعضها وأحكام الحاجة التي تعد من المصلحة الراجحة في بعض آخر، فإن القاعدة في المحرم لذاته أن يباح للضرورة كأكل الميتة ولحم الخنزير، وفي المحرم لسد القرينة أن يباح للمصلحة الراجحة كرؤية الطبيب للموراث وأبدن النساء الأجنبية عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين.

فمن عرض مسألة التصوير واتخاذ الصور على هذه القواعد الشرعية علم منها أن دين الفطرة، الذي قرن كتابه ووصف بالحكمة، ورفع منه الحرج والمسر عن الأمة، لم يكن ليحرم صناعة نافعة في كثير من العلوم والاعمال، ويحتاج إليها في حفظ الأمن

وفنون القتال ، وأما يحرم ما فيه مفسدة أو ما كان ذريعة إلى مفسدة ، ولا يبعد أن يقال إن أعمال المصورين في هذا العصر تعتبرها الأحكام الخمسة - فإذا سألنا رؤساء الأحكام وكبار القواد وأركان الحرب والأطباء وغيرهم من علماء الفنون التي هي من فروض الكفايات عن صناعة التصوير الشمسي واليدوي فقالوا إن منها ما هو ضروري يترتب على تركه ضرر عظيم ، ومنها ما فيه مصلحة راجحة ، ومنفعة مجربة - فمقتضى الأصول والقواعد تكون واجبة في بعض تلك الضرورات والمصالح - ومستحبة أو مندوبة فيما دونها من المنافع ، ومباحة فيما لا ضرر فيه ولا نفع ، ومكروهة فيما كان مظنة الضرر ، وقد يناقريها ما تكون فيه محرمة وهو ما حمل عليه النص ، فهذا ما أعلمه وأقدمه من نصوص الشرع وقواعده في هذه المسألة وهو يؤيد ما نقلته عن بعض علماء السلف والخلف في التساهل فيها قولاً وعملاً ، والله أعلم

رحلة الحجاز

٧

طواف الافاضة

بعد ذلك ركبت دابتي وقصدت مكة المكرمة فطلعت طواف الافاضة وهو طواف الركن الذي لا يتم الحج بدونه ، وفي أثناء طوافنا شرع أهل مكة في صلاة العيد ورأيت الأمير يصلي معهم مأموماً ، وكان الرجال يصلون في الجهة الغربية من الكعبة المعظمة والنساء في الجهة الجنوبية وهن كثيرات جداً ، ثم سمينا بين الصفا والمروة وهو من أركان الحج وقد سميت في هذه المرة ماشياً . وقد اختلفت الروايات : هل طاف النبي (ص) وأصحابه بين الصفا والمروة في حجة الوداع مرة أو مرتين ؟ ففي حديث جابر عند مسلم أنهم طافوا بينهما مرة واحدة قبل هرة ، وفي حديث عائشة أنهم طافوا مرتين أي عند القدوم وبعد طواف الافاضة ، ورجح المحققون من علماء الحديث رواية جابرة ولو أن ما ذكر في حديث عائشة مدرج من كلام الزهري لا من كلامه فإنه ذهب المحدثين أن السعي لا يتكرر ، ويقول كثير من الفقهاء إن لكل نسك سعيلاً لا يسقطه السعي بعد طواف القدوم ، وأن السعي المبرور لا يغني عن

السمي بعد طواف الافاضة للحج . ولا يصل النبي (ص) العيد يوم النحر بمكة ولا بمنى كما انه لم يصل الجمعة بعرفة لانه مسافر ولم يكن يصليهما في السفر ، وقال بعض العلماء ان رمي جرة العقبة للحاج كصلاة العيدين به فصلة العيد لا تطلب منه وان كان مكيا . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لإقامة السنة على الوجه الاكمل في حجة أخرى أو حجبات كثيرة هذا وانني بعد الطواف والسمي جئت منزلا بمكة واستحضرت حلاقا فأخذ شعر رأسي كله بالآلة المروقة بالمكنة أخذا أقرب الى الحلق منه الى التقصير ثم عدت الى منى وقد نخلت من الحج نخللا كاملا ، والله الحمد أولا وآخرا ، وإياه نسأل أن يجعله حجنا مقبولا وسعيها مشكورا . وقد بقي من أهال الحج التي لا يشترط فيها الاجرام —
رمي بقية الجمار وذبايح النسك

الجمار بالكسر والجرات بالتحريك جمع جرة وهي في أصل اللغة واحدة الجرم من النار ، والحصاة ، والقبيلة التي تصبر لقراع القبائل ، وكل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يخافون أحدا ولا ينضمون الى أحد . قيل سميت جمرات الناسك بمنى بهذا الاسم لانها ترمى بالجمار أي الحصى وقيل لانها تجمع الحصى التي ترمى شبت باجتماع القبيلة على من ناوأها . وقال أبو العباس أصلها من جمرته ودهرته اذا نحته ، والتجدير رمي الجمار والمجمر (كالمعظم) موضع رمي الجمار . فأما جرة العقبة فهي في عقبة منى التي ينحدر منها السائر الى مكة على جانب الطريق ، وأما الجرة الوسطى والصغرى فهما في وسط الطريق الذي يشق منى نصفين وتعرف مواقعهما من صورة منى (خريطتها) وفي موضع من الوسطى والصغرى بناء يقرب من شكل المارة أو المسلة قليل الارتفاع حوله حظيرة مستديرة ، وكانت دارنا عند الجرة الوسطى من جهة الشمال وهي أفسح دار هناك . وقد بينا كيفية رمي الجمار وحكته في مناسك الحج كما بينا حكمة ذبايح النسك . وكنا نذبح كل يوم من أيام منى فأخذ حاجتنا لبومنا وتصدق بالباقي . وقد كانت الذبايح في السنين الخالية تزيد على حاجة أهل البلاد ومن حولهم من الأهراب لكثرتها وأما في هذا العام فهي لا تكاد تكفي قهرا الحرم

الحالة السياسية في الحجاز

في أواخر سنة ١٣٣٤

آمننا بفضل الله مناسكتنا ، فنحمد الله تعالى ونسأله ان يتقبل منا ، واذا فرغنا من حديث المناسك . فبحسن ان ثم فوائد هذه الرحلة بما يمكن بيانها . لأن من أخبار الحجاز الاجتماعية والسياسية ، التي تعد من أعظم الأحداث التاريخية ، ثم بعض الطرف الأدبية ، من المختارات الشعرية ، ونبدأ بذكر إنشاء الحكومة الجديدة في مكة المكرمة فنقول : لما شعر بالاستعداد لتأليف هذه الحكومة أصحابنا اللاجئين إليها ، الذين يعدون من أصحاب الشأن أو العمل فيها ، اختلفت آراؤهم فيما ينتظر أن تكون عليه ، وما ينبغي أن يكون مسلكهم في هذه الحال على كل تقدير يتصوره الذهن ، وقد استحسنوا ان يجتمعوا ليلاً ويكاشفوني بأرائهم ويتعرفوا رأيي « والمستشار مؤتمن » ففعلوا . ومما بعد من الغريب عند كثير من الناس ان ما كان يجول في أذهان أهل البلاد المختلفة بمكة في هذه المسألة هو عين ما كان يجول في أذهان أهل مصر من الآراء والظنون . ثم ماذا كان ؟

فلما يوم الخميس سابع ذي الحجة انه قد تألفت فيها حكومة جديدة . على الوجه الذي نشر بعد الحج في العدد السابع عشر من جريدة القبلة بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وهذا نصه :

(الحكومة العربية الجديدة)

« ما أوفت الساعة السادسة من نهار الخميس الماضي سابع ذي الحجة حتى اكتظت دار الحكومة بأكابر العرب وعلميتهم تنظراً لشريف رجال الحكومة العربية الجديدة ولما كانت الساعة السابعة وصل صاحب السمو الأمير عبد الله ومعه سائر الوكلاء فصعدت الموسيقى بالسلام الشريف وأخذت الجنود النظامية المرصوفة على جانبي الطريق السلام العسكري . ولما استقر بحضراتهم المكان في ندوة الحكومة قرئ المرسوم الشريف الصادر من جلالة سيدنا الملك المعظم الى حضرة العلامة الفضال الشيخ عبد الله سراج بتعيينه قاضياً للقضاة ووكيلاً لرئاسة الوكلاء . وتعيين زملائه حضرات الوكلاء المقام . وهذه صورة المرسوم الشريف :

﴿ المرسوم الشريف بتأليف هيئة الوكلاء ﴾

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

انه لما كانت مصالح لرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من دراوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة، ويتبين بها أساس الوظائف الذي تبنى عليه المسؤولية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة . وبالنظر الى ما نحققه فيكم من الكفاية والاستقامة ، عزمنا بعد الاستعانة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لعهديكم وتعيينكم وكيلاً عن رئيس الوكلاء المظام ، وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الدوات الآتية أمماؤهم، وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة الخارجية ويكون وكيلاً عن وكيل الداخلية، وعبد العزيز بن علي رئيس أركان حرب ووكيلاً عن وكيل رئاسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة، والشيخ علي مالكي وكيل للمعارف والشيخ يوسف ابن سالم رئيس البلدية سابقاً وكيلاً للمنافع العمومية، والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقاً وكيلاً للأوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم وكما يتعلق بوظيفته الشريفة، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكيل للمالية . وذلك لما توسعنا من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح بلاد وأهلها على ما يرضي الله ، وانا تنتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدراوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وأرجو الله سبحانه أن يجعلنا . فظهر توفيقه وهداه ، في كل ما يحبه برضاه

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤ هـ شريف مكة وأمرها

حسين

ثم تلي مرسوم شريف آخر بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصه :

﴿ المرسوم الشريف بتأسيس مجلس الشيوخ الاعلى ﴾

وكيل رئيس الوكلاء وقاضي القضاة مولانا وفقه الله

بما أننا قد استنسبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم (مجلس الشيوخ) وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال الدواوين

والدوائر الرسمية وإبداء رأي فيما تعرضه الدوائر على مقام وكيل رئيس الوكلاء
وصيقر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي ، فقد جملنا رئيساً له جناب افاضل
الاجل فامح بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشبي . وأعضاءه حضرات الافاضل
الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح لزواوي ومفتي المالكية الشيخ
هابد بن حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن
علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبد الله علي رضا
والشيخ علي بن عبد الله الشرباصي والشيخ أبو بكر بن محمد خوقير وذوي السيادة
والشرف حمزة بن عبد الله الفخر وقتن بن محسن وسليمان بن أحمد بن سعيد وناصر
ابن شكر وتبلغهم ما ذكر اقتضى تحريره ما في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

اه ما نقل عن جريدة القبلة شريف مكة وأمرها

حسين

ولما علم الناس بتأليف الحكومة الجديدة كان حديثها شغلهم الشاغل وكانوا ينتظرون
أن يسموا يوم الجمعة ثامن الشهر شيئاً جديداً في تعيين شكلها ، واستحسن بعض الاخوان
الذين رأوا ما رأوا من اكرام الامير مثواي أن يطلب التشرف بمقابلة خاصة أتوسل بها
الى عرض ما عرفوا وحمدوا من رأيي في شكل هذه الحكومة ففعلت ، نلت الخطوة في أول
الليل على سطح في أحد جوانب قصر الامارة وتوصلت بذكر ماتم من تأليف مجلس
الوكلاء الى السؤال عن شكل الحكومة كيف يكون ؟ ففضل الامير بتواضعه المهور
قائلاً : هذا ما نحب ان نأخذ رأيكم فيه . فذكرت رأيي مفصلاً تفصيلاً ، ولكنني لم أسمع
كلمة ولا رأيت اشارة تدل على استحسان ولا على انكار ، ثم استأذنت وانصرفت .
قلت ان جمهور الناس من المكين والحجاج كانوا ينتظرون أن يسموا يوم الجمعة
شيئاً جديداً فلم يسموا ، وكان من صلى الجمعة في المسجد الحرام من المصريين على
مقربة من المنبر يلقون السمع الى الخطيب عند الدعاء ، فسموه بأذانهم يدعوا للسلطان
محمد رشاد ، وخرج الناس من المسجد الحرام ، ولم يقع ما كانوا يتوقعون من المباينة
بالخلافة بين الركن والمقام ، فزال بذلك مزال من الظنون والاهام .

ثم عاد الناس الى الحديث في هذه المسألة في مساء يوم العيد بمنى وأشيع ان

المبايعة بمحتل أن تكون ضحوة غد في أثناء الاحتفال المعتاد في سراي الامير ، ذلك بأن المادة قد مضت بأن تكون ضحوة اليوم الاول من أيام منى موعد تهته الامير الشريف بالعيد وأمام الناسك فكان يحضر لديه والي الحجاز وقائد الجند فيه وأمير الحج الشامي والمصري وكبار الشرفاء والطماء وكبراء رجال الحكومة ووجهاء مكة المكرمة والحجاج و يتلى فرمان السلطاني الذي يهد فيه الى الشريف بالنظر في شؤون إقامة الحج وحفظه في الحجاز... ويختم الوالي على الامير الخلة السلطانية .

ولما أشيع ما أشيع جاءني أولئك لأصحاب ليل الذاكرة في الامر وبعد طول التشاور فيه اقترحوا علي أن أذهب الى نجيم الامارة لاكتشاف الحقيقة اذ قيل ان جمهور رجال الحكومة الجديدة وشرقا مكة ووجهاء ها يرون وجوب المبايعة بالخلافة وان سيدنا الامير مخالف لهم في ذلك ويرى ترك ذلك الى جماعة المسلمين في سائر الاقطار، وقد بين هذا المعنى بعد ذلك في بعض المنشورات الهاشمية. ولما كان منزلنا بعيدا عن نجيم الامارة وكان الاخوان يعلمون ان الامير لا يسهر كثيرا جازوني بمجود كريم فركبته وأسعرت لي السراي الخاص فقيل لي إن سيدنا قد نام، وسألت عن نجله الامير عبد الله فقيل انه قد نام أيضا فعدت أدراجي الى اخواني فأخبرتهم بذلك وانصرفنا الى مضاجعنا .

بت لي في أفكر في هذه المسألة ولم يبق لي من أعمال النسل ما يشغل قلبي عنها وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه القليلة عن رأي الامير دون من حوله، وقد أكرته لذلك، وكان أعجبي من منشوريه الاولين جعل عداوته لفئة الأنحاديين المتغلبة للشعب التركي ولا لدولة العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدنا - وكنت أرى ان مبارزته العداوة لفئة المتغلبة قد يقف بني زعمائها على العرب عند حد ما اجترح جمال باشا من المواقف التي هي شر لدولته وكذا لجمعيته لا خير لها كما توهم، وان تقع الحركة الحجازية ، محصور في هذه الفائدة المرجوة ، وفي إغاثة جيران بيت الله من المجاعة والهلكة المحيطة وفي الاحتياط لما يجب اذا سقطت الدولة، وأرى انه يجب السعي لتحقيق ذلك بدون ارتكاب إثم يربى شره على خبره، وكنت أشرت الى رأيي هذا والى حسن ظني في الامير الشريف في مقال المحاوره الذي نشر في التلار قبل الحج وقبل العزم عليه ذلك ما بت أفكر فيه، ولما أصبحنا أسرع الناس الى مكان الاحتفال مشرقين

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألفت مرادق الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي امامه ولولم يرني بعض من يعرفني هنالك لما تيسر لي اختراق ذلك الجمع الكثيف، والنفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رأيت من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أخلي لي فيها، وكان الناس من مصريين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصائد في التهانى والادعية، فرأيت أن ألقى خطبة في بيان الحقيقة التي عرفتها بالبحث والاختبار، والآراء التي أنتجتها تلك الأفكار، أشير فيها الى آراء الناس من الحجازيين والآفقيين وكنت قد بلوت أخبارهم ، واكتنفت معرفتهم وانكارهم، وأذكر مالم يدي من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسهل المقام، فلما فرغ من كان يتكلم قبل مجيئي استأذنت فأذن لي فقلت وقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

وكل ما يوضع فيها بين الالهة هكذا () فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكريمتين : في أولها فهما من أصل الخطبة

خطبتنا السياسية في منى

أيها المسلمون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، انكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقم أحكامها أهله ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا ، لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابة التعمد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره ، وكان أهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به ، ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا

الأم بإقامة أحكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسمعه نوابه نظيرا كما اعترف بذلك المنصفون من الأفرنج وغيرهم

ثم طرأ الضعف على السلطة الإسلامية بتفرق الوحدة العربية الكافية لها، وتغلغل الأعاجم في الدول الإسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة. فبعد أن كانت الفتوحات الإسلامية في مد لا جزر معه، صارت دول الطوائف الإسلامية بين مد وجزر، وقوة وضعف، حتى وصلت الدولة العثمانية منها إلى درجة عالية، ومكانة سامية، من القوة البحرية وسعة الفتح والتغلب، فسر بها المسلمون ورضي بعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعا واختيارا، كما دخل بعضهم تحتها اضطرارا، وقد كان أمراء مكة العظام أهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطيب إلى جلالة مولانا الأمير) في مقدمة من أيده هذه الدولة واعترفوا بسلطانها وسيادتها، لاجل جمع كلمة المسلمين بها وإعلاء شأن الشريعة الإسلامية بنفوذها (هنا قال جلالة سيدنا الخطيب صدقت) ثم إن هذه الدولة قد سرى إليها الضعف ودب إليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون. وانني أذكر لكم بعض الشواهد على ذلك من تاريخها الرسمي منذ مئة سنة ونصف إن محمد علي باشا الذي كان واليا للدولة على مصر قد زحف على سورية ففتحها، ثم على الأناضول فتوغل فيها، ولولا أن الدولة الانكليزية أكرهته على الرجوع إلى مصر لاستولى على بلاد الدولة كلها. وكان ذلك على عهد السلطان محمود الذي كان يمد مصالحها في الدولة ومجدها لها بقضائه على عسكر الانكليزية المحتل وادخاله نظام الجندية الأوروبية في الدولة تولى السلطان محمود السلطنة في سنة ١٢٢٣ وتوفي سنة ١٢٥٥ فخلفه السلطان عبد المجيد الذي صرح في خطابه عند إعلان «التنظيمات البحرية» في كلخانة بأن الضعف والخلل قد طرأ على الدولة منذ ١٥٠ سنة وأنه لا بد من تلافي خطر ذلك بالنظام الذي أعلنه بتدبير أساطين الدولة في عهده. ولكن ذلك النظام لم يمد إلى الدولة قوتها، ولا أنقذها من الخطر الذي كان يخشى عليها. ودليل ذلك أن أركان الدولة قد خلعوا أخاه السلطان عبد العزيز الذي خلفه سنة ١٢٧٧ وقتلوه أو ألجأوه إلى المنفى نفسه بيده سنة ١٢٩٣ بحجة أن استبداده كان حائلا دون إصلاح الدولة وتجديد شبابها. وولوا بعده السلطان مراد ولم يلبثوا أن خلعوه في تلك السنة وولوا

بهذه السلطان عبد الحميد الذي كان عاهدكم على العمل بالقانون الاساسي الذي
 قلدوا فيه الدول الأوروبية ظنا منهم بأنهم لا يعترضون الا بما عتزت به من الحكم النيابي
 وأما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة عندكم لان العهد بها قريب ، وقد
 خلته جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته، وتولت الجمعية السيطرة على
 الدولة بعده ، فإذا كان من أمرها ؟ هل كانت خيرا من أولئك السلاطين العظام
 الذين لم يقدروا أن يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن آباءهم وأجدادهم ؟ كلا ان
 زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أو شاب من الملاحدة المارقين
 قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلايك وشر كاؤم في النمسة والمانية أقوى
 أنصارهم ولذلك نرى أكبرهم جمع المال . فلا هم على دين هذه الدولة فيفارقوا
 عليه . بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص
 على حياتها من أبناء صلاطينها وأساطينها

وإذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من
 الفساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف الى أن أصيبت بهم
 ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحرية خمسين مليون جنيه ليجددوا
 قوتها العسكرية ، ثم رأينا دولة البلقار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم
 يتم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في
 شطلجه تمزق مسمع أهل الآستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش
 الألماني من المؤنة والذخيرة والدواب وماتر أسباب الحرب

وقد خسرت الدولة في عهد المشؤم من الممالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال :
 خسرت البوسنة والهرسك يبيع الجمعية اياها للنمسة ، وطرابلس الغرب وبرقة يبيعها
 اياها لاطالبية ، ومكدونية وألبانية وكريت وجزائر الارخبيل ، ونسكت عما خسره
 في هذه الحرب من الولايات — فقد أخضعوا نصف الدولة في بضعة سنين ، وحملوها
 فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون . ثم عمدوا الى الأمة ،
 فأفقروها كما أفقروا الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلعوا لاجل القيام به سلطان الدولة
 وخليفتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

فيا أيها المسلمون الغيورون المبصرون ! إذا كانت قد ثبتت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهد أنها كانت ضميقة بخشى عليها الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منيت بها بشؤم هذه الجمعية ، فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب ، وتعرضت لعداوة أكبر دول الارض ؟

ان سواد المسلمين الاعظم يغارون على هذه الدولة ويتمنون لها دوام الاستقلال وكمال القوة للسبب الذي يبناه في فاتحة الكلام ، ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكفه الخطر الخائف بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من يسمي لتدارك ما يترتب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لما بقي من أحكام شريعته ، وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاقته

لم تر أحدا من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وانبرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم — أمير مكة وشريفها — فانه . أي أن الدولة — وهو من أعلم أهلها بحالها — قد أمست على شفا جرف ، وأن ملاحدة الانحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة للتنكيل بالامة العربية بتقتيل رجال الفكر والعمل ومصادرة أموال أهل الثروة منها حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا في عمل ، فانتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة وأنفس أتجباله النجباء . ولو استطاع أن ينقذ الدولة نفسها من الخطر لفعل ، ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الأنجال الكرام (هنا قال الأمير حفظه الله تعالى للخطيب صدقت) لكن العمل لا تقاذ الدولة نفسها من الخطر قد أصبح فوق طاقته وطاقة غيره (... صدقت) فرأى أن يبدأ بالمستطاع وهو انقاذ الحجاز مهد الاسلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء ، ثم انقاذ غيره مما يمكن انقاذه من البلاد العربية ، ليكون ذلك بيئة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع أن يهل بالدولة العثمانية والماذ بالله تعالى (... صدقت)

لا يخفى على ذي بصيرة ان الانحاديين ما حشروا الالوف من جيوشهم في الحجاز الا بنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم أن أعداءهم الحلفاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا يحاربون أهله ، فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال

أعدائهم الروس واتخاذ ما فتحوه من الولايات التركية ، ولكن التشكيل بالعرب أهم
عندهم من دفع الروس عن عقر دراهم . ولو تم لهم ما أرادوا لرأينا من فظائهم في
الحجاز ما هو أشد من فظائهم في الشام (... صدقت)

نعم ان الحلفاء لا يحاربون الحجاز ولكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألجأهم
الى ضرب المحصر البحري على ثغوره فضاعت المعيشة على أهله حتى باعوا حلبيهم
وأثاثهم وأبواب بيوتهم وخشب سقفها ولو طال عليهم أمد ذلك سنة أخرى لا كانهم
المجاعة وما يتبعها عادة من الاوبئة (... صدقت)

أعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز - والحاجة قد اشتدت اليه حتى
وصلت الى حد الضرورة - وما كان ايجاد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها
من آتاه الله من البصرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما ينهض به لقيام بهذا
المبوء العظيم ، ولولا ثقته بالله وتوكله عليه لما نجحنا على ذلك لانتنا كنا نعلم أنه لا يوجد
في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل (تصديق ..)
كنا نعلم أنه لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف
الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد
العربية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص ، ولا يعقل ان يحفظ
استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان إن هو زال من مهد وموطن نشأتهم ومحل
اقامة شعائره . انفردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجدر بقاع العالم الاسلامي
لاقامة استقلاله . وكذلك انفراد سيدها وأميرها في هذا العصر بالنهوض بما يجب من
العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بعمله أكبر منة في اعناق
أهل هذه البلاد وفي اعناق جهيم المسلمين الذين يشعرون بأن أمر هذا الاستقلال
هو أهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور

أيها الحجازيون ان من يكفر منكم لهذا الرجل المصلح المنقذ هذه النعمة فهو أكفر
الناس للنعم . أيها المسلمون يجب ان تعلموا ان هذا العمل أعظم خدمة للاسلام في
هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظت استقلالها لم يكن
استقلال العرب في الحجاز وغيره ما نعا من ذلك ولا من تعاقد العرب والترك مع

حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت وقمادت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو
السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الاسلامي في أشرف بقاع
الاسلام ، بل لا يغيب عن أذهانكم اهلولا اعلان هذا الاستقلال لترتب على سقوط
الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم غيبة في أيدي
الدول الفاتحة . فان تركوها بعد ذلك لانا كان لهم منة التصديق بهما علينا . والا كانا
نحمت سيادتهم والعياذ بالله تعالى . وبهذا يبين لكم ان هذا العمل العظيم ، الذي
قام به هذا الزعيم العظيم ، قد أنقذ الحرمين الشريفين وما حولهما من هذا الخطر
الجسيم . ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة له .
فله بهذا أكبر منة على جميع المسلمين . وما أقول هذا نملقا له ولا مدحا شمريا ، وإنما
هو الحقيقة البيضاء الناصعة يتبها لكم بالايجاز الذي يحتمله المقام والسلام اه الخطبة
قالت جريدة القبلة مقفية على هذه الخطبة ، : « وبعد أن جلس (أي الخطيب)
أنهى عليه جلالة سيدنا أيده الله بروح من عنده وقال للناس انه لم يره الا منذ أيام
قليلة ، وتزيد عليها أنه قد صرح بأني عبرت في المسألة عن فكره ورأيه ولم يسبق
له مكاشفتي به وانه لم يرني الا منذ أيام قليلة ، وهو صادق فيما قال ، واني ما كنت
أرجو أن يرضيه خطابي إلا من باب حسن الظن فيه الذي استنبطه مما كنت أعلم
من سوء نية جمال باشا وأعوانه ، ومن منشور به الدالين على قيامه بما قام به في الحجاز
لاجل الداعية التي وصلت الى حد الاضطرار ، وانها ضرورة تقدر بقدرها ، وهذا هو
الحكم الشرعي في مثلها ، وقد جعلتها مقدمة للسمي الى ذلك .

وأقول ان وقع الخطبة قد كان حسنا في سمع الجمهور ، وكانت موضع حديث
الناس وثنائهم ، حدثني بذلك الكثيرون في منى ثم في مكة ، وقد علمت أنها جمعت
بين إرضاء الفريقين المتعارضين في الرأي — فريق المشائعين من ثورة الحجاز
الخائفين ان تكون سببا لضعف للدولة العثمانية وزوالها ، على حين لا استعداد لانشاء
دولة اسلامية محل محلها ، وفريق المتفائلين الذين يرجون ان تكون مبدأ دولة عربية
مستقلة تحيا بها حضارة العرب الزاهرة ، حتى ان أصحاب فكرة المبايعه كانوا
يرجون عند سماع الخطبة ان تكون مقدمة للمبايعه .

زادني بعد نزولنا من منى الى مكة الشيخ عبد الملك الخطيب أحد أدباء مكة
المقرين من الحضرة الهاشمية - وقد تقدم ذكره في هذا الرحلة - فكان جل حديثه
الثناء على الخطبة، وقال اني كنت في الحضرة الهاشمية أذكر محاسنها وأنوه بها وان
سيدنا واقفني على ذلك وسأهني فيه، ثم ذكر انه كان ينقصها شيء واحد، قلت بل
ينقصها هندي أشياء ولكن الوقت لم يكن يتسع لا أكثر مما قيل، قال: لم أهن ان في
الخطبة نفسها نقصا بل هي كاملة، وإنما كان ينقصها ان تكون مقدمة للمباينة، فلو
انك بعد إتمامها مددت يدك وبايئت سيدنا لا تبعك الناس وكان أمرا مفعولا، قلت
ان هذا ليس من رأيي ولا من حقي، وما يؤمنني ان يقال لي ما قيل لذلك الشاعر الذي قال
وخذا النوم من عبوني قاني قد خلعت الكرى على المشاق

فقبل له خلعت ما لا تملك على من لا يقبل؟ وبهذا حولت المباحثة السياسية الى مقالة أدبية
هذا - واني قد تشرفت بعد ذلك بحديث مع الحضرة الهاشمية في موضوع الخطبة،
فكان مما قال الامير ان المسألة الجوهرية في الخطبة هي ان الدولة العثمانية على خطر وأنا
موافق لك على هذا الرأي من قبل الحركة ولكن أتنر الناس أو المسلمين لا يعقلون ذلك .
وقد عرضت عليه في هذه الجلسة شيئا من خلاصة رأيي في المسألة العربية، وما يجب
اتخاذ من الاحتياطات في مسألة الدولة، على لوجه الذي أشرت اليه في خاتمة الخطبة،
فأظهر لي الاستحسان، وأحال على الزمان، وقراء الناري يرفون رأيي مما بسطته في
المقالة التاريخية (المسألة العربية) التي نشرتها في الجزء الاول من المجلد العشرين، ومنه
ان الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها، وأفادت ما رجونا منها. فأتقنا الحجاز، وأوقفت بني
البغاة، وأحمد الله اني كنت أسمى الى تنفيذ هذه المقاصد، على تلك القواعد، واتي
الآن معنزل لأعمال السياسة وأهلها، منتظر حكم المرير الحكيم في أمر أمني والشعوب كلها.

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

بقي مما ينبغي أن يذكر في ترجمته ما انفرد به دور أمثاله من شيوخ الازهر كإنكاره كتابة
على الدولة العثمانية انفتك بالارمن في أمانة - وكرائسته لاحتفال اللجنة السورية التي عقدت في
دار النمبل الاميرية لاعانة طلبة العلم السوريين في الازهر - تلك اللجنة التي قال في هذا بحق
انها مسيحية ليس فيها الامام واحد تسمى لاعانة مسلمين ليس بينهم نصراني واحد - وغير ذلك من
الامور المذينة المصرية، ولم يتيسر لنا جمع ما كتب في ذلك بوثته من الجرائد، ولم يذكره أحد في ترجمته



وَيُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَوَّلَ الْأَنْبَاءِ

الْبَيْتُ

١٣١٥

فَنُشِرَ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ فِي الْأَنْبَاءِ

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صومى و «منارا» كنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٦ — ٢١ المحل (١) ١٢٩٦ هـ ١١ إبريل ١٩١٨



فتحتنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قد منأماخرا لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ التبثيل العربي ﴾

﴿ اشتغال المرأة المسلمة به وتمثيل قصص الانبياء ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

جعتني النوادي بطائفة من المتعلمين الذين قلما يخلو مجلسهم من البحث وبأية مناسبة دار يفتنا ذكر التبثيل العربي وبسطا على بساط بحثنا (١) المرأة المسلمة والتبثيل (٢) تمثيل روايات الانبياء عليهم السلام عموما وخائهم خصوصا فقرر رأي فريق منا على جواز ذلك كله اذ لا تتم أدوار التبثيل وفصوله لا بالمرأة فاذا جوزنا التبثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسيح التبثيل . وأي مانع يمنع تمثيل روايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عموما وخائهم خصوصا وهو لم يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي يشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا، ومنع فريق آخر كل ذلك وعده نوعا من التقليد الأفرنجي الذي يستحوذ على بعض البسطاء فيعدونه مفتاح تمدن الامة في حين أنه شر عليها وعلى أخلاقها الذاتية . فمذ ما كان من الفريقين أما أنا كاتب هذه السطور فقد أعلنت الحيدة حتى أسترشد برشدكم أو أصدبر بفتيا مناركم والسلام

كاتبه

محمد محمد صفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

(ج) قلت هدا لله وإيك محجة الصواب في الحكم . وعصنا ان تتفوا ما ليس لنا به علم : ان بعض الاندية جمعك بخاتمة من المتعلمين الباحثين ، وانهم ذكروا « التمثيل العربي » فاختلوا في جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، وفي جواز تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وخاتمهم خاصة ، فقالت طائفة منهم بجواز الامرين ، وعلموا الاول « بأن أدوار التمثيل ونصوله لا تتم الا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل » وعلموا الثاني بأنه « درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجده له آرا » وقالت طائفة أخرى بمنع الامرين وعدوه من التقليد الا فرنجي الضار ، الذي يغتر به الاغرار ، وقلت انك وقفت حتى تستفي المار ، فهناك ما أفهمه في المسألةين الانتصار : لم يأت فريق المجيزين بشيء من العلم ، يدل على ما جزموا به من الحكم ، فان سلمنا لهم ان التمثيل لا يتم الا بالمرأة — لا نسلم لهم ان جوازه يستلزم جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، بل نسألهم ماذا يعنون بهذا التمام ؟ وهل يعتد به شرعا ؟ ولماذا لا يستغنى فيه بالمرأة غير المسلمة التي تستبيح من أعماله ما لا يباح للمسلمة ؟ وبأي حجة جعلوا القول بجواز التمثيل الذي يقصده وجود المرأة المسلمة أصلا بنوا عليه القول بجواز اشتغالها بالتمثيل ؟ وهل يعدو التمثيل المطلق ان يكون مباحا أو مستحبا بشرط خلوه من فعل الحرام وذرائع الفساد ، واشتماله على الوعظ النافع والارشاد ؟ أو ليس الصواب أن يقال — والامر كذلك — ان التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز ، لان ما توقف على غير الجائز فهو غير جائز ، أو لان درء المفسد مقدم على جلب المصالح ؟ ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة (منها) ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والحنجر وأعلى الصدر والذراعين والعضدين ، وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا حاجة الى ذكر النصوص فيه ، (ومنها) الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال تدور في التمثيل وان لم تكن من لوازمه في كل قصة كاللما تارة والمخاصرة والملازمة بغير حائل (ومنها) غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض

كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقائع المشق والفرام المحرم بما فيه من الاعمال المحرمة لذاتها
أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته . ولا أنكر انه يمكن للكتاب العالم أحكام الشرع
وأدائه أن يكتب قصة تمثيلية يودع بعض فصولها أعمالاً شائفة وأقوالاً نافعة اذا
مثلتها امرأة مسلمة تبرز في دار التمثيل غير متبرجة بزينة ولا مبدية لشيء مما حرم الله
إبداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذرئته ، فإن تمثيلها يكون
بهذه الشروط مباحاً أو مستحباً . مثال ذلك أن تؤلف قصة في الترويض في الحرب
للدفاع عن الحقيقة وحماية البلاد عند وجوبها باعتداء الأعداء عليها ، ويذكر فيها
ما روي عن الخنساء رضي الله عنها في حث أبنائها على القتل بالنظم والنثر . فمن
ذا الذي يتجراً على القول بتحريم ظهور امرأة تمثل الخنساء في مثل تلك الحال ، التي
هي مثال الفضيلة والكمال ؟ ولكن امكان وضع مثل هذه القصة — وهو من الممكّنات
التي لم تقع — لا يبنى عليه القول باطلاق جواز ما هو واقع من التمثيل المشتمل على
ما ذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعاً

وأما تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد تلاوه بأنه درس وعظ
مؤثر ، بمنون ان كل ما كان كذلك فهو جائز ، وهذه الكلية المطوية بمنوعة ، وتلك
المقدمة الصريحة غير متعينة ، فإن هذه القصص قد توضع وضعا منفرداً ، فلا تكون
وعظاً مؤثراً ، وإن من الوعظ المؤثر في النفوس ما يكون كله أو بعضه باطلاً ، وكذباً
وبديعاً ، أو مشتملاً على مفسدة أو ذريعة اليها ، ويشترط في جواز الوعظ ان يكون
حقاً لا مفسدة فيه ولا ذريعة الى مفسدة . وبناء على هذا الاصل ننظر في هذه
المسألة من وجوه

(أحدها) ان العرف الاسلامي العام بعد تمثيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام
إهانة لهم أو مزرية بقدرهم ، ومما أعهد من الوقائع في ذلك أن بعض التصاري كانوا
أرادوا أن يمثلوا قصة يوصف عليه السلام في بعض المدن السورية فهاج المسلمون
لذلك وحاولوا منعهم بالقوة ، ورفع الامر الى الأستانة فصدرت ارادة السلطان عبد
الحيد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها . فإن قيل ان بعض مسلمي مصر كأولئك
المتحيزين القائلين بالجواز لا يعدون ذلك إهانة ولا إضراراً اذ لا يخفى على مسلم ان إهانة

الانبياء أو لازراء بهم أقل ما يقل فيه انه من كبار المعاصي وقد يكون كفرا صريحا وردة عن الاسلام — تقول انما العبرة في العرف بالجمهور الذي تربي على آداب الاسلام وأحكامه لا بالأفراد القلائل ومن غلبت عليهم التقاليد الافرنجية، حتى صاروا يفضلونها على الآداب الاسلامية، كذلك القاضي الاهلي الذي حكم ببراءة استاذ مدرسة أميرية غزل امرأة محصنة وتصبأها، وكاشفها بافتانه بجملها، حتى هجره الرقاد، وواصله السهاد، فشكت المحصنة هذه الواقعة الى زوجها فرفع الزوج الامر الى قاضي العقوبات، طائبا تمزيق ذلك العادي المفتات، فكان رأي القاضي ان مازلة المحصنات الحسان وتصبين، يحمل ذلك الكلام الذي يفسد من على أزواجهن، لا يقتضي سجننا ولا غرامة، ولا تأنيبا ولا ملامة، لانه يظهر الحب الحسن والجمال، وهو من ترقى الذوق وآيات الكمال، ولكن ما رآه هذا القاضي المتعرج حسنا وكلا، رآه السواد الاعظم من المسلمين تقصا قبيحا، وأنكروه عليه في الجرائد حتى منعتهم مراقبة المطبوعات من التمددي في الانكار، واستأنف الزوج الحكم فنقضه لاستئناف، وحكم بأن كلام ذلك الاستاذ جريمة منافية الآداب. ولو حاول بعض أجرق لتمثيل تمثيل قصة أحد لرسول الكرام، عليهم الصلاة والسلام. لرأوا من نكار العلماء والجرائد ما لا يخطر ببال أولئك الافراد الذي يرون جوزه، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تدال أهله سيطرة الحكم لما كان لا مثارا للفتنة، وانصدي الناس لصدامتين بالقوة، بل يغلب على ظني ان أكثر الناس يعدون تمثيل الامراء والالاطين، وكبار رجال العلم والدين، مما يزري ب مقامهم، ويضع من قدرهم. ومن أحدا من هؤلاء الكبراء لا يرضى لنفسه ذلك.

(الوجه الثاني) ان أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة، وأرقام في الصناعة لا يرتقي الى مقام الخاصة، فان فرضنا أن جمهور أهل العرف لا يرون تمثيل الانبياء بآراء بهم على اطلاقه، أفلا يعدون من الازراء والاخلاق بما يجب لهم من التعظيم أن يسمى (السي فلان) أو (الخواجه فلان) إبراهيم خليل الله أو موسى كليم الله أو عيسى روح الله أو محمدا خاتم رسل الله؟ فيقال له في دار لتمثيل برسول الله، قولك في كذا... فيقول كذا... ولا يبعد بعد ذلك ان يخاطبه بعض

الظلماء بهذا القرب في غير وقت لتمثيل على سبيل الحكاية، أو من باب التهكم والخرابة،
 كأن يراه بعضهم يرتكب إثمًا فيقول له : مدد يا رسول الله ! ألا إن اباحة تمثيل
 هؤلاء الناس للأنبياء قد تؤدي إلى مثل هذا، وكفى به مانعًا لو لم يكن ثم غيره
 (الوجه الثالث) تمثيل الرسول في حالة أو هيئة زري بمقامه ولو في أنفس
 العوام وذلك محظور وإن كان تمثيلًا لشيء وقع . مثل ذلك أن يمثل بعض هؤلاء
 المشايخ المعروفين يوسف الصديق عليه السلام بهيئة بدوي مملوك تراوده سيده من
 نفسه وتقد قميصه من دبر ، ثم يمثل مسجونًا مع المجرمين . ويتجلى النظر في هذا
 الوجه ببيان مسألة من أعظم المسائل التي يغفل عنها أمثال أولئك الباحثين الذين
 ذكروا المستفتي ، وهي أن الرسل عليهم الصلاة والسلام بشر ، يزعم الله تعالى بما
 خصهم به من الوحي ، وهداية خالق إلى اسق ، وقد كنت بشرية لهم حجابًا على
 أعين الكافرين حال دون إدراك خصوصيتهم ، فأنكروا أن يكون الرسول بشرا مثلهم
 يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وروي عن المسيح عليه السلام أن النبي لا يمان
 إلا في وطنه وقومه ، وقال بعض العلماء في هذا المعنى : أرهد الناس في الولي أهله
 وجيرانه . أي لأنهم قلما يرون منه إلا ما هو مشترك لهم فيه من الصفات والمعادات .
 وأما ما يمتاز به من دقائق الودع والنقاء والمعرفة بالله تعالى فمنه ما هو ساي لا يفتنون
 له ، ومنه ما هو خفي لا يدركونه ؛ ولذلك احتج في إيمان أكثر الناس بالرب قبل
 الارتقاء العقلي إلى آيات الكونية . وبعد إلى الآيات العلمية ، (كالقرآن الحكيم من
 الأمي) ولذين يؤمنون بالرسول من بعدهم يسمعون من أخبار آياتهم وخصائصهم
 وفضائلهم أكثر مما يسمعون من أخبار عاداتهم وصفاتهم البشرية ، وبذلك يكون
 تعظيمهم وإجلالهم لهم غير مشوب بما يضعف الإيمان بهم من تصور شؤونهم البشرية .
 على أن الواجب أن يعرفوا منها ما يحول دون الغلو في التعظيم والاطراء الذي ينع
 به الفلاة الأنبياء إلى مقام الربوبية والالهية ، والتفريط في ذلك كالأفراط .
 فتمثيل أحوال الأنبياء وشؤونهم البشرية بصفة تعد ذرية عليهم ، فإذروهم أو مفضية
 إلى ضعف الإيمان والاخلال بالتعظيم المنعوع - مفسدة من المفاسد التي يحظرها
 الشرع ، فكيف إذا أضيف إليها كون التمثيل في حد ذاته بعد في العرف العام تنقيصا

أو إخلالا بما يجب من التكريم - وكون الممثلين من هوام الناس ، وقد علمت
ما في ذلك .

(اوجه لربع) ان من خصائص القصص التمثيلية الكذب ، وان الكذب
على الانبياء ليس كالكذب على غيرهم ، فاذا جاز أن يسند الى أسماء لا مسيات
لها كلام تقصد به العظة والمأثرة كما يحكون مثل ذلك عن السنة الطبر والوحش
وهو ما احتج به الحريري في فائحة مقاماته على جواز وضعه لها ، وإذا صح ان
يقاس على ذلك اسناد مثل ذلك الكلام الى أناس معروفين من الملوك وغيرهم فيما
لا ضرر فيه ولا افساد في التريخ ولا غيره من الحقائق - اذا جاز ما ذكر وصح
القياس فلا يظهر جواز مثله في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، على أن في المسألة نصا
خاصا لا محل للقياس مع مودده ، فقد قل صلى الله عليه وآله وسلم « ان كذبا علي
ليس ككذب على أحد ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه الشيخان
في الصحيحين وغيرهما من حديث سعيد بن زيد ، وروى عجزه - وهو من كذب
علي الخ - متواترا ، وروى أحمد من حديث عمر مرفوعا « من كذب علي فهو في
النار » وهو مطلق لم يقيد بالعمد واسناده صحيح . وقياس الكذب على غيره من
أخوانه الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام حلي فهو أقرب من قياس الكذب على الرسل
على الكذب على العجماوات الذي احتج به الحريري وأشار الى اتفاق العلماء على
جوازه . والكذب عليهم يشمل ما يحكى عنهم من أقوال لم يقولوها ، وما يسند
اليهم من أعمال لم يعملوها

فان قيل انه يمكن وضع قصة لبعض الرسل يلزم فيها الصدق في كل ما يحكى عنه
أو يسند اليه ، قلنا ان النقل الذي يعتمد به عند المسلمين هو نقل الكتاب والسنة ،
ولا يوجد قصة من قصص الانبياء في القرآن يمكن فيها ذلك الا قصة يوسف وكذا
قصة موسى وقصة سليمان مع ملكة سبأ اذا جمل التطويل فيهن في غير الحكاية عنهن .
والأولى هي التي يرغب فيها المثلون . ويرجى ان يقبل على حضور تمثيلها الكثيرون ،
وفيهما من النظر الخاص ما يبناه في الوجه الثالث . وأما السنة فليس في اخبارها لمرفوعة
ولا الموقوفة ما يباغ ان يكون قصة تصلح للتمثيل الا وقائع السيرة المحمدية الشريفة ،

والعلماء بها لا يكاد أحد منهم يقدم على جمع طائفة منها وجمالها قصة تمثيلية . وإذا فتح هذا الباب ووجد منهم من يدخله على سبيل الدور لا يلبث ان يسبقه اليه كثير من الجاهلين بالسنة المتقنين لوضع هذه القصص بالاسلوب الذي يرغب فيه الجمهور فيضعون من قصص الانبياء المشتتة على الكذب ما يكون أروج عند طلاب الكسب بالتمثيل ، فيكون وضع الصحيح ذريعة الى هذه المفسدة

فعلم من هذه الوجوه ان جواز تمثيل قصة رسول من رسل الله عليهم السلام يتوقف على اجتناب جميع ما ذكر من المفاسد وذرائعها بحيث يرى من يعتد بمعرفتهم وعرفهم من المسلمين انه لا يعد اذراء بهم ، ولا منافيا لما يجب من تعظيم قدرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من اهتدى بهم .

رحلة الحجاز

٨

أيام منى ولياليها ووقال الشعراء فيها

نصوص الشرع في أيام منى

قال عز وجل (واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ، وآتوا الله وأعلموا أنكم اليه تحشرون) أجمع العلماء على أن الايام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى التي تسمى أيام التشريق . قيل إن سبب تسميتها بذلك أنهم بشرقون فيها لحوم الاضاحي أي يقددونها ويبرزونها للشمس . وقيل لان الهدايا والضحايا لم تكن تنحر فيها الا بعد شروق الشمس ، وقيل هو مأخوذ من قول الجاهلية : أشرق ثبير ، كما نفير . أي ادخل ياتبير في الشروق لكي نسرع في الدفع الى منى للنحر ، ذلك بأنهم كانوا لا يفيضون من المزدلفة الى منى الا بعد شروق الشمس ووقوعها على جبل ثبير أعظم تلك الجبال ، فأمرنا بمخالفتهم بالافاضة قبل الشروق . وقيل

لأنها أيام تشريق أصلا يوم النحر فصارت تبعاً له ، وأطلقوا التشريق على صلاة العيد وسموا مصلي العيد مشرقة . والجمهور على أن هذه الأيام هي الثلاثة التي تلي يوم عيد النحر وأدخله بعضهم فيها ، ولكن تخيير المتقي بين التمسك في يومين أو التأخر إنما هو في أيام منى الثلاثة التي بعد يوم العيد .

ووصفت أيام منى الثلاثة أو الأربعة بالمعلومات في قوله عز وجل في الحجاج (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام . فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وتطلق الأيام المعلومات على أيام عشر ذي الحجة الأولى أو التسع التي آخرها يوم عرفة .

روى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي نبيشة الهذلي قال قال رسول الله (ص) « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وفي رواية ضعيفة عند غيرهم زيادة « وبهال » بعد شرب . والبهال والمباغة الملاعبة بين البهالين (الزوجين) ومناها صحيح فإنه يحل في أيام منى كل ما كان محرماً بالاحرام حتى التفشي ، وإنما يحل بعد طواف الإفاضة الذي تم به أو كان التسك كلها . والمراد بالاكل الاكل من لحوم الاضاحي المطلوب بقوله تعالى (فكلوا منها) وغيرها من الطيبات ، فإن هذه الأيام أيام عيد وسرور شرع فيها الجمع بين التمتع بالافات المباحة حتى للهو بالحراب وسماع الفناء وبين ذكر الله تعالى وشكره على إنعامه بها وبالتوفيق لاقامة التسك .

وشعار هذه الأيام من الذكر الكبير ويستحب رفع الصوت به والاشتراك فيه عقب الصلوات وفي عامة الاوقات والامكنة فقد روى سعيد بن منصور وأبو عبيد ان عمر (ص) كان يكبر في قبة بطن فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى فكبرا « وذكره البخاري في الصحيح تعليقا . وأصح ما ورد في صيغته ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال « كبروا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبراً » وروى عن الصحابة والتابعين التكبير ثلاثاً ومرتين وزيادة التهليل . والظاهر ان النبي (ص) لم يأمر الناس بصيغة مخصوصة في التكبير والذكر في العيدين وأيام منى كما انه لم يأمرهم بأذكار وأدعية معينة في الطواف والسعي والوقوف بعرفة

يأتي كل فرد أو جماعة بما شاؤا ، فلا بأس إذا بما استحدث الناس من الذكر وصيغ التكبير مما لم يرد عن السلف وإن أشار بعض العلماء إلى استنكاره لذلك كأنه يراه من البدع باستحداث صفة لمباداة تعد من الشائث ، وهو ما سماه بعضهم بالبدعة الإضافية . وإنما يتجه هذا إذا التزموا جهرًا بغير زيادة ولا نقصان ، ويتأكد إنكاره إذا صار بحيث تظن العامة أنه واجب أو مندوب بهذا الوصف . وقد ذكر الإمام الشافعي في الام أن التكبير الم شروع في العيدين هو كلمة « الله أكبر » وإن التثنية في بدنه مستحب وإن لكل أحد أن يزيد من الذكر ما شاء .

وكذلك التكبير والدعاء والتضرع عند رمي الجمار ، يرمي كل جرة بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة ويقف عند الأولى والوسطى فيطيل القيام يدعو ويتضرع ولا يطيل عند جرة العقبة . هكذا كان يفعل النبي (ص) وروى تقدير قيامه (ص) عند الجمرتين إلا بقدر سورة البقرة

وكانت ذبائح النبي (ص) في حجة الوداع مئة من الإبل جاء بثلاث وستين منها معه من المدينة وجاء علي كرم الله وجهه بالباقي من الإبل وقد نحر النبي (ص) ٦٣ يده الكريمة فكانت إشارة إلى سني حياته الشريفة وأمر عليا فنحر الباقي . وأمر (ص) بأخذ بضعة (بفتح الباء قطعة) من كل بدنة فجعلت في قدر فطبخت فأكل هو وعلي منها وشربا من مرقها

كلمة تاريخية أدبية في أيام منى

سمعنا من الشريف في منى كلمة جديرة بالحفظ والتدوين ، قال : كانت أيام منى أول الإسلام من أطيب أيام الحياة — أي لما تقدم بيانه من الجمع بين اللذات الروحية والبدنية والاجتماعية — فلما قربت المواصلات بين الاقطار الإسلامية البعيدة صار ينتقل الوباء إلى الحجاز مع الحجاج الموبشرين فيكون أشد فتكه عند اجتماع الناس في منى ، فصارت أيام منى أيام غم وكدر يمتثل الناس فيها بالموتى في كل مكان ، وتعد الحكومة لها الألوف الكثيرة من الأكفان ، ونحمد الله أنه لم يمت فيها أحد في هذا العام ، لا بمرض وبائي ولا بمرض عادي اه بالمضى

أقول من الشواهد المؤيدة لهذه السكامة التاريخية كثرة ذكر منى في أشعار المتقدمين الفرعية والتغزل بالنساء عند رمي الجمار فيها، وندرة مثل ذلك في غيرها من المشاعر، وعند غير رمي الجمار من الشعائر، ذلك بأن ما تقدم لنا شرحه من تأثير الاحرام ولباسه في القلب وتأثير رؤية المشاعر العظام والطواف بها والوقوف فيها أيضا - كل ذلك مما يصرف الحاج عن كل ما عداه، ولا يدع في قلبه فراغا واسما لغير ذكر الله، لا ذكر الحسان، ولا ذكر الأهل والولد والاخوان، فالتجلى الإلهي في جميع المشاعر، أشاء اداء جميع المناسك، تجلي هبة وجلال، إلا منى فإن التجلي فيها تجلي انس وجمال، ولا تنس ما ذكرته آنفا من تحلل الحاج فيها من الاحرام، واستباحته ما كان محرما من الاعمال، وكونها أيام عيد يستحب فيها التمتع بالطيبات، وزد على ذلك أن لياليها هي الليالي التي يكمل فيها نور القمر، وأن هواها اللطيف بحبيب اليك السمر،

رقا بها يأيها الزاجر قد لاح سلع وبدا حاجر
وخلها تسحب أرسائها على الرُّبَا لا راهبا ذاعر
واذكر أحاديث ليلى منى لا هدم المذكور والله اكر

لهف نفسي لآل سلفت آه لو ترجع هاتيك الليالي
لا تقل لي بمنى تعطى المنى بمنى كان من القوم انفصالي

صحبى مضوا قداسي منلة في اثر صحبى
ما فوق المهجران سم بما قاتنى عن قصد قلبي
كلا ولا نادى الجوى الا وكنت انا الملبى
ولقد وقفت على منى لولا المنى لفضيت نجوى

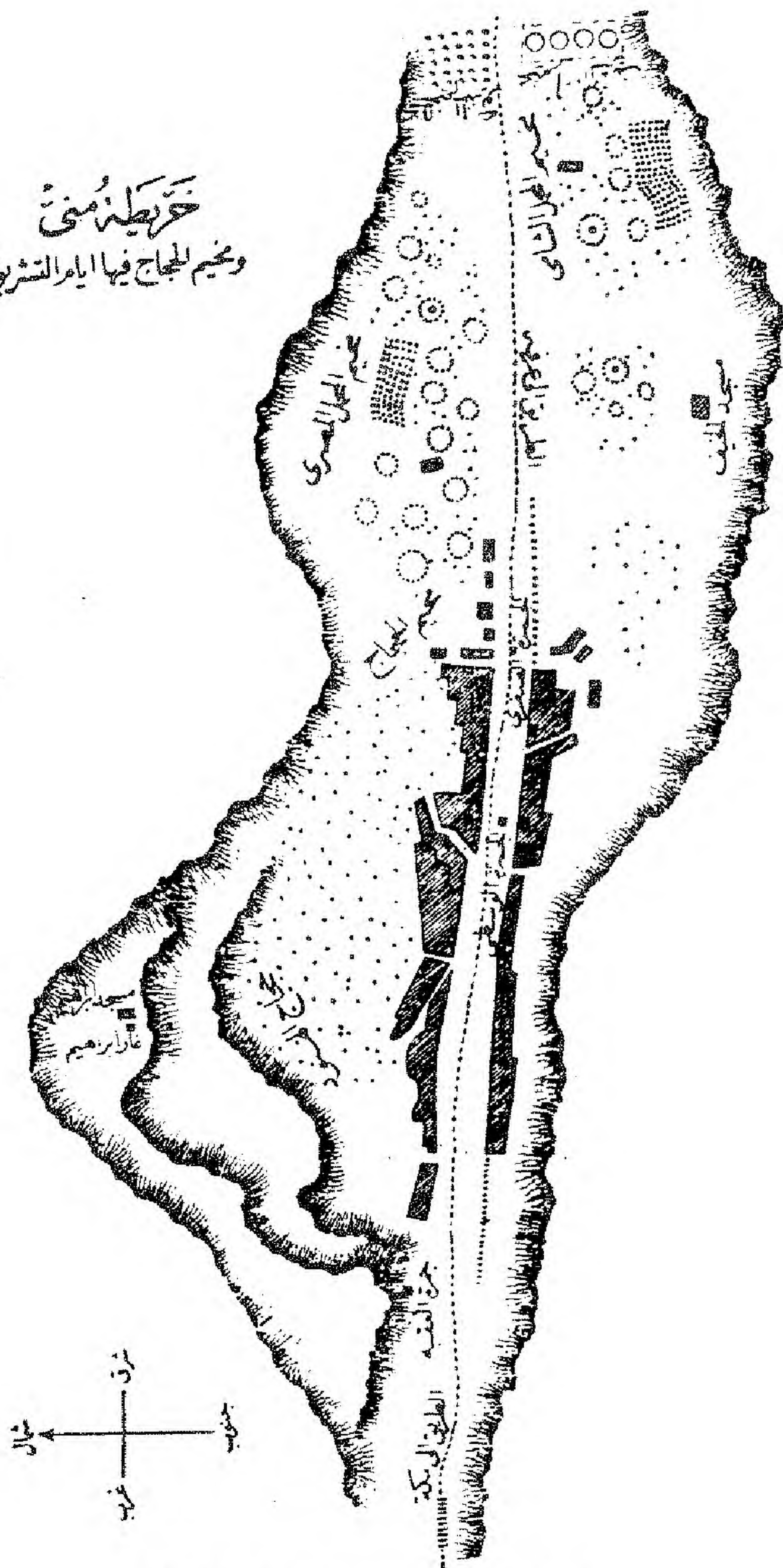
وأشعار الشعراء بالتغزل بالنساء في منى ورميها الجمار كثيرة من أحسنها قول الشريف الرضي وهو من التغزل الخيالي التزييه

من مُعِيدَ لي ايا مي مجزع السمرات^(١)
 وليالي بجمع ومن الجمرات^(٢)
 وظباء حالات كظباء عاطلات^(٣)
 رائحات في جلاليه ب الدجا مخمرات^(٤)
 راميات بالعيون ال نجل قبل الحصيات
 أَلَمَّ القلوب راحوا أم لمقر البسات^(٥)
 كيف أودعت فؤادي أعينا غير ثقات
 أيها القانص ما أح سنت صيد الظيات
 فأك السرب وما زودت غير الحشرات
 ياوقوفا ما وقفن في ظلال السلمات^(٦)
 موثقا يجمع فتيا ن الهوى والفتيات
 تشاكي ما تنانا بكلام العبرات

(١) الجزع بكسر الجيم وسكون الزاي منعطف الوادي ومنحناه والسمرات جمع سمرة وهي شجرة السمر تفتح السنين وضم الميم وهي من شجر المضاه أي ذي الشوك وشوكها قصير وورقها صغير ولها برم أي ثمر أصفر فوكل (٢) جمع اسم المزدلفة وذكر في هذه الرحلة (٣) حالات مزينات بالخلي وهن الظيات بالمجاز وعاطلات غير متحليات وهن الظيات بالحقيقة (٤) الدجا سواد الليل مع غيم يمنع رؤية القمر والنجوم . يعني يخرجن ليلا لرمي الجار وغير الرمي من حاحن فيكون الدجا سائرا لهن كالحلاب حالة كونهن مخمرات مخمرهن مبالغة في السر (٥) . كر ضمير راحوا وقلما يأتي في التصحيح إلا لئلا تكثر كثره في السلام على امرأة ابراهيم (ص) في سورة هود وإرادة إذهاب الرجس عن نساء النبي (ص) في سورة الأحزاب لشمول الخطاب للمخاليين في الخطابين ، ولعل الشاعر هنا يعني من يخرجن مع رجالهن (٦) السلمات جمع سامة فتجدين وهو من شجر المضاه كالسمر ويكثر في جزيرة العرب ، والخطاب للرجال الذين تقفون في ظلال شجر السلم مدة وقوف أولئك النساء يتشاكون معهن الجوى بكلام العبرات أي الدموع الدال على ما في القلوب



وَحَرِّبِلَهُمْ مَنَىٰ
وَمَحْمِ الْجَجَاجِ فِيهَا يَامَ التَّشْرِيقِ



هذه الصورة رسمت لرحاة البتاني

نظرٌ يشعلُ منا كل عين بهذاة ^(١)
 كم نأى بالنفر عنا من غزال ومهاة ^(٢)
 آه من جيد إلى الدا ر كثير اللفتات ^(٣)
 وغرام غير ماض بقاء غير آت
 فسقى بطن منى والـ خيف صوب الغاديات ^(٤)
 وزمانا نائم العذ ال مأمون الوشاة
 في ليل كاللثالي بالغواني مقمرات
 غرست عندي غرساً ١١ شوق ممرور الجناة ^(٥)
 أين راقٍ لغرامٍ وطيبٌ لشكائي ^(٦)

(١) يعني ان كل عين من أعين فتیان الهوى والفتيات تذرف العبرات في موقعها ذاك حتى كان فيها قذاة تستبط دموعها وهي مايقع في العين من عصفة بن وغيرها
 (٢) المهاة البقرة الوحشية تشبه بها المرأة التجلاء لسمة عينيها وحسنهما ، وأشار بغزال ومهاة الى فتیان الهوى والفتيات الذين وصف موقعهن عند الوداع كما علم من ذكره النفر هنا وهو الدفع من منى (٣) المراد بالدار دار منى (٤) بطن منى وادبها والخيف سفح جبالها أي سقاها كلها مايصوب وينسكب من المطر في العذاة أي أول النهار . فالغاديات جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ أول النهار . أو المطرة فيه (٥) الجناة ما يجني من الثمر والظاهر انه أراد بالمرور المر — ضد الخلو — وفعل المرارة لازم لا مفعول له ، وانما المرور من غلبت عليه المرة وهي بالكسر ما يستسى الصفراء أو السوداء من اخلاط البدن . والشريف من أئمة اللغة فلا بد ان يكون لاستعماله مخرج اذا صححت الرواية عنه وان لم يكن استعماله حجة في اللغة (٦) الشكاة بالفتح ما يشكى من مرض عرض أو ألم ألم . سأل ما عزة فلا يوجد وهو الراقى لغرامه والطبيب لسقامه ، وانما احتاج الغرام للراقى دون الطبيب لأنه وجد نفسي روحي يحتاج الى المسكنات الروحية وان وهمية . والاستفهام استفهام توجع ويأس

ومن التفرل الخيالي في منى وغيرها من معاهد النسك وأعماله ما قلله أبو محمد هداية بن محمد التنوخي في قصيدته التي مدح بها ثقة الدولة يوسف بن محمد بن الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وهو :

ولما التقينا محرمين وسيرنا بلبك ربنا والركائب تصيف^(١)
نظرت إليها والمطي كأنما غواربها منها معاطس رصف^(٢)
فقلت أما منكن من يعرف النى فقد رايتني من طول ما يتشوف^(٣)
أراء إذا سرنا يسير حذاءنا ونوقف أخفاف المطي فيوقف^(٤)
فقلت لربها أبلغها بأني بها مستهام قالتا نتألف^(٥)
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا منى والمنى في خيفة ليس يخلف^(٦)
تقاء في أن تبذلي طارف الوفا بأن عن لي منك البنان المطرف^(٧)
وفي عرفات ما يخبر أني بعارفة من عطف قلبك أسعف^(٨)

(١) قوله وسيرنا بلبك ربنا . معناه ان سيرهم ملابس ومصحوب باللبية المروفة . وعسف الركائب خبطها في السير على غير هدى لعله لشدة الزحام أو في السرى ، يقال بات فلان يعسف الليل اذا خبطه في ابتغاء طلبته (٢) الغوارب جمع غارب وهو الكال أو ما بين السنام والعنق ، والمعاطس الأنوف والرصف الرواعف أي التي يسيل منها الدم ، والمراد ان الغوارب جرحت من طول السير والاقتاب عليها حتى كان منها أنوف راعفة (٣) رابه أوقعه في الريه وهي الشك والتهمة ، والتشوف الى الشيء التطلع اليه ، أي ان تطلعه لإدماجه النثر اليها جعلني اتهمه بأنه يعتمد ذلك لأمر ما في نفسه ثم فسرت ذلك تشوف لصراحيا بسيره حذاء عم إذ سرن ووقوفه اذا وقفن (٤) الترب بكسر التاء وسكون الراء اللدة وهي بالكسر من ولد معك فترباها رفيقتان لها من سنها والمستهام من جعله الحب كالهائم في القلوات لا يهتدي سبيلا الى النجاة (٥) شرع يستميلها بالتفائل بنيل مودنها مستنبطاً له من أسماء الامكنة وغيرها على طريق العيافة التي تذكر في الآيات ، وبدأ بذكر منى فجعلها فالاً بنيل المنى وهو جمع منية (بوزن غرف وغرفة) ومعناه ما يتمنى وقد تقدم ان خيف منى سفح جبلها (٦) طارف الوفاء حديثه وجديده والبنان الاصابع وقد يخص بالعقد العليا منها واحدها بنانة والمطرف المنحسوب بالحناء (٧) العارفة المعروف في المعاملة المراد من حديث « من أسدى اليكم معروفا فكأنوه » والاسعاف بالحاجة قضاؤها

وأما دماء الهدى فهي هدى لنا
وتقبيل ركن البيت إقبال دولة
فأوصلنا ما قلته فتبسمت
بعيشي ألم أخبر كما أنه فني
فلا تأمنا ما أسطعنا كيد نيقه
إذا كنت ترجو في منى الفوز بالمنى
وقد أندر الإحرام أن وصلنا
وهذا وقذفي بالحصى لك مخبر
وحاذر نفاري ليلة النفر انه

يدوم ورأي في الهوى يتألف^(١)
لنا وزمان بالمودة يعطف
وقالت أحاديث العيافة زخرف^(٢)
على افظه برز الكلام المقوف^(٣)
وقر لا تسري أينما اليوم أعيف^(٤)
ففي الخيف من إعراضنا نتخوف^(٥)
حرام وأنا عن مزارك نصيف^(٦)
بأن النوى بي عن ديارك تهذف^(٧)
سريع ، فقل من بالعيافة أعرف^(٧)

(١) الهدى بالفتح ما يهذى إلى الحرم من الأنعام وهي ذبائح النسل والهدى بضم ففتح الدلالة على المطلوب بلطف والايصال إليه كذلك وهو ضد الضلال والمراد أن كلمة الهدى بالفتح مثل دال على تواصل دائم لنا (٢) العيافة التناؤل أو التناؤم بحركات الطير ومساقتها وأسماؤها . هذا هو الأصل ثم توسعوا فيه بمثل ما ترى في هذه الأبيات والزخرف الزينة والتزييق تمنى أنها من زخرف الكلام لا من الحقائق كقوله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وفي حديث قبيصة عند أبي داود « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » أي من الخرافات كالكهانة والسحر والحديث صحيح السند (٣) البرد الثوب المخطط والمقوف الرقيق ، وتتمى به لطافة كلامه وحسنه وكونه ينم عما وراءه (٤) أعيف اسم تفضيل من العيافة . يقال عاف الطير يعيفها إذا زجرها وتطير بها وهو ما تقدم آنفا (٥) نصيف تعرض (٦) أي وقذفي بالحصى في رمي الجمار مخبر لك بأن النوى أي البعد أو وجهة السفر (وهي مؤنثة) ترمي بي في مكان بعيد عن ديارك (٧) النثار والنفور مصدر نفر (من باب نصر وضرب) وهو الشرود بسبب مزيج ومنه نثار الظبي والذابة والنفر للقتال . والنفر التفرق . ويوم النفر ليلة النفر هو يوم ينفر الحاج من منى ودو ثاني أيام التشريق لمن تعجل ويسمى النفر الأول وثالثها لمن تأخر ويسمى النفر الثاني

فلم أر مثلينا خليلي مودة لكل لسان ذو غرارين مرهف^(١)
 ومأ قبل في أيام منى ولياليها مارواه صاحب الأغانى من معبد المنى الذي يضرب به
 المثل قال أتيت أبا السائب المخزومي — وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة —
 فلما رأيته تجاوز أي خفت الصلاة وقل مامعك من مبيكات ابن مريح ؟ قلت له :
 ولهن باليت العتيق لبانة واليت يعرفن لو يشكلم
 لو كان حيا قلبهن ظمائنا حيا الحطيم وجوههن وزمزم
 لبثوا ثلاث منى ، نزل غبطة وهو على صفر لعمر ك ماهو
 متجاوزين لغير دار إقامة لو قد أجد تفرق لم يندموا
 فقال لي عنه فضيته ثم قام يصلي فأطال ثم تجاوز إلي فقال مامعك من مطرباته
 ومشجياته ؟ قلت قوله

لسنا نبالي حين ندرك حاجة مابات أو ظل المظلي مقللا
 فقال لي عنه فضيته ثم صلى ونجوز إلي وقال ما معك من مرقصاته ؟ قلت
 فلم أر كالكعبير منظر ناظر ولا كالبالي الحج أفقن ذا هوى^(٢)
 فقال كما أنت حتى اتمر لهذا بركتين

وأما التغزل في نساء معروفات في وقائع ومشاهد كانت هنالك فكثيرة. لزيد
 النساء الشهير عمر بن أبي ربيعة الشاعر القرشي كثير — منها قوله في أيام منى
 ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفا وموقفي وكلانا ثم ذو شعبين
 وقولها لأريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو حش^(٣)

(١) أي لكل منا لسان ذو حدين مرهف من أرهف السيف إذا رقق حده ،
 ويعني بخراري اللسان قدرته على جعل الكلام الواحد على وجهين متقابلين متضادين
 كجعل أعمال النك ومواضعه للتفاؤل وللتشاؤم فهو كالسيف ذي الحدين
 (٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة وأنا لابن جريج الصوت . والتجوير رمي الجار
 وأفقت بالهمزة كفتن من الفتنة وهو لغة نجد وفي نسخة ديوان عمر المطبوعة أفقت
 (٣) السن بالفتح الطرق وهي بجاري الهمع

بالله قولي له في غير متبنة ماذا أردت بطول المكث في اليمن
ان كنت تطلب دينا أو رضىت بها فما أخذت بترك الحج من عن
قل ابن سريج المغمي ما ظننت ان الله عز وجل ينفع أحدا بشعر عمر ابن أبي
ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشدا ينشد قوله : بالله قولي له - اليتيم - فركني
ذلك على الرجوع الى مكة فخرجت مع الحجاج وحججت

وقد كان عمر مفتونا بالنساء وحديثهن ولم تكن هية بيت الله وسائر المشاعر الشريفة
لتصرفه عن مغازلاتهن حتى في أثناء أداء المناسك لانه وهو مكى قد ألفها واعتادها
والآفاقون أشد هية وخشوعا هناك من الحرمين في الالباب . وما روي عنه في
كتاب الاغانى أنه بينما كان يطوف رأى امرأة من أجمل النساء فوقعت في قلبه فدانها
فكلمها فلم تلتفت اليه . فعاودها في الليلة الثانية فقالت اليك عني يا هذا فانك في حرم الله
وفي أيام عظيمه الحرمه فألح عليها بكلمها حتى خافت ان يشهرها . فلما كان في الليلة الثالثة
جاءت بأخيها معها الى الطواف فلما رأى عمر أخاها معها عدل عنها . ثم أتت بقول جرير
تعدو الذئاب على من لا كلاب له ونقي صولة المستأبد الضاري

وروي ان المنصور حدث بهذا الخبر فقال : وددت انه لم تبقى فتاة في خدرها
الا سمعت بهذا الحديث . أقول وهو شاهد على حكمة الشرع في حظر السفر على
المرأة الا مع ذي محرم . هذا وان شعر عمر يوم انه كان من أفق الفساق ولكن
روى صاحب الاغانى عنه انه حلف في مرض موته بالله انه ماركب فاحشة قط ولا
كثت ثوبا عن حرام قط ، وحلف مرة بعنق كل مملوك له على ذلك وكان له في
الحوك وحده سيمون عبدا .

وما روي عن غير عمر في هذا الباب تشيب النخري يزيب الثقفية . ذلك
أن يوصف بن الحكم الثقفي والد الحجاج المشهور كان قد اعتل في بلدته (الطائف)
فبذرت بنته زيب لتحمجن ماشية ان عوفي ، فوفى فخرجت في نسوة فبطن بطن
وَج (أي بطن وادي وج) وهو ثلاث مئة فراسخ في يوم جملة مرحلة لثقل بدنها
ولم تقطع ما بين مكة والطائف الا في شهر ، وكان محمد بن عبد الله النخري الطائفي
يهواها فقال في حجبها أياتا منها :

تضوع مسكا بطن نمان إذ مشت به زينب في نسوة عطرات (١)
تهادين ما بين المحصب من منى وأقبلن لاشعشا ولا غبرات (٢)
أعان الذي فوق السموات عرشه مواهي بالبطحاء مؤنجرات (٣)
مردن بوج ثم رحن عشية يلين للرحن معمرات
يخبث أطراف البنان من التقى ويقتلن بالأحاظ مقتدرات (٤)
وليست كأخرى أو سمت جيب درعها وأبدت بنان الكف للجبرات
وعلت بنان المسك وحفا مرجلا على مثل بدر لاح في الظلمات (٥)
وقامت تراءى يوم جمع فأفنت برؤيتها من راح من عرفات
وقد أراد الحجاج أن يفتك بالنبري تشبيهه بخته لولا أن منعه منه عبد الملك
وكتب إليه أن لا سبيل له عليه على أنه ما وصفها هي وصواحبها إلا بالتقى

وعلى ذكر أبيات النبري فيمن توسع جيب درعها وترفع يدها عند رمي الجمار
لبري ساعدها ، وتراءى يوم جمع أي عند انصراف الناس منها صباحا إلى منى
لتفتن من أفاض إليها من عرفات — على ذكرها تقول لا عجب إذا وجد في النساء
المفتونات بجمالهن من نحب أن تظهر جمالها في تلك المعاهد الشريفة كما وجد في
الرجال مثل عمر بن أبي ربيعة الذي يخرج إلى الحج ليغازل النساء ، ولكن هذا نادر
وأكثر الشعر فيه تخيل ، ومنه قول المرجي الشاعر من أبيات كانوا يتغنون بها :
أما طت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الحديد برد أمهلها (٦)
من اللا لم يحجب عن يمين حسبة ولكن ليقطن البري المفلأ (٧)
روى أبو الفرج عن عبد الله بن عمر العمري قال : خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة

(١) تضوع فافتحت رائحتها وبطن نمان أي وادي نمان وهو بين الطائف ومكة ويروى
حرف القافية خفقات والحفر شدة الحياء (٢) المحصب موضع بين مكة ومنى (٣) مؤنجرات
طالبات الأجر (٤) ويروي بخمرن بدل يخبث والمصراع الثاني * ويخرج من جميع الليل معجرات
أي متلفعات بالمعاجر على رؤوسهن (٥) البنان بكسر الباء جمع منه بالفتح وهي الرائحة الطيبة والعل
متابعة التي وأصله متاعة السقي . والوحد الشم الكثير الحسن والمرحل من الترحيل وهو تسريح
الشعر بالمرجل أي المشط . أي وعلت روائح المسك منها شعرا أتينا حسنا مرحلا فوجه يلوح
بينه كاليد في الظلمات (٦) البرد الضم ثوب مخطط والمنهل الرقيق النسيج والواهي أي برد
لا يستر الوجه لرقته ولعله من اللؤلؤ بالتحريك وهو نسيج المنكوب (٧) الحسبة بالضم والاحتساب
في العمل اعتداده ذخرا عند الله والمفلأ من لافطة له بيتقي فتنة النساء

تتكلم بكلام رفعت فيه فأدريت ناقتي منها ثم قلت لها يا أمة الله أليست حاجة؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجه يهر الشمس حسنا ثم قالت: تأمل يا عمي فإني ممن غنى المرجي بقوله من اللاء لم يجمعن يمين حسبة ولكن ليقتلن البريء المفضلا
قال فقلت لها: فإني أسأل الله أن لا يهذب هذا الوجه بالنار. قال وبلغ ذلك سميد ابن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اعزبي قبحك الله، ولكنه ظرف عباد الحجاز (قال أبو الفرج) ورويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار - وذكر حكاية أخرى في معناها فيها أن أبا حازم قال لأصحابه: أدعوا الله لهذه الصورة الحسنة أن لا يهذبها بالنار. وأبو حازم من كبار عباد التابعين. وكان عباد العراق ولا سيما أهل البصرة منهم مشهورين بالشدة في العبادة والزهد ومنهم خرج أكابر الصوفية

وإننا نختم هذا السياق بخبر أبي نواس فاسق الشعراء فقد روي أنه كان يهوى جارية لأحد الثقفين بالبصرة اسمها جنان وكانت حسناء أدبية عاقلة ظريفة تروي الأشعار وتعرف الأخبار قليل له يوما أنها عزمته على الحج فقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا إن أقامت على عزيمتها، ثم سبقها إلى الخروج وقال بعد هودته:

ألم تر أنني أفديت عمري بمطلبها ومطلبها صبر
فلما لم أجد سبيل إليها يقربني وأعيني الأمور
حججت وقلت قد حججت جنان فيجمعني وإياها المسير

وروى صاحب الأغاني من خبر حجه عن شمه وقد أكرم أنه لما جنة الليل
جلل يابي بشمر ويحدويه ويطرب ففني به كل من سمعه وهو قوله

إلهنا ما أهديك ملكك كل من ملك
ليك قد لبيت لك ليك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك والليل لما أن حلك
والسباحات في الفلك على مجاري المنسلك
ما خاب عبد أملك أنت له حيث ملك
لولاك يارب ملك كل نبي وملك
وكل من أهل لك سبع أو لبي فلك

يا مخطئاً ما أضفك همل وبادر أجلك

واختم بنجر عملك ليك إن الملك لك

والحمد والنعمة لك والعز لا شريك لك

والعبرة في هذه الوقائع والاشعار من وجوه (منها) أنه يدل على أنه لا يمكن أن يجتمع النساء والرجال الكثيرون في مكان ينظر بعضهم إلى بعض إلا ويكون المفاصلة النساء بالكلام أو بالنظر نصيب فيه كما قال عمر بن أبي ربيعة في أبيات مقصورة

ومن مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمي

وإذا كانت معاهد الحج لم تخل من المفاصلة والتغرل في أول عصر الحضارة لاسلامية وأول العهد بتحجب النساء والدين لم يزل في قوة ساطعته على الأرواح حتى أن أشد المترفين اسرافاً في الخلعة ومفاصلة النساء لم يرتكب في عمره فاحشة مما ظنك في غير هؤلاء وأمثالهم وفي أهل هذا الزمان في غير تلك المعاهد؟ قال لي بعض القسيسين قد مات لدين ولا يقصد الناس المعبد إلا لمفاصلة النساء

(ومنها) أن أقوال الشعراء في معاهد الحج وأيامه وأعماله مما يشوق القلوب

إلى تلك البلاد كما وقع لابن مريح في لبن ولا جله كتبت هذا الفصل من الرحلة وأنني وجدت نفسي في أيام كتابتي لهذا الشعر فيه شديدة الشوق إلى الحجاز ومشاء وليالي عرفة والمزدلفة ومنى ، على أنني استمت من المفاصلة والتغرل في شيء ، ولم أر هناك ولم أسمع عن أحد شيئاً من ذلك وفيه الحمد

ولكنني أذكر في الكلام على هذه العبرة كلمتين لناضلين معمرين كانا مضافي الحجاز (أحدهما) قول أتقى الرجلين وأحسهما تدينا وهو محصن أنه رأى في بيتي امرأة في نفقة دار مقابلة للدار التي كان فيها تحمل منظاراً تنظر فيه فتوم أنها تنظر إليه فاشتمل قلبه بذلك مدة وجوده في منى (والثانية) قول الآخر وهو أعزب: أنني لم أر في الحجاز امرأة وسيمة بشتي المرء أن يعبد إليها طرفه قبل هؤلاء من نساء العرب اللواتي شربهن الشعراء ذلك التشيب الفاتن الذي ينجبل لقارته ابنهن أجهل نساء الأرض؟ وباليات شمري كيف كان يكون غزلهم وتشبيهم لو كان في ناسهم من الجلال ما نعهد في الآستانة وغيرها؟

أولئك الذين ينادي الدين بستمون القول غيبون أحسنه
أولئك الذين ينادي الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و «متارا» كنفار الطريق

٣٠ شعبان ١٣٣٦ — ١٨ الجوزاء (٣) ١٢٩٦ هـ ش ٩ مايو ١٩١٨

المتفريجون والاصلاح الاسلامي

يكثر ذكر المتفريجون في المنار وغيره ، والتفريج مشتق من اسم الافريج أو الفريجة ، وهذه الصيغة تبنى لمعان (منها) التكلف كتجاد فلان وتجمع ونخشم ونجرج الشراب اذا تكلف الجلد والشجاعة والخشوع وشرب ما يكره و (منها) تحصيل الشيء بالتدرج كعلم الحساب . وكل من هذين المعنيين ظاهر في استعمال كلمة التفريج وما يشتق منها ، فالمتفريجون هم الذين يقلدون الافريج فيما يستحسنون من العادات وغيرها بالتكلف أولا ثم يتوسعون في ذلك بالتدرج ، حتى انتقل بعضهم من التقليد في شخصيات الامم التي تقوى بها روابطها كالعادات في الازياء والاكل والشرب وآداب المجلس الى ما هو من مقوماتها التي تبقى ببقائها وتنفى بفنائها كاللغة والدين والشرعية وأصول الآداب والروابط الاجتماعية المنزلية والقومية

وهؤلاء المتفريجون فريقان (أحدهما) من كان تفريجهم اثر التعليم العصري والتربية الافرنجية التي حبيت اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلقنوا ما لا متهم من ذلك و تربوا عليه كما يجب فكانوا كما قال الشاعر :
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا
(وثانيهما) من يتفريجون تقليدا للفريق الاول من قومهم الحكام والاغنياء تقربا اليهم ، وانتظاما في سلكهم ، وتمتعا بمثل زينتهم وادبهم ، فهم مقلدة المقلدين ، بغير شبهة ولا دليل ، انما كان سبب فشوهذا التفريج في المسلمين المدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التي أنشئت لتقليد الافريج في تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الامة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسي والاجتماعي ، وما بقي منه أمسى مشوبا بما ليس منه من البدع والدخيل ، وسأت طريقة تعليمه وأهملت فكرة التربية عليه بالتخلق والعمل ، وقد قلت في المنار غيره مرة اني لأعرف في الدنيا مدرسة تعلم فيها اللغة العربية التعليم الفطري الذي به تكون ملكة في السنة المتعلمين بحيث فهمون كلامها الفصيح في كل كتاب ، ويقدر على الاتيان به محاوره وخطابه وكتابة

بغير تكلف، كما تعلم اللغات الافرنجية في بلاد أهلها، ولا على مقربة من ذلك كما تعلم في بلادنا، ولا أعرف مدرسة يعلم فيها الاسلام تعليما يفهم به كتابه وسنته وما فيها من العقائد والاحكام والحكم والآداب فهماصحيحا يتمكن به المتعلمون من بيانته بالقول والكتابة، وإثبات قضاياه والدفاع عنه بالدلائل والحجج، ولا مكانا يترى فيه النشء على أخلاقه وآدابه العالية، وإنما المدارس الاسلامية التي تدرس فيها العربية والدين معاهد تعالج فيها كتب في فنون العربية والعلوم الشرعية مما صنف بعد ضعف العلم الاستقلالي أو مونه قلما يوجد فيها من وضع الأئمة المجتهدين شيئا، ولكن يقرأ في بعضها قليل من كتب التفسير والحديث بقصد التبرك الذي لا يعقل معناه لا بقصد الاهتداء. وكل ما يقرأ من الكتب في مدارس البلاد العربية يفسر باللغة العامية، وفي مدارس البلاد الاعجمية (كالهند والفرس والترك) يترجم بلغاتها.

في أثناء هوي الأمة الاسلامية في هذه الهاوية من الجهل من عدة قرون كان الافرنج بصمدون في مراقي العلم الاستقلالي والتربية الاجتماعية على علم ونظام، يبتدون فيه بسنن الله في خالق الانسان والا كوان، وقد جعلوا لكل علم وكل فن ولكل صناعة وعمل جماعات تعنى بتربيته وإتقانه، حتى إن الجمعيات الدينية فيهم تملك ألوف الألوف من النقود الذهبية. ولكن كان جل ارتقاؤهم في العلوم والفنون المادية والمالية والحربية وطرق استعمار الممالك واستخدام الشعوب لمنافعهم، وأقله في الفضائل الدينية والادبية التي ترجع الحق على القوة، والمعدل على الشهوة، حتى خاف عاقبة ذلك عليهم ككؤهم وعقلاؤهم، وقال أكبر وأشهر فيلسوف اجتماعي فيهم وهو هربرت سبنسر، لا كبر وأشهر حكماء فينا وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده — ما معناه : ان ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية على أوربة استدعتها (أي تدفعها بعنف) الى حرب مجتاحة يظهر أي أممها الاقوى فيسود العالم .

« إن الانسان ليطنى أن رآه استغنى » وانه ليغنى أن رآه قوي واستعلى ، وان مظاهر الغنى والقوة انفراد خداعة ، فالفقراء يعظمون الاغنياء وان منهم رفد هم ، وهضمهم حقهم ، والضعفاء يخضعون للاقوياء وان أرهقهم عسرا ، واستذلهم عدواتا وظلما، ولا يزال بعض الشعوب على أرث مما من سلفهم الذين عبدوا الملوك وانخدعهم

آلهة وأرباباء وان زالت تلك الدعوى وعفت مظاهرها الباطلة، فيظهر أثر هذا الارث في كثير من أفرادها، وان تبوءوا مقاعد الرياسة فيها، واما ولوع الامم المغلوبة على أمرها بتقليد الغالبين في كل ما يسهل التقليد فيه من العادات وشؤون الحياة، فهو سنة من أظهر سنن الاجتماع، وقد بسط الكلام فيها حكيمنا ابن خلدون في مقدمته فهي لا تخفى على قراء العربية، الذين يعنون بالامور الاجتماعية، والتقليد في الامم كالنقاييد في الافراد هو توطئ انفس المقلد على ان يكون تابعا للمقلد في بعض ثمرات اجتهاده، غير طامع في مساواته، فهو يستلزم تعظيمه له واحتقاره لنفسه وقومه

ان المقلد لا ينفك مرتكبا في الضعف بخبط في ليل دجوجي
قد يشبه امر بعض المتفرجين بما يدعوا اليه المصلحون من الاعتبار بما أوتي الاقربج من العلوم والفنون وما اتقوا من الاعمال، والبحث في اسباب ذلك وطرقه، والاستقلال في اقتباس ما يحتاج اليه أمتهم منه، تقوى به وتكون أمة عزيزة قوية مثل أمهم، واما تقوى الامة اذا حافظت على ما كانت به أمة كاللغة والآداب والعادات والشرائع التي تمتاز بها، واذا كان بعض العادات باغلاضار فيقيم رآته وتغيره بالحكمة والموعظة الحسنة، والتربية العملية النافذة، بشرط ان لا يشوب ذلك شيء من تحقير الامة في انفس أهلها، ولا ادلالها بشعارها باستعلاء غيرها عليها، وان لا تحمل على تقليد أجنبي عنها، وانما تلقن الحكمة مع قناعتها بفضاها ونفعها، وبأنها يجب ان تكون أحق بها وأهلها، كما ورد في حديث أبي هريرة عند الترمذي «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»، ومن المتفرجين من يدعي هذا الاصلاح، ويتوهم انه صادق لانه لا يميز بين الاصلاح والافساد، ومنهم من يدعيه ببعض الكذب والرياء، (ومن الناس من يمجيك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله ما في قلبه وهو ألد الخصام) واذا تولى سعى في الارض ليفسد ويبهك الحارث والنسل والله لا يحب الفساد)

ان الفرق بين المتفرج والمصلح المستقل مما يخفى على غير العارفين بالحقائق، ومن هؤلاء العارفين لورد كرومر الذي كان عميد انكسار في مصر، فقد بين في كتابه مصر الحديثة من فضائح المتفرجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا، وان كان لم يكتبه لاجلنا، ولا نحن عرفنا كيف نستفيد منه، وقد أشار الى

مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون لقومهم من شؤون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عند ذكر وفاة الامتاز الامام ، وهو ان الشيخ وحزبه المعتدل بشرطون في ذلك المحافظة على اصول الاسلام ، خلافا لمن لا يبالون في هذه السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الامة التي نشأوا فيها . ولا يرجى من اجنبي غير مسلم ان يقول في كلمة استطرادية أكثر من هذا في بادله السيطرة على حكومته ، فجل من تعتمد عليهم حكومته من رجالها هم المتفرنجون كما بين ذلك اللورد نفسه في كتابه (عباس الثاني)

المتفرنجون أصناف منهم المعتدلون والغلاة ، ومن الغلاة المارقون من الدين الذين يحاربون اصوله وقروعه ، وينفقون سموم الكفر والفسق في أهله ، والمارقون الذين لا يحبون أن يعرف حالهم ، فلا يتكلمون في أهل الدين ولا يحبون أن يتكلم هؤلاء فيهم ، اما الاعتقادهم ان فشو الكفر مفسدة تزيد أمنهم ضعفاً وفساداً ، واما لكراحتهم للخوض في أمثال هذه المسائل وما تجره من القيل والقال ، ومن المعتدلين الثابتون على عقيدتهم التي نشأوا عليها والذين لهم ضرب من الآراء الجديدة فيها ، وانما تفرنج هؤلاء في أبدانهم ، لا في عقولهم ووجدانهم ، ولا نحاول استقصاء ما يكون به التفرنج وأصناف أهله في أفراد بل نقول بالاجمال انه قسمان صوري ومعنوي ، ظاهري وباطني ، والمعنوي الباطني ، يستلزم الصوري الظاهري ، وأما هذا فلا يستلزم ذلك ولكنه يؤثر فيه بعض التأثير ، فكل منهما يمد الآخر في ذلك وفي غيره ويستمد منه ، لذلك نرى بين أصحاب كل قسم من التعارف والتآلف ما لا نجد بينهم وبين المخالفين اكل منهم ، فهو لذلك يسري في الامة سر يانا تدريجيا لا يشعر به الجمهور ، وانما يفتن له الافراد من المارقين بشؤون الاجتماع المراقبين لسير الامم وتقلبها وما يطرأ عليها من التغيير

أما ما يشعر به الجمهور ويألم له من بعض شذوذ الغلاة من هؤلاء المتفرنجين وجهر بعضهم في انكار ما عليه الامة من العقائد أو العادات المحترمة فمثله فيه كمثل العامي الجاهل الذي يصاب بالداء الافرنجي ، يتألم اكل قرحة تعرض له من أثر الداء ويطلب لها الدواء ، ولكنه لا يعرف خطر الداء في عامة بدنه ، ولا فطرته في

تسميم دمه ، ولا يطلب له العلاج في غير أوقات التألم من الاعراض الحادثة ، ولا يصبر على تناول الادوية التي يرجح أن تنقي دمه من ذلك السم في الزمن الطويل ترى هذا الجمهور الذي ضرب بنا له المثل يصبح ويشكو قولا وكتابة عند كل صوت بجهر بمخالفة دينه وآدابه وعاداته: فلان كفر ، فلان فجر ، وأما العالم بشؤون الاجتماع فهو كالعالم بالطب أو بحفظ الصحة كلاهما بهتم بالملل العامة وأسبابها والعلاج الذي يستأمنها لا بأعراضها الذي تظهر تارة وتختفي أخرى . وبالنسبة للجمهور يتبع الطبيب الاجتماعي الذي يستصرخه عند كل صيحة تؤلمه من مهاجمة في عقائده أو غيرها من مقوماته المالية كما يتبع مريض البدن طبيب الأبدان ، إذا سهل التوقي من خطر هؤلاء الذين تقطعت الأسباب وانفصمت العرى التي تربطهم بأمتهم وتعدر عليهم الاتصال بأمة أخرى يكونون أعضاء حية فيها ، فقد جمهورهم الشهور بالحياة القومية والمالية ، فأسمى لاهتهم الأبدان الشخصية ، ومنها أن يكون محترما مكرما بين من يعيش معهم ، فهو يدعوهم إلى أن يكونوا مثله مدعيا أن ذلك خير لهم ، كما أنه يكون عوننا لكل ذي سلطان عليهم ، يساعده على كل ما يريد من منهم ، ومن دون هذا الجمهور أفراد يعز عليهم أن لا يكون لهم أمة ، فهم لشدة حاجتهم إلى الأمة التي انفصلوا منها في الباطن يريدون أن يجذبوها إليهم ويجعلوها أمة أخرى بمقومات ومشخصات مذبذبة لاهي اسلامية صحيحة ، ولا هي أفرنجية خالصة ، ليكرنوا أعضاء رئيسة لها في هذا الحلق الجديد المتخيل ، بعد أن صاروا فيها كالأعضاء الاثرية أو زوائد الاظفار والاشعار التي جرت العادة بقصها والقائها ، وهؤلاء الافراد الذين يفكرون في تكوين الامم قليلون ، ولكن الذين يلغطون بهذه الالفاظ كثيرون ، ولم يظهر في متفرجين فرد صالح لتكوين أسرة صالحة ، أو أسيدس جممية نافعة ، فأين هم من افناء أمة كبيرة وعاداتها خالفا جديدا ؟ لأنهم بضعف الأمة في نفوسهم ، وبمعاودة القوى الغريبة لهم عليها ، ليستطيعون شيئا من الهدم دون البناء ، ومن الامانة دون الإحياء قلنا ان جمهور المسلمين يشكو ويتألم من كل صوت يسمعه من هؤلاء الذين يدعون ارادة اصلاحه واحيائه ، وأما يشكو من أعراض الداء لا من سمه وأسبابه ، ونقول أيضا انه كلما سمع صوتا منكرا من تلك الاصوات ، يفرغ إلى من يشق بهم

من العلماء والكتاب : انصروا الذين ، ردوا على المحدثين ، ويقنعهم كل ما يقال ويكتب بعنوان الرد ، وإن كان من قبيل الطعن والسب وقد سمع في هذه الأيام صوت من هذه الأصوات ، ولا حاجة للحرب وما انتفضت من مربية عن المنبوءات ، مكان جبهة الشكوى منه ، أضاعف ما عهد في ذلك ، ذلك صوت رجل من أنطاء النوبة ، أتى على جمهور عظيم من رجال النصيب الخطابة ، ثم طبع في رسالة وزاد على ذلك كافة موضوعه وضم وعدة أصلاح قانون الاحوال شخصية التي تقرر اصول شريعة اسلامية ، وقد رثب في بعض فصوله في بعض ما ذكر في مجرب ذلك مجرد اطلاعات عليه ، ولكن ما كان في ذلك من كلام غير شرعية ولا نقول في شخص وضعه شيئا ، وإن فرض ان حق في نفسه ، ومن عرف حق عرف أهله ، وموعدا الجزء لا في ن شدة بل تعالى

نقد ذكرى المولد النبوي

لصاحب الامضاء الرهزي

(الموضع الاول) في صفحة (هـ) من المقدمة حققتم ان عمل المواد بالشكل المعروف بدعة وانكم تتحامون عن عمل شيء باسم المولد فاحسبتم وأجدتم . ثم ذكرتم ان البكري دعكم فتوسلتم باجاية الدعوة الى تنفيذ فكرة استبدال الضار من الموالد بالنافع — فهل هذه الفكرة غيرت حكم هذه البدعة وأخرجتكم من المحدثين ؟ لا أظن ذلك بل لا أرى وضع المولد يليق بأمثالكم — القائم بالاصلاح ومحاربة البدع وخصوصها على الصورة التي طبع عليها فختوما كل فصل منه بالصلاة البتراء فلو اكتفيتم بنشره في المنار مع الارشاد الى جعل تلاوته بصورة الخطابة اربما كان أنسب ، وعن الصورة المألوفة أبعد

(الموضع الثاني) في أول الصفحة الرابعة من ذكرى المواد ذكرتم ما قلناه: كيف

(*) في الاصل صاحبة في كل موضع من الرسالة فابعدت في المطبعة بصفحة

كلن اصطفا الله تعالى لهذه الاصول من الامة العربية، الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة، وبماذا امتاز قوم خاتم الرسل الخ. العبارة في ذوق السقيم غير مستقيمة ولم يظهر لي صلاحية شيء مما بعدها للجواب عن « كيف كان » وجميعه جواب عن « وبماذا امتاز » فحذف السؤال الاول والاقتصار على الثاني لانه أظهر (الموضع الثالث) في الصفحة الخامسة قوامكم: أيام كانت الامم مرهقة بالاثرة والاثارة والاثين من مثل الضرائب الخ لعل الاولى حذف لفظ والاثين او ابداله بلفظ وثان ليصح المصنف أو ليكون أوضح

(الموضع الرابع) في الصفحة السابعة قوامكم: أما اصطفا الله الكنانة فيفسره الخ وقولكم: وأما حج العرب اليه فهو دليل الخ لعل الاولى: اصطفا الله الكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب من اخباره الخ وحج العرب اليه دليل الخ بحذف لفظ أما وتقتضيه

(الموضع الخامس) في الصفحة الثامنة ذكرتم بالمواثي تفسير التدوة بالشورى وخصصتموها بأجالة الرأي بعد البشة للائتمار به صلى الله عليه وآله وسلم هكذا والمعروف ان التدوة محل الشورى مطلقا وان الذي بناء قصي وجعل بابا فلكية كما ظنوه في الصفحة ثقتها عن ابن اسحاق. وكذلك فسرتم اللواء براية قريش وانه كان يسمى العقاب والمعروف ان العقاب اسم راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في القاموس صفحة ١٠٧

(الموضع السادس) قولكم في الصفحة التاسعة « كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للإسلام » ولكن هذه القوى المنوية كلها وجهت لمعاداته عليه وآله أفضل الصلاة والسلام « لعل حذف هذه العبارة المثمرة بقاية الهجو والموهمة ان جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومة أولى والبق لان السياق في مدح قريش وشرح المزايا التي فضلوا واستمدوا بهم للاصلاح الروحي والمدني ولان الواقع خلاف ذلك فليس كل قريش وجهوا قواهم لمعاداته صلى الله عليه وآله وسلم اذ منهم السابقون للإسلام مع اخفائه لمصلحة الذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كابي طالب رضي الله عنه ومنهم السابقون له المحملون لمشايق التعذيب كآل ياسر ومنهم

السابقون القائمون بنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ونشر دعوته، والذب عن حوزته،
 المؤثرون له صلى الله عليه وآله وسلم على أنفسهم، القائمون بمساعدته بكل ما في وسعهم،
 كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم من أجلاء الصحابة الذين هجروا وطنهم
 رغبة في صحبته وملازمة خدمته صلى الله عليه وآله وسلم بل منهم مع عدم سلامته
 في أول البعثة من تحمل مشاق الحصر مع بني هاشم في الشعب إيثارا لنهرته صلى
 الله عليه وآله وسلم ومساعدته. على أن الإسلام ما انزله ودخل في طور القوة والمنعة إلا
 بعد إسلام من تأخر منهم، فكانوا القائمين بنصرته ونشر دعوته صلى الله عليه وآله وسلم
 وسلم الباذلين أرواحهم في حامية بيضته في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد
 وفاته، وسيدقون أن شاء الله كذلك إلى قيام الساعة. ولعل الحكمة في ذلك رفع التهمة
 عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم. والله در العلامة الشيخ عبدالعزيز الزمزمي حيث
 أشار في همزته لذلك فقال

خبرة الله من قر يش وما أد	راك من هم مكانة وعلاء
نسب بالعلاء علا قنرات	درر الأفق تحتها حصبا
شرف شامخ الذرى وفجار	ثابت صير الجبال هبا
أنزل الله في قر يش لا يلاف	قر يش فزادهم آلا
شرف الله قدرهم نبي	خاقوا من نجماره شرفاء
واصطفاهم لاجله واجتباهم	فقدوا سادة به نجبا
ذب عنهم صونا لهم ورعاهم	وحماهم ممن نوى الاسواء
أظهر الله فضلهم من قديم	بحديث في فضلهم عنه جاء
ثم لما جاء النبي اليهم	أبطأوا عنه لا قلى وجفاء
كيف يحفونه وقد ألف الله	عليها ضبابها والظبا
لكن الله وحده قد تولى	نصره حفلة به واعتنا
لو تولوه داخل الشك قوما	عابوا حزب نصره القربا
فقضى الله ما قضاه إلى أن	شاد أركان دينه والبناء
دخلوا فيه مرعين فصاروا	فيه للناس قادة رؤسا

جعل لمصطفى الامامة فيهم اذ رآهم لحردهما أكفا
ورثوا الامر بعده فأقاموا إجماعا من المدا وانحاء

(الموضع السابع) في الصفحة العاشرة قولكم فجملة ما امتاز به آله صلى الله عليه وآله وسلم النخ . لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده . أما قبل الاسلام فلتماثاته ما قدمتموه من أن التدوة والهلواء والسفارة والاعنة والقبه من المناصب المختصة بهم ، وكلها من الامور الحربية ، ولتماثاته أيضا ما قدمتموه من أن كثرة كاذبة متابة التعارف ، وأن مالكا وقصيا ملكا العرب ، فهل الرياسة غير هذا ؟ وأما بعد الاسلام فلتماثاته ما هو معلوم من حملهم لألوية القتال وقيادة الجيوش لمحاربة الاعداء في بدر وأحد وخيبر وحنين ، بل لم تدر حتى الحرب في المارك المشهورة لا على محور الآل ، فهم قلب رحاما بلا جدال ، وهم اثابون معه صلى الله عليه وآله وسلم في الموضع التي فر فيها الابطال . فهل الامور الحربية التي بعدوا عنها غير هذا ؟ والله در أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي حيث يقول كما قلته في الاستيعاب

لقد علمت قريش غير فخر باننا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات وأفضلهم اذا طعنوا سنانا
وأرفعهم لدى الضراء عنهم وأبينهم اذا نطقوا لسانا

وقولكم في الصفحة المذكورة وأذلك غليو على الرياسة حتى بعد الاسلام النخ
تطلب الغير عليهم في الرياسة بعد الاسلام لا يتنازع بدم عنها وعدم استحقاقها ،
والا لتافي ما تواتر عن علي وأبيه الحسن والحسين من قيامهم بطلب الخلافة
واحتجاجهم على من قاومهم بالبراهين ومحاربتهم للطاغية معاوية وأذنيه ، ونظام
الصحابة الا من شذ الى علي وأبيه عليهم السلام

ربما يقال ان الدليل على ذلك كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يولي
غيرهم ويتركهم فالجواب عن ذلك ان التولية منه صلى الله عليه وآله وسلم لا تخص
كهم وابن العاص وعدم توليته لآخرين كابي بكر وعمر لا يمكن أن يكونا دليلا
على استحقاق الأول للخلافة وعدم استحقاق الآخرين لان ذلك من وقته

الاحوال المطروقة باحتمال أن يكون كل من التولية وعدمها لمقاصد مهمة. فمن مقاصد التولية تأليف قلب المولى أو استجلاب ود عشيرته (ومنها) ازالة نفور الناس عنه لاستئذانهم له من حيث تلطخه بحمته عداوة النبي والمسلمين (ومنها) قصد ابعاده للسلامة من دسائسه (لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) ومن مقاصد هدم التولية لاشخاص قيامهم بحراسة النبي والذب عن حوزته ومساعدته (ومنها) قيامهم بتلقي أحكام الشريعة ليبلغوها للامة وخصوصاً آل بيته، فهم هالة طلعتهم وثقات أمتهم، وهم المدول المصوم اتفاقهم، المشهود بأنهم والقرآن في قرْن الى قيام الساعة، رضوان الله عليهم أجمعين

وقواكم في آخر الصفحة فبو أنفى للشبهة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم قد يقال انه لو كان فيما ذكر محل شبهة لكان لفضيلتهم والامر بالصلاة عليهم وفرض مودتهم ومولائهم وفرض الخمس لهم أكبر شبهة وأعظم تهمة وليس الامر كذلك والله أعلم (الموضع الثامن) في الصفحة الثالثة عشرة ذكرتم بعض أولاد عبد المطالب والتمم يقتضي استيعابهم لان لاقتصار في محال البيان يوم الحصر وزيادة سطر لا تطول به القصة

(الموضع التاسع) في الصفحة اثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم لقي من قومه أشد الجحود ولا يذم الخ لاهل الاولى: من زعماء قومه الذين أشقاهم الله فصدوه عن تبليغ دعوة ربه ومنهم عمه أبو لهب القاتل الخ لما قدمناه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته

(الموضع العاشر) في الصفحة الحادية والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس أن يحموه للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد الخ لاهل الاولى: كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه ليقوم بهذا الامر فقال زعماء الشرك دون ذلك محولة لاطناء نور الله ويأبى الله الا أن ينم نوره فهدى الله للايمان به ستة نفر من أهل يثرب الخ لما تقدم أيضا

(الموضع الحادي عشر) في الصفحة السابعة والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم ثبت وحده في يوم أحد الخ والذي أذكره انه ثبت معه بضمة نفر من

قريش و بني هاشم وكذا في حنين وهذه منقبة لهم بحسن ذكرها اشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها

(الموضع الثاني عشر) في الصفحة الحادية والاربعين ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم اقام بكعة بعد بدء التبايع عشرون سنة والمشهور انها بضع عشرة سنة . ثم ذكرتم في الصفحة الثانية والاربعين حال الاسلام في تلك المدة وما لاقاه صلى الله عليه وآله وسلم مع السابقين من المؤمنين وصبرهم على الاضطهاد الخ ثم دخول الاسلام في عهد الحرية الخ ولم تذكروا دخوله في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش واتباع العرب لهم مع ان ذلك هو . يظهر مزايا الاصطفاء فلعل الحاقها يكون في المستقبل ان شاء الله تعالى

(الموضع الثالث عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم في الحواشي حديث الثقلين ثم قلتم : وفسر زيد اهل بيته بمن تحرم عليهم الصدقة الخ ثم قلتم ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام الخ وظاهر تقديمكم تفسير زيد والتعبير في مقابله بلفظ يقول آخرون بشعر باهتمام ما قاله زيد رضي الله عنه . وامل الصواب ما يقوله الآخرون كما حققه شيخنا العلامة مولانا السيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي في كتابه رشفة الصادي

ولعل ما يخص ما حققه العلامة ابن شهاب ان المراد بأهل البيت في آية التطهير علي وفاطمة والحسن والحسين عند جمهور العلماء وأكابر أئمة الحديث المعتبر بروايتهم ودرايتهم وأن الأدلة تصرفت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمصير الى تفسير من أنزلت عليه الآية متعين

دهوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينظمس النجم
فمن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه
وابن مردويه والبيهقي من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزلت
(اعلموا ان الله ايدى عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وفي البيت فاطمة
وعلي والحسن والحسين فجعلهم بكسا . ثم قال هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه

عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها على منامة عليه كساء خير ي فجئت فطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعي لي زوجك وابنيك حسنا وحيدا فينباهم بأكلون اذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يريد الله) لآية فأخذ النبي بفضلة كسائه ففشاها ايها ثم أخرج يده من الكساء فألوى بها الى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلها ثلاث مرات . قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في السر فقلت يا رسول وأنا معكم فقل « انك الى خير » مرتين وذكر ابن كثير والسمهودي طرقا كثيرة لحديث أم سلمة هذا وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة ما يقاربه في المعنى . وكذلك روي عن وثلة ابن النعمان ما يقاربه — الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان المراد بأهل البيت من ذكر . ولا التفت لمن خاف ذلك ، ولا يمنع هذا الحصر دخول أولاد من ذكر وذرياتهم الى آخر الابد في هذا المعنى المراد شمول لفظ أهل البيت لمن سيوجد منهم — كشمول لفظ لامة لمن سيوجد منها لاسيما والاحاديث مصرحة بذلك كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : اني تارك فيكم ما ان تمسكنم « لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » الى أن قال « وأنهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الخوض » وكقوله عليه وآله الصلاة والسلام « أهل بيتي أمان لأهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض » الى غير ذلك من الاحاديث وال اخبار الدالة قطعا على ان هذه السلالة الطاهرة هم أهل البيت المطهرون وانهم المرادون بكل ماورد في فضل أهل البيت من الآيات والاحاديث وأنهم عدول هذه الامة وأنهم ان يفارقوا الكتاب الى يوم القيامة ، وأنهم أحد الثقلين المؤمنين بالنسك بهم ، وقد أجهت الامة على ذلك اه باختصاره وبعد وجود النص بعدم ادخال أم سلمة بل وعائشة في رواية هل يمكن تفسيره بما يشمل آل العباس وخصوصا والحديث في الخس على التمسك بأهل البيت فهل يعقل ان نحض على التمسك بيني العباس وسيرهم معلومة لدى العام والخاص

(الموضع الرابع عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم انهم (أي آل)

كانوا أحفظ الناس لهديه صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لا يخلو عصر من طائفة أو أفراد من الهداة المصلحين منهم وإن فتن الكثير منهم بفلاة المحبين الخ والمسل المناسب وإن فتن بعضهم واغتر بشرف نسبه وترك العلم والأعمال النافعة غافلاً عن قول جده علي الخ لأن إثبات الفتنة للاكترية ينافي آية التطهير كما لا يخفى . ثم ذكرتم في حديث الثقلين رواية عن أبي هريرة وأن فيها ابدال لفظ المترة بلفظ السنة، وأن لا معارضة بينها الخ يظهر للماجز أن رواية الابدال المذكورة على حذف مضاف أي حملة سنتي فتكون مخصصة للرواية الاولى كما أن الاولى مخصصة لثانية فالمعنى حملة سنتي الذين هم من عترتي ، أو عترتي حملة سنتي ، وأيضا يظهر أن المراد بالطائفة من أمتيه التي لا تزال ظاهرة على الحق قومة على أمر الله لي أن تقوم الساعة هم عترته الحاملون لسنة الله أعلم

من ملاكه صالح جهدي الاولى سنة ١٣٣٦

ن . ه . د

رحلة الحجاز

٩

النفر من منى الى مكة

لما كان يوم النفر رمينا الجمرات لآخر مرة وفي لاصيل شدتنا لرحال ونفرتنا من منى هابطين الى مكة المكرمة حامدين لله شاكرين له ما وفقنا لانعام مناسكتنا ، راجين من فضله وإحسانه أن يكون حجنا مبرورا ، وصعبنا مشكورا ، وعلمنا ماثبا ، ودعاؤنا مستجابا ، وبالله ما أحلى الشعور الذي يسترلي على المرء في ثناء هذا النفر ، فإنه على فراقه لذلك العهد القديمي الذي وصفنا في الفصل السابق ماله في النفس من عظيم الانس تراه يفترقه قرير العين مطمئن القلب جم السرور فرحا بفضل الله ورحمته ، وذلك شأن الانسان بعد إتمام كل عمل من الأعمال النافعة التي يهتم بأمرها ، يفرح في عاقبة إتمامه بقدر ما كان من عنايته به بتعبه فيه ، وبقدر مكانة العمل نفسه من نفسه ، وما يرجو من فائدته ونفعه ، سواء كان ذلك في دنياه أو دينه ، فمن لم

يأل جهدا في أداء المناسك أقاض من منى وهو بحيث وصفنا من النبطة الروحية ،
والسكينة والطمأنينة ، التي يسرع عن بعض الناس براحة الضمير ، ومن قصر في شيء
من تلك الأعمال ولو بترك العزيمة ولا فضل خاليج غبطته وطمأنينته بعض التني ولوم
النفس : ليتني فعلت كذا ، وسأفعل كذا في حج آخر إن شاء الله تعالى . كما تمنى
بعض رفاقنا لو باتوا الليل كله في المزدلفة معي

المقام بمكة بعد الحج

قد كنت أرجأت أمورا مما أنوي عمله في مكة الى ما بعد الحج (منها) ما أشرت
اليه قبل من زيارة جميع القديس تفضلوا بزيارتي ولم تيسر لي زيارتهم قبل الحج (ومنها) زيارة
كثير من الماهد التاريخية والآثار النبوية في مكة وضواحيها اذ لم أشأ أن أخلط ذلك بأعمال
النسك كما يفعل بعض العوام الذين يعدون بعض ذلك من أعمال النسك أو من الاعمال
المطلوبة شرعا ولو اغبر النسك ، ولا يطلب شيء من ذلك شرعا ، لا وجوبا ولا ندبا ، الا
من كانت له نية صالحة في شيء من ذلك وجاء به على وجه يعرفه الشرع ولا ينكره .
(ومنها) شراء أشياء كثيرة مما يباع في مكة بعضها لانفسنا وبعضها لاجل اهدائه
لاصدقائنا (ومنها) وهو أهمها شرح ما عندنا من الحقائق في الحالة السياسية الحاضرة
لمن يجب شرحها له بعد ان كنا فتحنا أبواب بعض مسائلها فكان الحديث في أكثرها
اجاليا ولا يفني فيها الا البيان والتفصيل

لم نلبث أن بدا لنا ما لم نكن نحسب وفاجأنا ركب المحمل المصري بسفره
يوم الخميس ١٤ ذي الحجة من مكة المكرمة الى جدة ، وعلينا انه قرر ركوب البحر
في ثاني يوم وصوله اليها ، ولو سافرنا معه لما أمكننا أن ندرك شيئا مما نريد من مكة ،
فعرزنا على التخلف عنه يوما واحدا وهو متسهي ما نملك من التأخير ، وما ذا عسى
يفني عنا اليوم الواحد مما كنا نقدر له أسبوعا كاملا لا نستكره عليه ؟ على اننا
أدركنا في ذلك اليوم بتوفيق الله تعالى وعناية المحيين ما لا يدرك الا في أيام ، فابتعنا
بعض ما نحب من الحللى والحلل من منسوجات الهند الموضونة وغير الموضونة وبعض
منسوجات الشام وبلاد الترك والصين وغير ذلك مما يشتري مثله الحجاج عادة ،
وكان الفضل في شراء ذلك في وقت قصير مع أمن عن التجار لنا فيه لصديقنا الشيخ

حسين بإسلامه وهو من أشهر أدباء مكة ونجـارها ، وقد تركنا ما كنا نبغي من الزيارات بأنواعها ، ولكن الله تعالى من علينا بما هو خير منها كلها ، وهو الأشرف بدخول بيته العتيق المعظم والصلاة والدعاء فيه

دخول الكعبة المعظمة

دخلت المسجد الحرام في وقت الضحى من يوم الجمعة (١٥ ذي الحجة) فوجدت باب البيت العتيق المعظم مفتوحا وفيه بعض شبان آل الشيبى الكرام فرأيت الفرصة سانحة للتشرف بالدخول فيه والوقت هادئ لا يكدر صفوه احتفال ولا ازدحام ، وكان يرافقني الشيخ حسين بإسلامه فبانغ من هنالك من الشيبين وغبني فقابلوها بالقبول والارتياح ، فتوضأت من بئر زمزم وأدلى الشيبون لي السلم ، فصعدت فدخلت متذكرا دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ممثلاً حاله في ذلك اليوم العظيم يوم الفتح ، ففاجأني من الهيبة والخشوع والبكاء ما لم يسبق له نظير ، ووقفت زمنا لا أستطيع فيه الأحرام بالصلاة ولا النطق بالتكبير ، وقد ذكر لي رفيقي بإسلامه في هذه الحال المكان الذي صلى فيه صفوة الله من خلقه وعينه بالاشارة على حسب ما بينه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فصلت فيه ركعتين هما أرجى ما أحسنه عند الله تعالى من التطوع ، ثم صليت في كل جهة من الجهات الثلاث الاخرى ركعتين

ودخول الكعبة ليس من مناسك الحج خلافا لما حكاه القرطبي عن بعض العلماء ، واختلفت الرواية في دخول النبي (ص) البيت وصلاته فيه . والتحقيق الذي جهم به بين الروايات الصحيحة المتعارضة أنه دخله في عام الفتح لافي حجه ولا في عمرته ، وأنه صلى فيه ركعتين بين العمودين المقدمين جاعلا الباب وراءه وبينه وبين الجدار الذي صلى اليه ثلاثة أذرع بذراع الآدمي تقريبا لا نحو يدا ، وليس من السنة تتبع المواضع التي صلى فيها النبي (ص) للصلاة فيها ، ولا مواقفه في النسك كما تقدم في الكلام على موقفه في عرفات ، وكذا سائر عباداته ، ولم يرو عن أحد من علماء الصحابة انه فعل شيئا من ذلك الا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) فهو فعل غير مشروع وغير ممنوع ، الا أن يؤتى به على وجه يكون به بدعة وهو جملة كالمشروع بالزمامه أو

بالاجتماع عليه كاشمائر، فاذا خلا من شبه البدعة كان كبير الفائدة لذي اللب ، لا فيه من حسن الذكر الذي يخشع له القلب، واعلمه لم يشرع لئلا يترتب عليه الحرج الشديد بالتزامه واعتذر فعلمه على العدد الكثير كما لو أراد كل حاج أن يقف حيث وقف (ص) ولسد ذريعة الشرك اذ يخشى على ضعف العلم بالدين أن يغلو فيه فيجعل للرسول شركة في العبادة التي يتبع آثاره فيها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وانما ذلك بتوجيه الوجه واسلامه اليه وحده في العبادة ﴿ وداع الأمير وصفاته ﴾

علمت ان أمثل الاوقات لوداع الأمير ما بعد صلاة الجمعة فقصدت عقب الصلاة حجرته التي يصلي فيها وهي في جدار الحرم الجنوبي فألفيته جالساً في القسم الخارجي من الحجر وفي حضرته بعض الكبراء وفي مقدمتهم رئيس الوكلاء والشيخ محمد صالح الشبي الكبير رئيس مجلس الشيوخ، وكان معي السيد عبدالله الزواوي وكيل المجلس، وعلمنا انه كان في القسم الداخلي حيث صلوا الجمعة بحجته الشريف عبدالله وكيل الخارجية مع بعض الناس. فلما دخلت على الأمير تلقاني بالحفاوة والاكرام، فاستلمت يده لتقبيلها فحاول تواضعه التمتع من ذلك ، ولما جلسنا تفضل بكلمات من المجاملة كادت تذيبني خجلاً ، ونكتفي من كلامه بما دون الاطراء الذي تقتضي الحال حذفه وهو قوله موجهاً الخطاب للمحاضرين : هذا فلان ... صاحب المنار كماكم تعرفونه وتعرفون ماله من الفيرة والاخلاص والجهاد في خدمة الاسلام .. وهو قد جاءنا في هذا العام حاجاً .. وكنا نتمنى أن يبقى عندنا ولكنه صاحب عمل كبير في مصر وهو قد رأى وعرف كل شيء ، عندنا وظهر له اننا الى الآن لم نقف امام عتبة عمل من الاعمال (وكان ذكر في سياق حديثه ما ينوي من ضروب الاصلاح العلمي والعملي) التي لا بد لنا منها ، وأن همنا محصور في اخراج المتخلية من بلادنا ولا يتم ذلك الا بفتح المدينة المنورة ففى نعم لنا ذلك وأردنا البدء بالاصلاح الذي نبغيه فاننا نرجو من غيرته أن لا نمنعه أعماله في مصر من اجابتنا الى ما نطلبه من مماوته وارشاده ، وهو الآن يقدر أن يخدم حركتنا في مصر أكثر مما يخدمها هنا لو أقام بيننا

فلما أنتم كلامه شكرت له ما أراه مبالغة في حسن الظن والمجاملة ، وذكرت ان

هذا التواضع عن كمال الرفعة قد أخرجني حتى عقد لساني ولم يبق لي الا أن أقول
 إنني أعد نفسي كجندي صغير مستعد في كل آن لخدمة دينه وأمة بالاخلاص ،
 وأعاهدكم امام بيت الله تعالى على اني لا أدعى الى عمل أستطيعه في خدمتهما الا
 وأبذل فيه كل جهدي مادمت معتقدا أنه حق ، وانه لا يثني عن ذلك منفعة شخصية
 ولا أهل ولا ولد ، فأنني نشأت على العمل بما يوجبه علي اعتقادي ويطمنن اليه قلبي .
 ثم قمنا وتقدمت لوداعه ، ومحاولة تقبيل يده فأخذ بيدي وتوجه بي الى بيت الله عز وجل من
 حيث يرى من نافذة المكان وقال : أسأل رب هذا البيت ان يجمعنا ولا يجمع هذا
 آخر العهد بيننا . ثم ودعت الحاضر بن وانصرف حامدا شاكرا
صفات الامير وشماله

قد آن أن أذكر في هذه الرحلة بعض ما علمته واستنبطته من صفات هذا
 الامير الجليل ومزاياه التي يوافق ذكرها مقتضى الحال فأقول : انه حوى جل أخلاق ملوك
 الشرق وأمراة العظماء ، وانفرد بصفات ورثها من أجداده الشرفاء ، فمن ذلك قري
 الضيوف واجازة الوفود ، وعزة النفس والثقة بها والاعتماد عليها ، والثبات والاصرار على
 ما يأخذ به ويجري عليه فقد تنزّل الجبال دونه ولا يتزازل ، وشدة الحذر ، وسوء الظن
 الذي عد من أزكى الفطن ، حتى كان نصب عينيه قول الشاعر

وأما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل -

ولذلك تراه ينظر في كل شيء من شؤونه الخاصة ، وشؤون البلاد العامة ، حتى
 أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم ، ومصالح البدو وصلاتهم ، وقد
 أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامة النهار ولا يشكو مللا
 ولا تعباً ، وقد كلمته في مسألة الاشتغال بالجزئيات ووجوب نوطها ببعض العمال ،
 وجعل وقته الثمين خاصا بالمصالح العامة والامور الكلية ، ووضع نظام لذلك ، فقال
 ان هذا ضروري لا مندوحة عنه ونحن لا ننزل نجري على نظامنا القديم ، والتحول عنه الى
 غيره لا يتأتى الا في زمن غير قصير ، قلت نعم وإنما الغرض وضع النظام له والبدء فيه
 ومن أخلاقه وشماله توخي التواضع في القول والفعل ، مع المحافظة على الوقار
 واهبة الملك ، والادب العالي في مخاطبة المجلس ومجاملته ، مع الاشارة الى ما تقتضي

الحال من معارضته ، وهو على آدابه وتواضعه شديد الوطأة على المجرمين والمخالفين السياسيين ، يأخذهم بأشد العقاب الذي يرهب كل من تحدته نفسه بأن يعمل على شاكلتهم ، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، (ومنها) العفة والزهادة فهو مقتصد في نفسه بالطيبات ، عزوف النفس عن الانهماك في الشهوات ، (ومنها) الشجاعة والاقدام على مكافحة الاخطار ، لا يخاف الموت على نفسه ولا على ولده ، ولذلك جعل أنجاله الاربعة قوادا لجيوشه ، يكافحون المهالك بأيديهم ، ويناطحون الموت بنواصيهم ، وهو يحب وطنه (الحجاز) حبا عظيما ، ويكرم الحفاة المرأة من أعرابه تكريما ، وطالما نوهنا بما علمنا من براعته في سياستهم وحفظ الامن بينهم ، وقد رأينا به يقضي في مقابلتهم عدة ساعات من كل نهاره وهم يدمرون عليه بما اعتادوا من الحرية والاستقلال أما مآرفه وآراؤه في السياسة والامور الاجتماعية فليس الخوض فيها من مقتضى الحال في هذا الوقت ، ولم يكن يسهل العلم بتفصيلها من المذكرات القليلة التي دأرت بيدي وبيته وان كنت كانه فيها بحرية واستقلال قلما يكلمه بمثلها أحد ، لانه قليل الكلام لا يطيل المراجعة والحوار في المسائل ليعلم كنه غوره فيها ، ولكن الزمان سيبين كنه ذلك كله بما يظهر من تصرفه في شؤونها . وقد وقفت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية ولولا هذا اليأس لما أقدم على ما أقدم عليه ، كما أشرت الى ذلك في خطبتي السياسية بمنى بين يديه ، ثم انه كلمني في هذا الموضوع بعد النزول من منى ، وعده من الامور التي عبرت فيها بالخطبة عن رأيه قبل الوقوف عليه (ومنها) انه له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لا حد لها ، ولا سلطان لشيء عليهما ، (ومنها) ان ما شاهده من التطور والتحول في سياسة الدولة العثمانية وافضاء ذلك الى جعلها كالكرة في أيدي جمعية الاتحاد والترقي قد ضاعف ما في فطرته وتربته من كراهة الآراء والافكار التي نشأ عنها ذلك الفساد ، وشدة الجذر من أصحاب أمثال هذه الآراء والافكار ، وقد ذكرت في هذه الرحلة ما كان أعجبني ووافق رأبي من خطته السياسية التي أفصح عنها في منشوراته ، وأشرت الى ما طرأ بعد ذلك من التحول فيها فلا أعيد ، وانما أقول انه جاء موافقا لما ذكرت هنا من آرائه الراسخة فظهر ان التجارب لا تريد لها الا رسوخا وثباتا

واني أختم الكلام بتكرار الشكر والثناء على حسن ضيافته لي وإكرامه إياي،
 فقد غمرني بكرمه وجوده، وكان من دقة لطفه وكمال ذوقه في ذلك أن جملة بطريقة
 لا مجال للاعتذار عن قبول شيء منه، وقد كنت قلت أول مقدمي لبعض المقرين
 منه كلاماً عن عادي التي شرحتها في المنار عند رحلي إلى الهند، وهي أنني لا أقبل
 أن تشاب خدمتي للعلم والملة والامة بشيء من شوائب المنافع الشخصية، حتى أنني
 كنت أعلن في تلك الرحلة أنني لا أقبل الهدية.. ورجوت أن يتلطف في تبليغ ذلك
 وإن أدري أفعّل أم لا، ولكنني بعد شد الرحال وعند إرادة الركوب وصلت
 إلي جائزة منية، أوهدية هاشمية، أردت أن أكلم من جاء بها في شأنها فقال
 هكذا أمرت وأنا لا أعلم شيئاً إلا أنني هبت مأموراً مني سيدنا فنفذت أمره، وانصرف،
 فصجبت من هذا اللطف الدقيق، والذوق السليم،

طواف الوداع وتوديع الاخوان

في أثناء اشتغال وكيل الخرج وأهوانه بشد الرحال، طفت أنا ومن معي الأكل
 والصحب طواف الوداع، وكان ذلك بعد العصر، وكنا قصدنا أن نركب في
 ذلك الوقت، ولكن لم يتيسر لنا الركوب إلا بعد قرب غروب الشمس، وودعنا
 قبل الخروج كثير من الاخوان والمحبين، وركبنا مع بعض الاصدقاء
 مشبعين، وفي مقدمتهم السيد الزاوي الكبير ونجله السيد عبد الرحمن والشيخ
 حسين بإسلامه ومطوفنا ونجله، وخرج معهم الأخ الرفيق الشيخ خالد، أما سائر
 الرفاق والاهل فقد ركبوا في الشقادات من أول الامر، وأما أنا فركبت البغلة
 التي أرسلت إلي من الاصطبل الهاشمي مع اثنين حجاب الأمير مشيا أمامي
 بملايسهما الرسمية، حتى إذا ما خرجنا من مكة المكرمة وبلغنا المكان المعروف بقهوة
 المعلم - وقد ذكرناه في الكلام على دخولنا مكة حرسها الله تعالى - ألفينا هنالك
 صاحب السيادة الشريف شرف حاكم مكة (القائم مقام الأمير فيها) بالانتظار
 مع بعض رجاله وقد أنفذ للتوديع من قبل الخضره الهاشمية نائباً عنها، وعلمنا أنه
 خرج منذ وقت العصر لأنه هو الوقت الذي عين لخروجنا ولم يتيسر لنا الخروج فيه،
 ففزلنا وجلسنا معه قليلاً واعتذرنا له عن تأخيرنا وشكرنا له هذا الانتظار الطويل،

ثم صلينا المغرب مع المودعين جماعة وأتبعنا أنا والرفيقان بالعشاء مجموعة مهاجهم
تقديم ، ثم ودعنا السادة المشيخين ، وركبنا الرواحل وسرنا باسم الله قاطبين ، والحمد
لله رب العالمين

ذيل لمباحث الحج في الصدقات وفقراء الحرم

اتني عند توديع السيد الزاوي قلت له قد بقي ممي في الكيس خمسة عشر جنيا
انكليزيا من النقود المخصصة للصدقة في الحرم لم يتيسر لي اتفاقا فانا أوكلك في
في توزيعها على المستحقين ، من أهل الصلاح والمروءة المتفقين ، وأعطيته أياها
فأرسل الي بعد عودتي الى مصر ورقة فيها أسماء من صرفها لهم ، ومقدار ما أعطى
كلا منهم ، وعليها أختامهم . وبهذه المناسبة أقول كلمة في فقراء الحرم والصدقة فيه
وفي غيره وما يتعلق بذلك كبحت السؤال

ان الفقراء المتسولين أول من يستقبل الحاج قبل دخول مكة وآخر من
يشيعهم عند الخروج منها عائدين الى بلادهم ، وكذلك شأنهم عند الخروج من مكة
الى منى فمرفات وعند العودة من منى بعد انقضاء أيامها . وأكثر هؤلاء المتسولين
من صغار الصبيان والبنات ، يقل فيهم المراهقون والمراهقات ، فتراهم يحيطون
بالحجاج من كل جانب ، رافعين أيديهم الى مقدم المودع ، وألستهم تكرر الادعية
المناسبة للاوقات ، فيذكرون في أدعيتهم قبل دخول مكة وعند الخروج الى عرفة
أداء الحج وقبوله والمودة بالسلامة ، وبعد الحج زيارة النبي (ص) والوقوف بشباك
حجرته الطاهرة ، ومنهم من يربط كوزا من الزنك ونحوه بطرف خشبة كالمصا
ويرفعها حتى تكون بين يدي الراكب فيكون ما يوضع في كل كوز خالصا لحامله ،
وأما الصغار الذين لا يحملون هذه الكيزان فما يرضخ لهم برمي على الأرض فيستبقون
لا لتقاطعه فيكون حفظ النشيط القوي منهم أضعاف حظ الحامل والضعيف ،

السؤال محرم في الاسلام لا تبيحه الا الحاجة الشديدة أو الضرورة التي تبيح
كثيرا من المحظورات كاكل الميتة ولحم الخنزير ، لانه ذل يدعو اليه الكسل وحب
البطالة والالتكال على أوساخ الناس ، والضرورات عوارض تعرض لبعض الناس
أحيانا وهي تهدر بقدرها شرعا ، وليس من شأنها أن تكون ملازمة للكثيرين من

الأصحاء القادرين على الكسب بحيث تبيع لهم أن يحملوا السؤال حرفة يكون عليها مدار رزقهم، كما هو شأن أكثر السائلين في كل البلاد، بل يكون بعض هؤلاء غنيا شرعا تجب عليه الزكاة، وقد يتأهل السائمة والعقار، وإذا كان السؤال لغير ضرورة معصية محرمة وكانت الإعانة على المعصية معصية فعلى المسلم العارف بأحكام الإسلام أن لا يرضخ بشيء لمن يعلم من حاله أنه قد اتخذ السؤال حرفة له، ولا لمن يعلم أيضا أنه غير مضطر إلى ما يسأله، بأن كان يمكنه أن يستغني عنه، والمجهول حاله في ذلك موضع تردد ونظر، وأما من يعلم الإنسان أو يظن من حاله أنه يسأل عن ضرورة ولا غنى له عما يسأله ولا وصول له إليه بغير السؤال فلا مندوحة للواجد عن مواساته والرضوخ له من مال الله تعالى، وقد يصل ذلك إلى درجة الوجوب، كأن تعلم أن فلانا مضطر ولا يعلم بحاله أحد يرجى أن يزيل اضطرابه سواء أنت قادر على ذلك، ومثل هذه الصورة تقع للأفراد القليلين وقلا تقم للكثير من الناس إلا في أزمات المجاعات العامة

انني قلما أعطي أحدا من السائلين الكثيرين في الشوارع بمصر، ولما رأيت هؤلاء السائلين خارج مكة عند قدومي إليها - وأنا لم أنس ما كان بلغنا ونحن في مصر من خبر المسرة والضيق في الحجاز وما سمعته مؤكدا لذلك في جدة - وجدتني متدفعا لأعطاء كل من سألني، ولما نفذ ما كان في كيدي من الدراهم المعدة لنفقة الطريق من جدة إلى مكة أذنت الرفيق الذي صاحبني من جدة بأن يعطيني من يعلم أنه لم يأخذ مني ويحمي ما ينقذه لارده له بعد الاجتماع بالآل الذين كانوا يحملون نفقتنا في رحالهم. وكنت أردت أن أجري على هذه الطريقة مع السائلين في الحرم الشريف، ثم صدني عن ذلك أنهم صاروا يجتمعون علي بكثرة عند الدخول ويحيطون بي بحيث يتعذر توزيع ما في اليد أو الجيب عليهم فكنت أنثره على بعد فيتركونني ويتهاقون، عليه ثم تركت ذلك لما فيه من المشقة والشهرة ورأيت الراحة في الاخفاء. ولكن رفيقي محمد نجيب أفندي ظل يتحمل التعب والعناء في توزيع الصدقة هلى هؤلاء المسؤولين في داخل الحرم وخارجه وله صبر طويل على ذلك. ومن غريب ما رأينا من دلائل البؤس والجوع في الفقراء الملازمين للحرم أن بعض

الناس جاء بشي . من الحبوب لحام الحرم فاختطفوه وصار بعض السودانين من الدكرور يأخذون منه ويضعونه في أفواههم ويضمفونه متفذين به كالذواب . وقد جرينا نحن على عادة الناس بالرضخ بالقليل للواحد من هؤلاء المتسولين بحيث كان صرف الجنيه الواحد يوزع على المئثة أو المئآت منهم ، وأما تطيب النفس بما هو أكثر من ذلك للذين يتعرضون ولا يسألون ، والذين اذا سألوا يتجملون ولا يلحفون ، وأما ذكرنا هذا البحث وما وقع لنا من التجربة فيه ليستفيد منه غير العالم بما ذكرنا من الاحكام ، وغير الواقف على ما وقفنا عليه من التجارب ، ونسأل الله أن لا يجعل فيه شيئا من الرياء وشهوة الشهرة ، على أن صدقتا مما ينبغي أن يستحيا من ذكره ، فهي والحق يقال دون ما أنعم الله به علينا ، وما من أحد يمجج ايمانا واحتسابا الا ويتصدق في الحج بحسب سمته لان الاعمال الصالحة يضاعف أجرها في ذلك الزمان وذلك المكان ، ومنهم من ينفقون هنالك فوق جميع ما تملك من المال ، ولكن المتصدق العالم التلخص بمجد عنا عظيما في تحري المستحقين الصادقين ، من أهل الايمان واليقين ، والصلاح في الدين ، يجد هذا العناء في وطنه الذي يقيم فيه ، فكيف حاله في بلد يجهل حال أهليه ، وقد كثر الكفر والابتداع في الارض ، وظهر الفساد في البر والبحر ؟ وليس هذا محل شرح هذه المسألة بالاسباب ، وقد ألمنا بها من قبل في المنار

القفول من مكة الى جدة

انا لما ودعنا المشيعين الكرام وامتطينا الرواحل اخترت ان يكون محمد أفندي هو صاحب الجنب لي ، وان يركب وكيل الخرج مع الاستاذ الشيخ خالد ، وكان المناسب أن يركب الاستاذ معي لما بيننا من التعادل والتوازن في الجسم ، وطول الصحبة مع التوافق في التربية والرأي ، فإننا تمارفنا من أوائل المهد بمقدمي الى مصر ، ولا أزال أهدي اليه المنار من ذلك المهد الى اليوم ، ولا أرى منه الا الوفاق والثناء والشكر ، وإنما اخترت الفرق في الرواحل لثلاثة أسباب ترجع ما ذكرت من الجامعتين الجسمية والروحية بيننا (أحدها) ان في تفرقنا هدلا بين الراحطين في التخفيف عليهما ، لان تماردنا في الجسامة ، يقابله تعادل صاحبتنا في النعانة ، (ثانيها) ان كلا منا يحتاج الى خدمة رفيقه في الرحلة ، ومحمد أفندي يرغب في

خدمني لاني استاذ في الدين ، فلا يبقى لخدمة الاستاذ الا وكيل الخرج (ثالثها)
ان صاحبي أجدر بالاستفادة مني لانه اعتاد منذ كان تلميذا الرجوع الي في أمور دينه ،
فصرت لهلي بشؤونه أقدر على افادته وإفتائه في أمره ، وصاحب الاستاذ أجدر
بالاستفادة منه لانه ما قى مشتغلا بوعظ العوام وارشادهم ، وقد حيل بيني وبين
ذلك في مصر فلم يقع لي فيها الا مرارا قليلة في السنين الاولى من هجرتي ، وأما
في هذه السنين الاخيرة فلم يأخذ عني فيها الا بعض المدرسين وأذكياء طلاب
العلم ، وكان من لوازم هذه القسمة بيني وبين صديقي انني كنت أحسن حفظا
منه إذ كان صاحبي من الاتقياء المتعلمين في مدارس الحكومة حتى العالمة فيها ،
العارفين بأخلاق الناس وشؤونهم بطول اختباره وتجاربه في خدمة الحكومة المصرية ،
وصاحبه من العوام ، على انه كان يمكنه ان يستفيد من اختباره لشؤون الحجاز
وأصناف الحجاج ما لا يعرف الا من أمثاله المتمرسين بهذا الأمر

سرينا منفردين ليس معنا رفاق من المصريين ولا غيرهم ممن نعرف ، ولكننا
وجدنا في الطريق عددا ليس بقليل من حجاج المغاربة منهم المشاة والركبان ، وقد
بلغنا بحرة في وقت السحر فمررتنا فيها ،^(١) وكان الجوع قد بلغ منا لاننا لم نتمش
قبل خروجنا من مكة فأكلنا مما حملنا من الزاد ، وكان جله من لحم خروف أهداه الي
بعض المحبين لم نرمثله في طراوة لحمه ولينه ودسه ، لافي الحجاز ولا في غيره ، وهو ليس من
ضأن الحجاز . ثم نمنا قليلا إذ استيقظنا بعد طلوع الفجر فأدركنا صلاته بفضل الله تعالى
لم أر من بحرة في المامي بها لبلا قادم من جدة الى مكة الا ما على جانبي الطريق
العام من المنازل التي يسمونها القهاوي وهي خاصة بالرجال ، وأكثر من ينزل فيها
الرجال الذين لا يستغنون عما فيها من الطعام وشراب الشاي والقهوة وما يحتاجون
اليه من الخدمة ، أو الذين يريدون الاستراحة قليلا وان كان مهم كل ما يحتاجون
اليه ، وكنت حينئذ من هذا الفريق كما تقدم ، وفي هذه المرة نزلنا في المنازل التي
يسمونها العشش وهي وراء تلك القهوات ، وقد رأيتها فوق ما كنت أحسب — رأيتها
دورا في كل دار بيوت من الصيدان وبيت خلاء لها حائط منها يفصلها عن غيرها

(١) التمريس نزول المسافرين في آخر الليل للاستراحة

من الدور بحيث يكون النساء في كل منها في ستر تام غير معرضات لأعين أهل الدور المجاورة لها ، نزلت مع الوالدة والثبقة في دار ، ونزل رفاقنا في دار بجانبها ، ومكثنا هناك إلى ضحوة النهار ، وقد نفذ ما حملنا من مكة من الماء ، فجاءنا وكيل الحرج ، كدر غير عذب ، فسألناه ألا يوجد ماء بقي عذب في هذه الأرض ؟ قل بلى ولكنه قليل لا يكفي لملء ما معنا من أواني الشرب أقل من ريال ، فأمرناه بأن يأتينا بقدر الكفاية منه ، فجاءنا بماء لا يفضل الأول إلا بمضاعفة ثمنه ، فكانت هذه كبرى سيئاته ، جعلها خاتمة لخدمته ، فكانت سبب حرمانه مما كنت أنوي أن أجعله علاوة له على الأجرة لوافية التي خصصها له الأمير ، وما كان يصيبه كل يوم بعد كفايته وكفاية أهله من فضل النفقة المصينة ، وما أخذه من ذبايح نسكنا التي وكأته بالتصرف فيها ، وقد سبق له مثل هذه السيئة معنا بمضى ، جاءنا بماء كدر لولا أن تداركنا أنفسنا بالبحث عن ماء بقي وفقا له لما سلم أحد منا من مرض النزلة الشعبية التي ظهرت أعراضها في بعضنا ، ولكننا غفرنا له تلك . وأما هذه فلم نستطع تداركها ، وسوء الخاتمة لا يغفر ففسألته تعالى أن يحسن خاتمتنا .

هذا وأنا قد قاسينا من الظأ في بقية يومنا وعامة ليلتنا بين بحرة وجدة مالم نعرف له نظيرا في تاريخ حياتنا ، فكنا نبل أفواهنا من ذلك الماء عند الضرورة ، وحاولت الاستغناء عنه بمص رب السوس فلم يخن شيئا . وفي هذه الحالة تذكرت ما كنت عازما على استصحابه من مهر فأندابه الشيطان وهو السكر الليموني أي المزوج بحامض الليمون ، فأوصي كل مسافر إلى تلك البلاد وأمثالها أن يحمل معه شيئا منه وصلنا إلى جدة قبل الفجر فنزلنا في دار صديقنا الشيخ محمد أفندي نصيف وكيل الأمانة الجالبة وقد نمنا بعد صلاة الفجر ساعات قليلة ، وبعد الاستيقاظ طلبت ماء سخنا الاستحمام فافغتسلت وغبرت ثياب الطريق وعللنا أن أكثر الحاج المصريين نزلوا إلى السنتين اللتين جاءوا فيهما فبقيناهم وزودنا صديقنا بأحسن الزاد ، ونزل معنا هو وبعض الأصدقاء في زورق البلدية البخاري إلى سفينة التي جئنا فيها (النجيلة) مشيمين ، وكان هذا آخر عهدنا بأرض الحجاز ، ففسأل الله تعالى أن يمن علينا بالعودة إليها مرارا كثيرة حاجين ومعتربين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصائب الحرب

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

يشتغل بأعمال هذه الحرب — حرب المدينة — عشرات ألوف الألوف من الرجال ومئات الألوف من النساء كان أكثرهم يشتغل بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة فيكثرون من نتاج الأرض ، ومن إيصال حاج بعض الناس الى بعض ، فيعم به الرخاء وغضارة العيش ، ويزداد المال في أيدي الناس ، وقد قدر عدد قتلى المعارك في أربع سنين بعشرة آلاف وعدد المشوهين من الجراح بخمسة وعشرين أو ٣٠ ألف الف وحل محلهم مثلهم أو أكثر منهم ، فتضاعفت خسارة البشر بالحرمان من فوائد أعمالهم ، فنقصت الأموال والثمرات بنقص الأنفس ، ثم بهلاك الكثير منهما ومن الأنفس بحرب الفواصات التي ابتدعتها مبتدعة أكثر رزايا التدمير والتقتيل — ألمانية — فقد رقت صناعة هذه السفن الفواصة حتى صارت تحمل المدافع ، وتقطع نحت الماء ألوقا من الأميال والفراسخ ، وحيثما التقت بسفينة تحمل عروض التجارة ، أو تنقل الناس من بلد الى آخر ، أرسلت عليها وابلا من قذائف المدافع أو سهامها من الطوربيل ، فجعلتها كهصف مأكول ، لا تفرق بين سفن المحاربين وسفن الأمم التي على الحياد ، ولا بين حاملة الجنود وعدد الحرب وحاملة العروض وأهل السلم من الرجال والنساء والأولاد ، أرادت بذلك أن تحرم انكسار وأحلافها من ثمرات سيادة البحار ، بعد ان شدد هؤلاء عليها خناق الحصار ، فأدت الأمم كلها ، وأكثر من عدد أعدائها

كانت جوائح الفواصات سببا في اشتداد الضيق وامتداد الغلاء الفاحش الى جميع أقطار الأرض. وقد كان هذا القطر المصري في السنتين الأولى والثانية من سني الحرب أقل الاقطار غلاء وأكثرها رخاء لان أرضه زراعية خصبة يمكنها أن تنتج من الاقوات ما يزيد عن حاجة أهلها وكان المخزون فيه مما يرد اليه من الخارج كالقمح

الحجري والانسجة والمواد والادوات اللازمة للزراعة والصناعة كثيرا وثمنه معتدلا، وقد غلا ثمن القطن منذ السنة الثانية فربحت البلاد عشرات من الملايين قضت منها كثيرا من ديونها . فلما اشتد حرب القواصات قل كل ما يرد من الخارج وتضاعفت أمانه أضمافا ، وتبع ذلك غلاء غلات البلاد ومواردها حتى بلغ ثمن اردب القمح في الشتاء الماضي خمسة جنيهات ، ويبيع الآن الرطل المصري من السمن بأربعة عشر قرشا وخمسة عشر ، وبلغ ثمن أقة زيت الزيتون أربعين قرشا فصار مساويا للسمن بعد اشتداد غلاء السمن وكان قد زاد عنه ، الا أنه قد ورد منه أخيرا على الاسكندرية عدة قناطير من كريت فزل الثمن قليلا . ورطل اللحم البلدي يباع في القاهرة ثمانية أو تسعة قروش ، وأقة العنب بيعت بأربعة قروش وخمسة فسة ، وقس عليه سائر الفاكهة وقد سمرت الحكومة المصرية أكثر مواد الغذاء ، فكان تسميرها اياها مبيها لزيادة الغلاء ، ولم نر أهل هذه البلاد اتفقوا على مخالفة الحكومة وعدم الاكتراث لها بشي . كما فعلوا في تسمير الاقوات . فمن الثابت انها لم تنقص من ثمن شي . الا وزادوا فيه عما كانوا يبيعونه به قبل تسميرها اياه ، اللهم الا زيت البنرول فهو الذي استطاعت الحكومة أن تنفذ أمرها فيه تنفيذا مطردا . وقد كان ثمن رطل اللحم قبل تسميره ٦ قروش أو ٦ ونصف قرش فلما رفعت الحكومة الى هذا القدر ارتقى سعره كما علمت . وكان ثمن رطل السمن ٩ فصار بعد جعلها اياه نحو ١٠ من ذلك بزهاء ضعفه . وكان ثمن أقة زيت القطن المكرر كسمن رطل السمن فصار شأنه شأن السمن في التسمير والغلاء . وقس على ذلك سائر الاشياء وأما ما يرد الى القطر من الخارج فقد تضاعفت أمانه الى ما شاءت أطماع تجاره التي لا حد لها ، فتضاعف ربحهم وعظمت ثروتهم ، وكلما غلوا في الغلاء ، غلا أهل الفنع والأثراء في الشراء ، وقد بلغنا ان أغنى أم الأرض من الاوربيين والامريكيين ترك موسروها في أثناء هذه الحرب جميع ما يبعد في العرف من الكماليات ، واكتفى الاغنياء منهم بالحاجيات ، ومن دونهم بالضروريات ، حتى ترك أكثرهم شرب الخمر التي كان بعضهم يبعدها ضرورية ، وكسدت عندهم تجارة الترف والزينة ، وشذأ اغنياء هذا القطر ، فاشتد تباريحهم في اتخاذ الجملي والحلل ، وتنافسهم في الاثاث والرياش ، وأرهق من دونهم من أهل الطبقة الوسطى عسرا ، ففسأله تعالى أن يجعل لهم مع هذا العسر يسرا .

تقريظ المطبوعات الجديدة

ان الاضطرار الى تقليل صحائف المنار على كثرة مواده دون تقريظ المطبوعات الجديدة في هذه السنة وما قبلها ، أو التويه بذكرها للإعلام بها ، وذلك حق لأصحابها على من يهدونها اليهم من أصحاب الصحف الدورية حقه العرف ، وأوجبه التعاون على نشر العلم ، ولقراء هذه الصحف من الحق على أصحابها أن يعلموهم بما يتجدد في صناعة المطبوعات ، من الصحف والمصنفات ، ويبينوا لهم قيمتها المعنوية قبل بيان قيمتها المالية ، بالتقريظ الصحيح ، والنقد النزيه ، وأنا نحب أن تؤدي الحقيق ، ونقوم بواجب النصيح للفر يقين ، ولكن يتمدر علينا تارة ويتعسر تارة قراءة ما يهدي إلينا من هذه المطبوعات أو قراءة طائفة من كل منها ، تكفي لصحة الحكم في أمرها ، ولا نحب أن نكون كمن ينظر في فهرس الكتاب فيختار منه ما يظن أن فيه تقصيرا أو خطأ فيراجعه وينتقد منه ما يراه محلاً للانتقاد ، أو يختار موضعاً يوافق رأيه فيثقله ويخلصه بالثناء ، ولا كمن يثني على كل كتاب يهدي إليه ثناء مجحلاً ، أو ينشر ما يراه إليه صاحب الكتاب اطراء مفصلاً ، وخير من هذا وذلك أن يعرف صاحب الصحيفة بالكتاب تعريفاً تاريخياً يذكره وذكر اسمه واسم مؤلفه وموضوعه ووصف حجمه وورقه وطبعه ، وهو ما يجري عليه أحياناً ، وقد نزيد عليه بيان قيمته المعنوية أحياناً ، وإن من الكتب ما يعرف الجمهور قدره في الجملة بمجرد ذكره أو وصفه . وأنا نراجع الآن ما أهدى إلينا في هذه المدة ونذكر ما يقع في يدنا منه فيما بقي من أجزاء منار هذا المجلد

﴿ جرجي زيدان ١٨٦١ — ١٩١٤ ﴾ « ترجمة حياته ، مرآة الشعراء ، والكتاب حفلات التأبين ، أقوال الجرائد والمجلات في الرجل وآثاره » نشر هذا الكتاب اميل افندي زيدان نجل جرجي بك زيدان وورث الهلال من بعده مؤلفاً من ص ١٤٧ بحجم الهلال مطبوعاً بمطبعة الهلال في سنة ١٩١٥ وهذا الكتاب يستغن عن الوصف والتقريظ

﴿ مبادئ علم السياسة ﴾ كتاب لخصه سليم افندي عبد الاحد الكتاب

المشهور من بعض الكتب الانكليزية لمجلة الهلال فطبعته بمطبعها في سنة ١٩١٥ وجعلته ملحقاً للسنة الثالثة والمشرين من مجلة الهلال . وهو ثلاثة أقسام (أولها) في الدولة — حقيقتها ونشوتها وسلطانها وصلتها بغيرها وأنواع الدول في القديم والحديث (ثانيها) نظام الحكومة — سلطتها بأنواعها وأنظمتها وسياستها وإدارتها وأحزابها وغير ذلك (ثالثها) الحكومة والاجتماع ، وفيه ذكر المذاهب الفردية والاشتراكية والانظمة الحاضرة . أما حاجة اللغة العربية الى مثل هذا الكتاب فشديدة لكثرة القراء الذين يهتمون بالامور السياسية وقلة ما في اللغة من موادها . وأما طبع الكتاب فنظيف وورقه جيد ، وصفحاته ١٣٠ بشكل المنار والهلال

﴿ خلق المرأة ﴾ كتاب ألفه بالفرنسية هنري ماريون الذي كان أستاذاً في كلية الآداب بباريس وترجمه بالعربية اميل افندي زيدان صاحب الهلال وجعله ملحقاً للسنة السادسة والعشرين . وقد طالعتُه كله فألفت كاتبه من أعدل الكتاب لاوريين في هذا الموضوع ، وأرجو أن أكتب شيئاً في بيان ما استفدته منه ، وقد طبع بمطبعة الهلال طبعا حسنا ولكن على ورق غير جيد — والمذرة قلة الورق وكثرة الثمن — وصفحاته ١١٩

﴿ الصبي — بحث في الاخلاق والتربية في قالب روائي ﴾

كتاب الفته فتاة انكليزية اسمها (ماري كورلي) وعني بترجمته بالعربية عبد العزيز افندي صدقي من موظفي وزارة المعارف وانضم طبعه نجيب افندي مئري صاحب مطبعة المعارف وقد طبع الجزء الاول منه في العام الماضي في ١٢٨ صفحة أما المترجم فشاب نبيه يتوخى أن ينفع بلاده بما يترجم وليس ممن لاهم لهم من الترجمة أو التأليف الا الكسب فيختارون ما يلذ للجمهور لا ما ينفعه ، وعبارته حسنة ولكن فيها ما فيها من ضعف أساليب الجرائد وغلطها ، وذلك ما يعز أن يسلم منه كاتب عصري ، وهو على ما أظن غير مفرور بها على علمه بأنها تفضل عبارات أكثر مترجمي القصص التي تنشر في هذه الايام ، بل يحب الترقى والكمال في الترجمة والانشاء ، ولا طريق لذلك الا عرض ما يترجم وينشئ لنقد بعض علماء اللغة والادب ومتأنيي الكتاب قبل نشره أو بعده ولو بالجمل والجزء

وأما غرضه من ترجمة هذه القصة فقد بينه في مقدمتها وهو اكمال ما ينقص البلاد من القصص الجدية الجامعة بين اذة المطالعة والفائدة النافعة في تربية الاسرة، وقد شرح ذلك شرحا جويلا في صفحتين ونصف صفحة

تصفحت هذا الجزء فألفيته مفيدا كما قال المترجم ولكن البلاد ليست فارغة خالية من مثله كما ادعى ، كيف وقد طبع فيها كتاب (التربية الاستقلالية) مرتين وأوشكت نسخ الطبعة الاخيرة أن تنفذ ، وهو اذا قوبل بما ظهر من كتاب (الصبي) يظهر انه أهم فائدة وأفضل ، وأسلم من لغو القصص وأبعد ، ومما أعجبني من الفوائد التي انفرد بها كتاب الصبي أو خالف فيها غيره بيان كراهة الشرب الانكليزي لتعليم أولاده وتربيتهم في مدارس أجنبية. فان مؤلف كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) — وهو فرنسي — قد استحسن أن يربي الطفل الفرنسي في البلاد الانكليزية لان التربية فيها أفضل ، وأن يعلم ويربى في بلاده اذا صار يافعا ، لينشأ فرنسيا وطنيا صادقا ، ثم يكمل علومه في البلاد الالمانية ، لان العلوم المالية ترقى فيها وأكمل . وأما مؤلفة كتاب الصبي أو قصته فهي تقول في التعليم في المدارس الاجنبية ما قال مالك في الحمر ، وتجعلها أدهى من الساعة وأمر ، فقد ذكرت أن أم (الصبي) الجاهلة ، التي جعلتها مثلاً للتربية الفاسدة ، قد اختارت له مدرسة أجنبية ، تعلم فيها من اللغات والعلوم العقلية والجسمية ، ما يؤهلها لكل عمل في الحياة ، على قلة الاجرة والنفقات ، ثم ذكرت أن الصبي ارتاع لهذا الاختيار الذي يخرج به عن كونه انكليزيا « اذ كان وجدانه يحدثه أن المدارس الاجنبية تبدل جنسيته وأخلاقه » ثم قالت إن الصبي ذكر ذلك لشيخ كبير مخبر يعرف البلاد الاجنبية فحذره من ذلك وأنذره سوء عاقبته بقوله : إن المدارس الاجنبية لا تخرج انكليزيا مطلقا ، انك تذهب الى الخارج شابا ظريفا مؤدبا كما أنت الآن ، ولكنك لا تعود بتلك الصفات ، ستعود وقد تعلمت الكذب والنفاق والخدعة ، فعند ما تتحدث تهق كالحمير ، وعند ما تسير تفقر كالضفادع ، وسوف نخاف من الماء البارد . ولا يمكن الفاظر الى وجهك أن يقول انك انسان حي ، انك أجنبي متسخ حقير ، هذا ما ستكونه . اهـ



وَقَدْ بَيَّنَّا
الْحِكْمَةَ مِنْ بَنَاءِ وَمِنْ بَنَاءِ الْحِكْمَةِ فَقَدْ
غَبَرَ كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَبَارِ

الْمَجْدُ
١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَوَّلُ الْأَبَارِ

سَمِعَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صَوِي وَ « مَنَارًا » كَنَارِ الطَّرِيقِ

٣٥ شوال ١٣٣٦ — ١٤ الأسد (ص ٢) ١٢٩٦ هـ ش ٧ يوليو ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (١)

لما وصل اليانا هذا النقد في بريد الشرق الأقصى كان أول ما خطر في بالنا قبل أن نقرأه أنه يجب علينا اذا وجدناه كله أو جله صحيحاً أن نشهد لصديقنا الناقد بالتدقيق والتحقيق وانه برز فيهما علماء مصر وغير مصر من البلاد الاسلامية التي اطام كثير من علمائها على كتاب (ذكرى المولد النبوي) فلم يروا فيه بعض مآراه هو من الخطأ، ثم قرأنا النقد فرأينا أ كثره خطأ محضاً، وأقله ماله وجه أو شبهة، وهانحن أولاً نبين ذلك بما يحتمله المقام من التفصيل، مع اتقاء ما يمل من التطويل

(الموضع الاول - تأليف الكتاب هل هو بدعة)

قد غفل الناقد عما حررناه في المقدمة من كون البدعة في احتفال المولد انما هي مجموع ما يعمل به الناس من خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو - الخ ما ذكر في صفحة بي من المقدمة، وقد صرحنا فيها بأن قراءة قصة المولد هبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية لا ينكر منها الا جعلها من الشماثر الدينية الموهمة انما مشروعة أي بالتوقيت والاجتماع وغير ذلك. فغفل عن ذلك وجعل هذا العمل العلمي المفرد، عين ذلك المجموع المركب، ومن العجيب انه ادعى اننا ختمنا كل فصل من ذكرى المولد بمآماه الصلاة البتراء، غافلاً عن كون أهم فصوله وهو فصل تبليغ الدعوة لم يختم بصلاة بتراء ولا غير بتراء، وكذلك فصل مناهضة الدعوة، والجلاء الرسول (ص) الى الهجرة، ومثلها الخاتمة

أما قولي في آخر تلك الصفحة انني كنت اتهمى كتابة قصة للمولد لما ذكرت من الاسباب الثلاث فهو حكاية عن رأيي في هذه المسألة في السنين الخالية، وأما (١) بحسن أن يراجع النقد في الجزء الثامن عند كل موضع من المواضع

ما أنفذته إثر ما كان من المذاكرة بيني وبين البكري فهو ما ترجح عندي بعد ذلك وهو كتابة مصنف وجيز في خلاصة تاريخ المصطفى (ص) وسيرته، وحقيقة دعوته، وكتابات دينه وشريعته، يكون دعوة إلى الإسلام، وردًا لما فشا في قصص الموالد من الأباطيل والأوهام، وأن أنشره مع بيان ما به تكون قراءته فريضة أو فضيلة محمودة، وما يكون به بدعة مذمومة، فتكون بذلك فوائد نشره مضاعفة، وأني أعتقد أن هذا العمل واجب شرعا ولو فصلت أداتي على ذلك لما خفيت على أحد ولكن لأحاجة إلى هذا التفصيل

على أن آخر عبارة الناقد لهذا الموضع تفيد إجازة هذا التأليف ونشره في المنار، إذ حصرت النقد في طبعه منفردا وختم فصوله بالصلاة البراء، ويهني بها ما ترك فيها الصلاة على الآل، لانه فيما يظهر ينكر ذلك ويراه بدعة محظورة، ويلتزم قرن الصلاة على النبي (ص) بالصلاة على الآل ولو فيما ينقله عن غيره كما يراه قراء نقده فيما نقله عن ذكرى المولده وهذا من التحريف في النقل ولا يخفى حكمه. ونحن لا نكر أن الصلاة على الآل تبعاً للصلاة على النبي (ص) مشروعة في الصلاة وكذلك في خارجها، ونحن نفعلها في التشهد من الصلوات دائماً وفي غيره أحيانا، ولم يقم عندنا دليل على التزامها ولم يصح عندنا نقل عن السلف من الصحابة وعلماء التابعين ولا أئمة آل البيت بذلك، وإنما تلزمها فرقة الشيعة وقليل من غيرها، والتزامها أقرب إلى البدعة من تركه، لأن الأصل في البدعة مخالفة ما كان عليه أهل الصدر الأول بشرطه، وأما طبع الكتاب وحده فهو كطبعه في المنار، والناقد نفسه يقترح أن يطبع مرة أخرى يراعى فيها ما رأى تنقيحه في نقده كما تقدم آنفاً

(الموضع الثاني - الفرق بين الامتياز وما به الاصطفا)

سألنا في الكتاب: كيف كان اصطفا الله تعالى لملك البطون من العرب، وهم امتازوا على غيرهم حتى كانت أمتهم بهم أفضل الأمم، وأشد استعدادا لذلك الإصلاح الكامل العام، الذي جاء به صفوة البشر منهم عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وأجبنا عن ذلك بما شهدت به التراويخ العامة من امتياز الأمة العربية على سائر الأمم من بدء التاريخ إلى عصر الإصلاح الأعظم بالبعثة المحمدية، وبما عرف في تاريخ العرب

أنفسهم من امتياز كنانة فيهم وامتياز قریش في آل كنانة وامتياز بني هاشم في قریش - فعلم بهذا أن اصطفااء كل بطن منهم كان بما امتاز به من المزايا والصفات والاحوال التي كان عليها ، وأن ذلك كان إحداداً لهم ، لجعل صفوة الاصفياء في غير بطن منهم ، ولقيامهم بدعوته ، ونشرهم لهدايتة ، ولم يتأمل الناقد ذلك فوقع فيما وقع فيه مما لم يخطر لغيره من الكتاب وعلماء اللغة عندنا ببال ، إذ لم يفتن لكون ما به الامتياز هو سبب الاصطفااء أو نفس الاصطفااء .

(الموضع الثالث - انكار عطف واقتراح آخر)

أنكر الناقد علينا في جملة « كانت الامم مرهقة بالاثرة والانانية والانيين من ثقل الضرائب » من الصفحة الخامسة ان عطف الانين على الاثرة غير صحيح أو غير واضح واقترح حذفه أو وضع فعل الانين المضارع موضع المصدر ، قال ليصح العطف أو ليكون أوضح ، ونقول ان لانكاره دون اقتراحه وجهاً وجيهاً ولكنه لم يبينه ، وهو ان الباء في قولنا « بالاثرة » للسببية أو الآلة وكل من الاثرة والانانية سبب للرهق الذي أرهقته تلك الامم أو آلة له ، وأما الانين فهو أثر السبب أو الآلة وليس منه ، والوجه ان يقال « تأن » بغير عطف

(الموضع الرابع - أما وجوابها)

بيننا وجوه اصطفااء كنانة وقریش وبني هاشم على غيرهم من العرب بأصلوب أما وأما - فانكر الناقد ذلك في كنانة بجمله هنا خلاف الاولى ، زاعماً ان الاولى حذف أما وجوابها ، وبدء الكلام هكذا : اصطفااء الله لكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب الخ ولم يبين وجه هذه الاولوية فندعها الى القراء يحكمون فيها بعلمهم وذوقهم (الموضع الخامس - ندوة قریش ورايتها « العقاب »)

زعم الناقد اننا في هامش الصفحة الثامنة فسرنا الندوة بالشورى وخصصناها باباجالة الرأي للائتمار بالنبي (ص) بعد البعثة ، وان المعروف ما ذكرناه عنها في طلب الكتاب ، وقد فهم ذلك من قولنا « التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار به (ص) » ويريحني أن وصفها بذلك لا يدل على ما فهمه من التخصيص وانما تلك غفلة ظاهرة منه وأما انكاره قولنا ان العقاب راية قریش وقوله ان المعروف انها راية النبي

(ص) كما في القاموس، فما كان له ان يرسله بدون مراجعة لكتب التاريخ والحديث
اذ كلمة القاموس وحدها لا تكفي للفصل في مثل هذه المسألة وهو يعلم ان ما في
القاموس مشهور لا يعرف عامة الناس غيره لذكره في السيرة النبوية، وأشعار الشعراء
يقول صاحب الحمزية

فقدنا ناظرا يعني عقاب في غزاة لها العقاب لواء

فكان ينبغي له - والامر ما ذكرنا - ان يقول ان مجي هذه العبارة من
صاحب النار على خلاف المشهور لا بد له من أصل، ثم يراجع عمله يقف على هذا
الأصل ويحكم فيه حكمه .

أشهر معاني العقاب (بضم العين) أنه طائر من الجوارح التي تصيد (ومنها) الحرب
تقله في اللسان عن كراع (ومنها) العلم الضخم تقله الجمهور قل في اللسان والعقاب الذي
يعتد للولاة شبه بالعقاب الطائر وهي مؤنة أيضا ، ونقل صاحب المقد الفريد في
كتاب النسب عن ابن المنذر هشام بن محمد السائب السكابي أن الدين انتهى اليهم
الشرف من قر يش فوصلهم بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن كان لكل منهم
منصب ومكرمة من المكارم التي كانت لقر يش - وهي التي ذكرناها في الصفحة ٨ -
قل : فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب بسقي الجميع في الجاهلية وبقي له ذلك
في الاسلام، ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قر يش وإذا
كانت عند أحد أخرجها إذا حبت للحرب فإذا اجتمعت قر يش على أحد أعطوه
العقاب وإذا لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه اه المراد منه .

ويؤخذ من كلام علماء التاريخ والاعاديات أن طائر العقاب شعار قديم للعرب وقد
عبر بعضهم عنه بالصقر وإنما الصقر في اللغة اسم لكل ما يصيد من جوارح الطير فالظاهر
ان قر يش اسم راية الحرب الكبرى بالعقاب من ذلك . أما كون رايته (ص) تسمى
العقاب فلم يثبت في حديث صحيح ، ويحتمل أن يكون سبب هذا القول ان بعضهم
أطلق هذا اللفظ على رايته الكبرى بمعناه اللغوي العام الذي هو العلم الضخم ففهم
آخرون من لاطلاق ان العقاب اسم علم لها ، وقد تلخص الخافض ابن حجر في شرح
(باب ما قبل في لواء النبي (ص)) من صحيح البخاري ماورد في كتب السنة في

ذلك وحكى هذا القول بصيغة النمر يض والتضعيف . وقد رأينا أن نذكر عبارته برمتها لأنها فصل الخطاب في مسألة هذا الباب قل :

« اللواء بكسر اللام والمد هي الراية ويسمى أيضاً العلم وكان الاصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربي : اللواء غير الراية ، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح . وقيل اللواء دون الراية . وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وجنح الترمذي الى التفرقة فترجم بالالوية وأورد حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولوائه أبيض . ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نمرة وحديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولوائه أبيض أخرجه الترمذي وابن ماجه وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضاً ومثله لابن عدي من حديث أبي هريرة ولابي يعلى من حديث بريدة، وروى أبو داود من طريق سماك عن رجل من قومه عن آخر منهم : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء ، ويجمع بينهما باختلاف الاوقات . وروى أبو يعلى عن أنس رفته « ان الله أكرم أمي بالالوية » واسناده ضعيف، ولابي الشيخ من حديث ابن عباس كان مكتوباً على رايته لا اله الا الله محمد رسول الله وسنده واه . وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الراية البيضاء وربما جعل فيها شيء أسود » ام (الموضع السادس — توجيه قوى قریش لمعاداته «ص»)

أنكر الناقد قولنا في الصفحة الثامنة ان قوى قریش المنوية وجهت كلها لمعاداته (ص) بأنها مشعرة بغاية الهجو وموهمة أن جميع قریش وجهوا جميع قواهم لمقاومته (ص) وبأن هذا مخالف للسياق والواقع ، ثم نوه بفضل قریش بما نوه به

ونقول في الجواب (أولاً) ان ما يتضمنه الكلام من هجو فهو خاص بجاهلية قریش التي ذمها الله ورسوله والمؤمنون ، فقد فعلوا ما فعلوا وهم مشركون ، وما زال أكثرهم مشركين أكثر مدة البعثة ، وما صاروا يدخلون في الاسلام أفواجا لا بعد فتح مكة ، ويأس من بقي من زعمائهم بعد الحرب من الرئاسة ، وأي جرم أجدر بالقم والهجو

• • • مع مادة قریش للنبي أولا ونهوضهم بالاسلام أخيرا [المنار : ج ٩ ص ٢٠]

مما فعلوا من إيذاء الله ورسوله وفتنة المؤمنين وإخراجهم من ديارهم وقتالهم في دار هجرتهم، وذلك لا يقتضي ذم المؤمنين منهم ولو بعد الإيذاء، فقد كان خالد بن الوليد أشد كآتهم نكاية في قتال المسلمين، ثم صار أشدهم نكاية وبلاء في قتال أعدائهم الكافرين، (وثانياً) إن ما كان من كفر أكثرهم وإيذائهم لا ينافي ما ذكرنا من استعداد جمهورهم للاسلام بما ذكرنا من مزاياهم، فإن سبب الكفر والإيذاء كبيره، الرؤساء المعروفين وحيلوا بينهم بين الرسول وبين الجمهور وتقليد الدهماء واتباعهم لهم، ولذلك كان صالح الحديبية فتحاً مبيناً بظهور ذلك الاستعداد فيهم وفي غيرهم من العرب عند ما صاروا يجتمعون بالمسلمين ويسمفون منهم القرآن وصفة الاسلام كما بينا ذلك في ص ٣٩ و ٤٠ من ذكرى المولد، ومن الدلائل على هذا حديث جابر مرفوعاً عند أحمد ومسلم «الناس تبع قریش في الخير والشر» وحديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري «خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا» (وثالثاً) ان العبارة لا تدل بطريق الحقيقة ولا المجاز ولا السكينة على ان جميع أفراد قریش وجهوا جميع قواهم لمعاداته (ص) وإنما هي صريحة في توجيه قوى القوم المعنوية التي هي جأهم ومكائهم الدينية والادبية في العرب الى مقاومته (ص) وإنما تكون هذه القوى للهيئة الاجتماعية والجمهور الاعظم الذي يمثله الزعماء، وهذا هو الذي حصل فلا مجال فيه للجدال والمراء، ولم يكن الذين آمنوا به (ص) من قریش قبل الهجرة بقادرين على حماية الدعوة، ولا حماية الرسول وضملاء المؤمنين من الاذى والفتنة، بل كان أكثرهم محتاجاً الى من يحميه ويحميه من جمهور قریش أصحاب الجاه والقوة والعظمة،

وقد أراد الناقد ان يكثر عدد السابقين الاولين من قریش الى الاسلام، ونصر الرسول عليه افضل الصلاة والسلام، فجعلهم ثلاثة أزواج : (١) السابقون الى الاسلام مع اخفائهم ومثل له أبي طالب، وقد ثبت في حديث الصحيحين ان أبا طالب مات على شركه وأنه أدنى أهل النار عذاباً لدقائه عن الرسول (ص) وحياطته له وإن كان يباعث القرابة والمصيبة، و (٢) السابقون المتحملون لمشاق التعذيب ومثل له آل ياسر ولسوا من قریش وانما هم غنسيون من اليمن، ولم يذكرهم بما كانوا يقاسونه من تعذيب قریش لهم، وعجز جميع المؤمنين عن اغاثتهم والدفع عنهم، حتى ان

النبي (ص) كان يجرهم فيقول «صبرا يا آل ياسر موعدكم الجنة» و(ص) السابقون
القائمون بنصرته ونشر دعوته (قال) كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم، وتمثيله بذكر
هؤلاء صحيح ولكنهم كانوا عدد اقليل لم يقدروا على حماية أنفسهم وحماية الدعوة بل أخرجهم
جمهور قريش القوي مع الرسول (ص) وسائر المؤمنين من ديارهم بغير حق كما شهد الله
تعالى في سورة الانفال والحج والفتح والمتحنة وما ذكره من فضائل قريش في تقده هذه العبارة
من حق وباطل مودون ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة بحق، ولا تناقشه الا في قوله ان
الاسلام ما اعتز ودخل في طور القوة والمدة الا بعد اسلام من تأخر منهم، ففيه نظر، بل هو
غلط، فان الاسلام قد اعتز وقوي بدخول الانصار فيه وان كان فضل السابقين الاولين من
المهاجرين على الانصار مروقاً لا ينكر، في كونهم الاساس الاول والركن الاعظم، ولكن
أخانا الناقد الفاضل أحد أفراد عصبية جديدة ذات نزعة عصبية للعلويين من قريش،
وبهذه النزعة استصغره المستكبر واستعظمه جاهل المطلعين على ذكرى المولد النبوي من
فضائل قريش عامة والعلويين منهم خاصة بحق، وانا في هذه العصبية كلام نقوله بعد
ثم اننا نبرأ الى الله مما نقله عن الزمزمي في همز يته وهو زعمه أن قريش لم تبطل
بالايمان بغضا وجفاء بل امتنوا من تولى الرسول (ص) لثلايشك فيه من يرى نصر
القرباء له، بل أخروا ذلك الى أن تولى الله نصر دينه فلما كان ذلك دخلوا فيه وصاروا رؤساء
له، فهذا الزعم مخالف لما علم بالضرورة من الكتاب والسنة وكتب السيرة النبوية كلها،
فالظاهر منه ان الناظم يريد ان السواد الاعظم من قريش آمنوا بالنبي (ص) باطنا
وكتبوا اسلامهم لعلهم بأن الله سينصر رسوله ويعز دينه بغير سبب ولا أحد من المؤمنين
من غيرهم) اذ الظاهر أن هذا الرجل وأمثاله ينكرون فضل الانصار الثابت بشهادة الله
ورسوله لهم بالأيواء والنصر أو يصغرونه أو يخفونه) فأحبوا أن لا يكون اظهارهم للاسلام
شبهة على نصره بالخوارق فأخروه لذلك؟ وماذا يقول في الايداء والفتنة قبل الهجرة
وفي سبهم من مكة الى المدينة لاجل قتال النبي (ص) والمؤمنين بعدها؟

هذا وانا ننوي تنقيح عبارات من كتاب (ذكرى المولد النبوي) عند إعادة
طبعه منها الإشارة في هذه العبارة التي نرد نقد الناقد لها، نريد أن نحدد فيها ونقول «ولكن
قواها (أو قوى قريش) كلها وجهت لمعاداته عليه أفضل الصلاة والسلام» بدل «ولكن

هذه القوى كلها فان هذه الاشارة وقعت بعد كلام ليس مراداً منها، والناقد لم يلمح ذلك (الموضع السابع — بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة)

قلنا في الصفحة العاشرة في بيان فذلكة ما امتاز به بنو هاشم آل الرسول (ص) على سائر قومه من تربيته: ان جملة ذلك الاخلاق العلية والفواضل العملية والفضائل النفسية، والبعد عن الاثرة والامور الحربية، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام.. فرد علينا الناقد بقوله: لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده، واستدل على الاول بما كان من المناصب الحربية لهريش قبل الاسلام وبما ذكرنا من امتياز كنانة ومالك وقصي في العرب، وعلى الثاني بحمل الآل لالوية القتال وقيادة الجيوش في بدر وأحد وخيبر وحنين الخ

وأقول في الجواب اني أجل الناقد الفاضل من ان يكون سوء الفهم، هو الحامل له على هذا النقد، كما يتبادر الى كل من قرأه وقرأ الاصل، وأكد أجزم بأن سببه نزعة المصيبة التي أشرت اليها آفا، فهي التي ألقت الى وهمه أن العبارة تدل بمحملتها على عدم استبعاد آل البيت النبوي عليهم السلام للرياسة والملك، وما يلزمهما من أمور الحرب، فأراد أن يرد على ذلك تفهمل عن أصل العبارة وعن معنى الآل، وأخذ يستدل على اصالتهم في الامور الحربية وهمايتهم بأمرها، بما كان لغيرهم من قریش من مناصبها، وبما كان من الرياسة والملك لبعض أصول قریش وأجدادهم كمالك بن النضر وكنانة، ولم يكن لبني هاشم من تلك المناصب ولرياسات التي ذكرها شيء، انما كانت لهم سقاية الحاج فحسب، وكان يتولاها العباس، الذي لا بعده الناقد ولا ذريته من الآل، أعني الذين وردت الاحاديث في فضلهم ونهريم الصدقة عليهم، فأما الندوة والهواء، فكانت لبني عبد الدار، وقيل ان الندوة والمشورة كانت لبني أسد، وأما السفارة فكانت لبني عدي وتولاها قبل الاسلام هرب بن الخطاب (رض) وتفسير هذه المناصب يعلم من هامش ص ١٠ من ذكرى المولد ثم انه فخل من جعلنا امتياز بني هاشم بالاخلاق والفضائل دون الحرب، وحب الاثرة والكبر، هبة لقلبة غيرهم إياهم على الرياسة الدنيوية حتى بعد الاسلام، ولم ينهم نكتة هذه الغاية « حتى بعد الاسلام » والمراد منها ظاهر وهو ان الاسلام زاد

في امتيازهم وتفضيلهم ، فكان مقتضى ذلك أن يقدموا على غيرهم ، في كل ما يساؤون غيرهم في الاستعداد له ، ونهبنا الى حكمة ذلك . وهذا الغالب يصدق ولو لم يكن الا لبني أمية ، اذ المباراة لا تدل على انهم يغلبون في كل زمان وكل مكان ، على اتهم ظبوا في أكثر الازمنة والامكنة ، هذا هو الواقع الذي لامرأ فيه .

على انني اطلقت ضمير آل في قولي « غلبوا » ولم يكن لاحد منهم صورة في ذهني الا امويين وما كان من زهد أثبتهم في الدنيا ورياستها ، وما قابل ذلك من أثره غيرهم وتكاليهم عليه . وظلمهم إياهم ، لتعق القلوب بهم ، فأطلقت العام وأنا أريد منه التفاضل ، والمباراة صادقة في كل حال ، لا تنقضها خلافة العباسيين من الهاشمين الذين لا بعدهم . ان قد من آل الرسول

ثم ان نفي الجمل العنابة بأمور الحرب من مزاياني هاشم التي فضلوا بها صائر قريش لا يقتضي أن يكونوا جبناء يفرون منها ، أو بلداء لا يحسنون التصرف فيها ، اذ هم اضطروا اليها ، فالجرب في نفسها شر ، لا يبيحه الا جعله دافعاً لفسدة هي شر منه ، واقامة مصلحة تصفر في جانبها هذه المفسدة ، كما يعلم من أول ما نزل في الاذن للمؤمنين في القتال ، وذلك قوله تعالى في سورة الحج (٣٧: ٢٢) اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٣٨ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله ان ينصره ان الله اقوي عزيز (٤٢) الذين ان مكناهم في الارض أقوموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . والله عاقبة الامور) فبنو هاشم لم يكونوا يحبون الحرب للرياسة والكسب ، كغيرهم من العرب وغير العرب ، ولم يوقدوا لذلك نار حرب قط ، وقد كانت حرب الرسول (ص) كلها دفاعاً عن الحق وأهله ، وتأميناً لحرية الدين ودعوته ، ولكنه كان أشجع الناس وأثبتهم في مواقف القتال ، ويليهِ (ص) في ذلك عمه حمزة وابن عمه علي المرتضى (رضي الله عنهما) والشجعان من بني هاشم لا يحصون عدداً ، ولكن الشجاعة شيء . وحب الحرب للرياسة شيء آخر ، وفي كلامه هنا ما أخذ أخرى سيعلم بعضها من الرد على بعض المواضع الآتية ، على انه لا غرض لنا في مناقشته في كل ما أخطأ فيه .

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٢

﴿ قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية ﴾

كان من أمر الحكومة المصرية بعد اعلان انكسار حمايتها عليها، وإلغائها منصب القاضي الشرعي الأكبر الذي كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها، أنها شرعت في أمر كان انفاذه في أيام ذلك القاضي متمذرا، وهو تأليف لجنة من علماء الأزهر وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحقانية لوضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة، تستمد مواده من فقه المذاهب الأربعة المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده، بل يجعل القانون الذي كان وضعه قديري باشا الحنفي هو الأصل، ويؤخذ من فقه المذاهب الأخرى ما تراه اللجنة أيسر وأكثر انطباقاً على مصلحة الناس في هذا العصر. وطالما تمنى طلاب الإصلاح في هذا القطر وغيره مثل هذا التيسير، ولكن ما جرت عليه الحكومة المصرية منتقد من وجوه أخرى بينها في مقال لم يتيسر لنا نشره، وقد كشفنا ببعض أولي الشأن، وأهمها جعل الأحكام الشرعية قانوناً وما يترتب على ذلك، فالقانون إذا أطلق في هذا المقام ينصرف في العرف إلى ما يقابل الشرع من الأحكام، ويتوقف الحكم به على إقرار مجالس الوزراء إياه، وصدور أمر الحاكم العام (الذكر يتو أو المرسوم السلطاني) به، ويلزم من ذلك جملة تشريعات جديدة من هذه الحكومة يحكم به باسمها على أنها هي الواضحة له، وينفذه وزير من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلماً، وكون القضاء يطبقون الحكم على ما يفهمون من أصوله وإن كانت سقيمة لا تدل على ما قصدته اللجنة دلالة واضحة (قد اطلعنا على بعض ما وضع من هذا القانون فوجدنا فيه عبارات كثيرة في غاية الضعف والركاكة) وكونه سيشرح كما شرح غيره من القوانين قد تنبسط الأحكام من عبارته (النص الحرفي) فيستعين بشرحه القضاء وكلاء الدعاوي على فهم المراد منه والعمل بما يفهمون من ذلك، ولما كنت منتقدا لهذا الوضع بهذه الصورة لم أبين

رأيت في مواده عند ما أرسل إلى وزير الحقانية الجزء الأول الذي تم منه كما أرسله إلى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين من شرعيين وأهلين ، لأن إبداء الرأي في ذلك يتضمن إقرار أصل العمل والموافقة عليه ، واست مقارله ولا موافقاً وقد انتقد كثير من أهل العلم بعض مواد هذا القانون في الجرائد واقترح بعض من أرسل إليهم ما تم منه اقتراحات عرضت على اللجنة العلمية المشتغلة بوضعه، وعلمت أن بعض المحامين الأهلين اقترحوا على وزير الحقانية اغتنام هذه الفرصة لإبطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق بنحو ما كان اقترحه قاسم بك أمين فيما كتبه في المسألة التي يسمونها تحرير المرأة ، وإن أدري أعرضت أمثال هذه الاقتراحات على اللجنة أم التزمت الوزارة عرض ما هو منصوص في كتب المذاهب الأربعة ؟ وقد كتب بحث المتفرنجين وخاصة علماء الحقوق منهم في مسألة قانون الأحكام الشخصية، وحديثهم في وجوب جعله مطابقاً لآراء الذين يسمونهم الفئة الراقية - يعني المتفرنجية - وقد عني هذه المسألة أحمد أفندي صنوت وكيل نيابة (الدلتجات) فألف فيها رسالة خرج فيها عن الموضوع إلى ما هو أعم منه وأكبر ، وأهم وأخطر ، وهو نسخ نصوص الشريعة الإسلامية كلها وإبطال قواعدها وأصولها التي هي موضوع علم أصول الفقه، ووضع أصول أخرى لها براها الواضع مرقية لهذه الأمة الإسلامية من حضيض المهينة القديمة التي كان عليها سلف المسلمين وخلفهم بزعمه وروحه، إلى قمة الترفق المدني الجديد الذي صعدت إليه الأمة المصرية أو الفئة الراقية منها، التي يجب عنده أو ينتظر أن يقبها غيرها. وقد ألقى هذه الرسالة بصفة خطبة - أو محاضرة كاسماها - على جمهور كبير من هذه الفئة بقاعة المحامين بالاسكندرية (في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي الفلوت بك سلامة. ثم طبعت ووزعت على الناس، وألقي إلى نسخة منها، فوجب علي الرد عليها شرعاً، وذلك ما رغب ويرغب فيه كثير من محسني الظن بي كما بينت ذلك في مقالة الجزء الذي قبل هذا أن مواضع النقد والبعث في هذه الرسالة (أو المحاضرة) ثلاثة أهمها. القواعد الجديدة التي وضعها هذا الباحث لنسخ الشريعة الإسلامية بهدم أصولها القديمة كلها. ويليه المسائل المراد إصلاحها من قانون الأحكام الشخصية وهي أربعة ذكرها بمجمل في ص ٥ (١) حرية المتعاقدين ولزومية العقد على الطرفين (٢) عدم التناقص مع قاعدة الحرية

الشخصية المقررة في قانون العقوبات (٣) رسمية عقد الزواج والطلاق (٤) تسهيل اجراءات الدعوى . وبيلي هذين مسائل متفرقة في موضوع الترقى الذي يدعيه هو وأمثاله ، ويطلب تغيير أصول الشريعة وفروعها لاجله . ونبدأ بالاول الالم فنبين رأيه في أصول الشريعة وقواعده التي وضعها لفسخ وتبطلها بقدها العلمى الشرعى فنقول:

أصول الشريعة ورأيه فيها

قال في أول الصفحة ٢١ ما نصه: « أصول الشريعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس. (أما القياس) فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الأصول الأخرى » يعني أنهم سيقيدون على الأصول التي يشترعونها بأنفسهم بناء على أن لهم حق التشريع في الأحكام الشخصية كالأحكام المدنية والعقوباتية التي تشرع الحكومة فيها ما نشاء بإرشاد الميسطين عليها كما سيأتي بيانه ، ومنها ما يأخذونه عن قوانين الأفرنج كما هي . مثال ذلك قاعدة الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، ومن أحكامها ان الاثنى عشر متى تجاوزت السنة الرابعة عشرة يجوز لها ان تعاشر من تشاء بلا قيد ولا شرط ولا رباط شرعى ، وايس لوالدها حق رجاءها عن فيها لداره ، كما صرح بهذا مؤلف الرسالة في الصفحة الثامنة وغيرها . وكما انه لا يجوز لوالد بنت الخامسة عشرة فما فوقها ان يرددها ويمنعها عن غيرها اذا اختارت ان تكون خدنا لاحد الفساق ، أو بغيا تمرض نفسها للزنا في المواقير والسواق ، كذلك لا يجوز تقاضي الشرع ولا للسلطان أو نائبه ان يرددها عن هذا الحق الذي حقه لها القانون ، ولماذا ؟ لان القانون أباحه . أما ما أباحه الله في كتابه فلكل حاكم ان يحرمه عندهم كما سيأتي قريباً

قال : (وأما الاجماع) وحيثهم فيه حديث « لا يجتمع أمني على ضلال » فنقسمه الى قسمين إما اجماع العلماء أو حكم ولي الأمر السابق (كذا) وعلى حسب قواعد نظامنا القضائي لا نتقيد برأي مهما أجمع عليه الشرح الا ان نوافق على اجماعهم . وأما ما يقرره الحاكم بصفته صاحب السلطة التشريعية فيمكن خلافه ان يغييه طبقاً لقاعدة ان السلطة التشريعية تملك ان تلغي ما تقرره طبعاً لا تأثيراً شخصية الحاكم (كذا) وقد أمشيد لهذه القاعدة بأن لكل سلطان ان يلفي ما وضعه من قبله ، وجعل الغاء الاجماع من هذا القبيل ، ثم قال ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضاء منهم

بتحكيم السابقين (قال) « ونحن الآن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » أي انه يرفض أحكام جميع المسلمين من السلف والخلف ، ولكنه ادعى أنه يتقيد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فانظر كيف يتقيد بذلك ! قال في ص ٢٢

= ﴿ السنة ﴾ أر يد أن أبحت القرآن من قبل لان حكم اتباع السنة نائج من حكم القرآن « القرآن بصفته كتاب الله قد أودع فيه كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في جميع العالم اتباعه ، فالذي ترك ولم ينزل في القرآن ترك ليكون للفرد حرية التصرف فيه ولولي الامر الرأي في تقييده بحسب ما يراه لازماً لمصلحة الجمهور . فالرسول بصفته ولي الامر حاكم الامة وقاضيا كان اذا صئل عن أمر حكم فيه وهذه الاحكام اما صدرت في مسائل فردية خاصة فتقيدت بها واما صدرت من الرسول لتكون قاعدة وحكماً عاماً وفي هذه الحالة تكون بمثابة قانون صدر من صاحب السلطة التشريعية ونفس هذه السلطة يملكها الحاكم في كل زمن بعده فيجلى الفاء ما تقرر بمقتضاها « واذا استنتج ان السنة اما انها تخصصة بمحاور فردية فصارت أحكاماً قضائية في طبيعتها ، واما تعممت في شكل قواعد وقوانين فصارت تشريعاً صادراً من ولي الامر لزمته ، واذا ظهر من بعد الاحقين من أولياء الامر مصلحة للناس في تغييرها أو إلغائها كان ذلك ولا حرج . وهذا كله خاص بالاحكام المدنية فقط دون الدينية . ولا يناقض في شيء قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » اذ اننا اذا رأينا لزوماً للخروج عن السنة لمصلحة فلا يكون ذلك غير طاعة بل شيئاً آخر . وبديهي ان الرسول لو كان في هذا العصر لاختلفت سنته فيه ولو لم يسأل ما أبدى حكماً

= ﴿ الكتاب ﴾ قلت في الكلام عن السنة ان الله أودع الكتاب كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في كل زمان اتباعه . فيكون الكتاب بذلك مقيداً للمسلمين فيما أمر . وبهذه المناسبة أهيد القول ان ليس لاي حكم لم يرد في الكتاب حكم الفرض الواجب العمل به . وما زاد من الكتاب من سنة أو اجماع حكمه الجواز اذا شاء قام به الفرد وان لم ير مصلحة في ذلك فله المدول منه

« والاحكام الواردة في القرآن عدا المبادئ الاصولية الصامة على ثلاثة أقسام

(١) ما حرم عمله (٢) ما أوجب عمله (٣) ما أجزه
 ثم بين أن حكم القسم الاول أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء بخلافه في مرامه،
 كتحریم الأم والأخت والجمع بين خمس أزواج. ومرمى الشيء غرضه، والمراد أن يعتبر
 الفرض من الحكم لا الحكم نفسه فهو اذا كالقسم الثاني. وحكم القسم الثاني ان يبقى
 منه ما يتحقق به الحكمة المقصودة منه. ومثل له بإلغاء العدة والأشهاد على عقد الزواج.
 وبين أن حكمة العدة براءة الرحم من الحمل وحكمة الأشهاد إعلان الزواج (قل) فلا حرج
 في ان نصل الى الفرض ناقصود من أفيد الطرق وأخصرها « وعدة جعل المقد
 رسميا مضيها عن الأشهاد، ومرور أكثر مدة الحمل على الطلاق مضيها عن التقييد بالترخيص
 ثلاثة قروء. أي ومثل ذلك ما اذا علم عدم الحمل بالاطلاع على ما في الرحم بالاشعة
 التي تشف الجسم (أي نجمة شفافة) كالاشعة المعروفة بأشعة رونتجن « فبذلك يمكن
 إلغاء العدة على قاعدته. ثم قال بعد التمثيل الذي ذكرناه بالمعنى « وبذلك يتقضى وجوب
 التقييد بالمعاني الحرفية الالفاظ القانونية الواردة في القرآن « وأما حكم الثالث وهو
 ما جعله القرآن جائزا كعدد الزوجات فهو ان الانسان يخير فيه ولكن لكل حكومة
 ان تحرم منه بالقوانين الوضعية ما تشاء

هذا رأي أحمد أفندي صفوت في أصول الشريعة الإسلامية ذكرانه بقوله
 ويقترحه بصفته مسلما، وهو عدم لأصول الشريعة كلها لا يوافق عليه مسلم في الأرض
 وهو مسلم، وسنبين ذلك بالدليل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

السيد الهمام - آل رما

في آخر الساعة الثانية بعد النصف من ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ذي
 القعدة الحرام الحلال (الموافق لحلول الشمس في الدرجة الخامسة من برج السنبلة
 سنة ١٢٩٦ هـ ش - ٢٩ أغسطس) قد وهب الله جل ثناؤه لصاحب هذه الجملة
 غلاما سويا أزهر اللون جميل الخلق كأخيه (محمد شفيع) إلا أنه أوسع غرة وأنحف
 بنية، فسميناه الهمام (بضم الهاء وتخفيف الميم) فنحمد الله ونشكره على ما حبانا
 به من مزيد نعمه ونسأله تعالى أن يجعل له أوفر نصيب من اسمه، حتى يكون قرة
 عين لنا ولأمته وقومه، ومثل ذلك لأخيه وأخته، (ربنا هب لنا من أزواجنا
 وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب
عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

المسحاة
١٣١٥

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب
عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

٣٥ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ انيزان (خ ١) ١٢٩٧ هـ ٦ أكتوبر ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (*)

(الموضوع الثامن — أولاد عبد المطلب)

أنكر الناقد ذكرنا في (ص ١٣) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال ان المقام يقتضي استيعابهم لان الاختصار في محل البيان يوم الحصر . ونجيب عن ذلك بأن المقام لا يقتضي استيعاب ذكركم لان الكتاب ليس في تاريخ بني هاشم وانما هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكليات دينه ومزايا ملته، وذكرنا من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبوطالب والعباس وحمة (رض) ولكن العبارة قد توهم غير المطلع على تاريخهم ان هؤلاء جميع واد عبد المطلب ولذلك نقمنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبوطالب والعباس وحمة

(*) تابع لما في ج ٩ وراجع التعداد المذكور عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

وعبد الله . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بعد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب ؟

(الموضع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه وإيذائهم)
أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والإيذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله : فلقى أشد الجحود والإيذاء من زعماء قومه الذين أشقامهم الله . واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجابنا به عن ذلك الذي قدمه وأهمه أننا اهتدينا في هذا التمييز بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك . ولهذا الاستعمال نظائر فيه وفي كلام العرب ، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملا شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر ، وأما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قتلهم ، وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود الانبياء وعقر نمود للثاقفة . وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضع العاشر والموضع الحادي عشر

(الموضع العاشر — حمايته (ص) للقيام بالدعوة)
أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحمايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قریش أحد ، واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله : كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه للقيام بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك العصبية ، وغرضه ان ينزه قریشا مما ذكر ويسنده الى زعماء الشرك على الابهام ، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال ، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أيها راجع القارئ يجد فيه ان قریشا اشتد إيذاها لرسول (ص) بعد هلاك همه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس الزهرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وفود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلمة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر عليهم

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنعة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام فقط. وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصية لقريش حتى في شر ما كانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضع الآتي =

﴿ الموضع الحادي عشر - ثبانه (ص) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من (ص ٣٧) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضمة نفر من قريش وبنو هاشم (قال) وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها أشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها اهـ

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) انفرد بالثبات في الغزوتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع، فالاولى ان يعطف يوم أحد على يوم حنين أو يكتفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غرو ان يذكر في مثل هذا السياق، وان قيدوه بما سيأتي للجمع بين الروايات، ففني بعض الفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء (هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح) فأدبروا عنه حتى (بقي وحده) فنادى يومئذ نداء من لم يخلط بينهما: التفت عن يمينه فقال: يا معشر الانصار؟ قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الانصار: قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك» الحديث، ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهوانه سئل: أوليتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ فقال أما النبي (ص) فلا - الحديث - وفي رواية: أفرتم عن رسول الله (ص) يوم حنين فقال: لكن رسول الله (ص) لم يفر... وفي رواية انه سئل: أتوليت يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي (ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقهم هوازن وأبوسفيان ابن الحارث أخذ برأس بخلته البيضاء» الحديث. وأبوسفيان هذا هو ابن عمه (ص) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي (ص) وهو قادم الى مكة فاتحاً فأسلم وحسن اسلامه. وروى ابن أبي شيبة من مرسل الحكم

ابن عتبة أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه وأوسيان بن الحارث أخذ بالعتان وابن مسعود من الجانب الأيسر قال وايس يقبل نحوه أحد الا قتل . واختلفت الروايات فيمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٠ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضعة وثلاثون من المهاجرين والباقيون من الانصار وهذا الاخير تفصيل رواية أبي نعيم في دلائل النبوة ويروى عن العباس (رض) الله عنه انه أنشد في ذلك نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقسموا وعاشرنا وفي الجحام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع قال الحافظ في الفتح وامل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجول في الرجوع فقد فيمن لم ينهزم وكان أول من ولى واتهم الطلقاء من قريش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كلهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فاراً من القتال بل منهم من كان متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى جهة أو فئة لاجل القتال، وبعضهم جرفه التيار وهو لا يدري أين ذهب ، وقالوا في الجحيم بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يتبعونه من ورائه حيث توجه فتوجه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار قلبوه فكان النصر بهم وان كان فضل المهاجرين وثباتهم لا ينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكثر المشركين أو الاثني عشر الذين ثبتوا معه أولا منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة وما لبث جمهور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قريش بين المهاجرين الذين أسلموا قبل الفتح والطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئاً فوجد بعضهم اذالك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . وقال بعضهم يغفر الله لرسول الله (ص) يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فجعلهم (ص) في قبة آدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال قهواؤهم : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم

يقولوا شيئاً وأما ناس من حديثه أسانهم فقالوا كيت وكيت. فقال (ص) « أني أعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أتألفهم — وفي رواية ان قريناً حديث عهد ^(١) بمجاهلية ومعصية واني أردت أن أجبرهم وأتألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله (ص) الى بيوتكم؟ قالوا بلى. وفي رواية انه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والغنى ثم قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وقد هبوا بالنبي (ص) الى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا وسلك الانصار شعبا لا خنرت وادي الانصار وشعباء الانصار شعار والناس دثار» الخ وقد بين العلامة ابن القيم الحكم في غزوة حنين في الهزيمة ثم في النصر وقسمة الغنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار، فبراجم في زاد المعاد والخصه الحافظ في الفتح وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى (اذ تصمدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لايلون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم « الي عباد الله الي عباد الله » ولا يلوي عليه أحد. وروي نحوه عن ابن عباس وعطية الصوفي وقادة الائمة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن. وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظاهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتاً فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فعلوا مثل فعله، فقد كان سبب الهزيمة الا كبراشاعة قتل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا بقتله فدهاء أبي وأمي (ص) فالتابعون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا تنافي بين رواياتهم، ففي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة يمين يدي النبي (ص) مجتب (أي مترس) عليه بمحفلة وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واعتمد به منهم ان أصله حديثه عهد

رجلا رابيا شديدا للفرع (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه
بجبهة من النبل فيقول «أنثرها لابي طلحة» (قال) ويشرف النبي (ص) ينظر الى القوم
فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف بصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرِكَ،
ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وانهما لمشترتان أرى خدام
سوقهما (١) تنقران القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم (٢) ثم ترجعان قتلانها
ثم يجيئان تفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة اما مرتين واما ثلاثا
وفي حديثه عند مسلم انه (ص) أفرد في سبعة من الانصار ورجلين من قریش
يعني طلحة وسعدا . وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر اذا
ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله اطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع)
فرايت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال فقلت كن طلحة (قلت) حيث فاتني
يكون رجل من قومي وبينه وبينه رجل من المشركين فاذا هو أبو عبيدة فانتبهنا
الى رسول الله (ص) فقال «دوبكما صاحبكما» يريد طلحة فاذا هو قد قطعت
أصبعه النخ . وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فانه كان يناضل عنه (ص)
وهو يقول له «أرم فداك أبي وأمي» روى البخاري هذا عنه ، وروى عن علي كرم
الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد . يعني في
الفداء . وروى عن أبي عثمان النهدي انه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك
الايام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد . أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي
وقاص وهما حدثا أبا عثمان النهدي بذلك ، وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن
أبي وقاص عن أبيها قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تمنعت فقلت
اذود عن نفسي فاما أن أتجو واما أن أسند فاذ رجل نحر وجهه وقد كاد المشركون
أن يركبوه فملا يده من الحصى فرماهم . واذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله
عن الرجل فقال لي يا سعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقمته وكأنه لم يصبني شيء
من الاذى وأجلسني أمامه وجمعت أرمي فذكر الحديث اه من الفتح وفيه اختصار
وقد قبله دحلان في سيرته عن المستدرک بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الخدم جمع خدمة وهي الخلاخيل وفيل الخدمة أصل الساق . والسوق جمع ساق
(٢) أي ترغمان قرب الماء بمخمة وسرعة على ظهورهما وتستيان الجرحى بصبه في أفواههم

أن الرجل المحمر لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه إلى الجبل ففعل ذلك مراراً. فظاهر هذا الحديث أنه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا أن المقداد لم يكن معه من أول الأمر.

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان التهدي من الفتح: وعند ابن هانئ من مرسل المطلب بن عبد الله بن حنطب أن الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثنا عشر رجلاً من الانصار. والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزيرة عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار وطلحة^(١) واسناده جيد وهو كحديث أنس إلا أن فيه زيادة أربعة فلم يسمهم جاًوا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد أنه ثبت معه ١٤ رجلاً ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر و٧ من الانصار. ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان التهدي) بأن سعداً جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فداك أبي وأمي) وأن المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء. وأما المقداد فيحتمل أن يكون استمر مشغولاً بالقتال، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعد هذا. وذكر الواقدي في المغازي أنه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ومن الانصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل إن سعد بن عباد ومحمد بن مسلمة بدل الأخيرين، فإن ثبت حمل على أنهم ثبتوا في الحملة، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولاً فاولاً والله أعلم اه كلام الحافظ في الجمع بين الأقوال ..

فعلم مما تقدم أن منقبة الثبات مع النبي (ص) يوم أحد خاصة بمن علموا بموقفه ودافعوا عنه قبل أن يتراجع الجيش وانها لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

«١» هو ابن عبيد الله وملخص قصة الحديث أن النبي «ص» قال لا لحقهم المشركون وهو بسعد في الجبل «ألا أحد هؤلاء؟» فقال طلحة أنا يا رسول الله، فقال «كأنت باطلحه» فاستأذنه رجل من الانصار فأذن له فقاتل حتى قتل. فأعاد «ص» القول فلما باطلحه فقال له كما قال أولاً فاستأذن أنصاري آخر فأذن له، وما زال يعيد ذلك ويحبس طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيب أنامله. وفي رواية شلت أصبعه أو أصابعه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحاً

الحظ العظيم منها ، وانه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين

﴿الموضع ١٢١ — مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ﴾

قال الناقد : ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة اه
ونقول ان هذه العبارة أظهر هفواته وأغربها فما ذكرناه هو المنصوص في كتب الحديث والسير ، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد . وإنما وقع الخلاف في الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة وجمع بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وفترة وبين الأمر بالتبليغ ثلاث سنين والمدة من بدء الأمر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين ، بين ذلك الامام احمد في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمده ابن اسحق وغيره من أصحاب السير . فهل بلغ من الناقد الفاضل التعصب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالرؤيا الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجماليا ثم نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعة عشر عاما من أول التبليغ ، وعلى هذا يحتمل ان تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وان تضاف اليها مدة الفترة فتكون ٢٢ سنة او من المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة هـ ٦٣ سنة ، فسبحان من لا ينسى ولا يذهل وقد أضاف الناقد الى هذا الموضع مسألة أخرى فادعى اننا لم نذكر في الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنمة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع العرب لهم ، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفاء . ونجيب بأننا ذكرناه بالاجمال ، ولا يتسع هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نصرح لآخينا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع لشرح حديث الاصطفاء ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل ما يتعلق بذلك من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وإنما شرحنا الحديث شرحا لم نطلع لاحد على مثله لبيان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية « للرد بقية »

المتفرنجون والإصلاح الإسلامي

٣

الإسلام وأصول الشريعة

قد علم مما تقدم في المقامين الأولين أن من المتفرنجين من يدعو المسلمين إلى هدم أصول الشريعة الإسلامية كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضمهاحكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وإن استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أم أخرى مخالفة للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصلحتهم ، وإن من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم إليه من إفساد دينهم وهدم شرعهم الذي هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الإصلاح ، وإن أغرب أحوالهم المتناقضة أن بعضهم يتكلم باسم الإسلام ويدعي إمكان الجمع بينه وبين بدأصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يرتقوا إلى الكمال الإنساني الذي ارتقى إليه هؤلاء المتفرنجون ، ومن أهم أصوله إباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الاخذان لكل عذراء تجاوزت السنة الرابعة عشرة أي صارت بنيتها مستعدة لهذا التمتع المفسد للصحة الجالب للادواء القاتلة المقلل لنسل الأمة المشوه لآدابها الموقع للمداوة والبغضاء بين أفرادها وأسرها

جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التي نرد عليها في هذه المقالات بما تقدم بيانه في المقالة الثانية مع الوعد بالرد عليه وإنا نبدا الرد بكلمة وجيزة في بيان ما يناسب المقام من تعريف ما يكون به المسلم مسلما ليعلم هل يمكن الجمع بين الإسلام وبين ما جاء به ودعا إليه أحمد صفوت أفندي من حيث هو مسلم وإن كنا قد بينا هذا في المنار من عهد قريب لثلا يقع بعض الجاهلين فيما بعده جميع المسلمين كفرا وهو لا يدري فنقول

الإسلام والكفر

إن الإسلام الصحيح عبارة عن الأذهان النفسية والخضوع الفعلي لجميع ما جاء به محمد خاتم النبيين والمرسلين (ص) عن الله تعالى مع الاعتقاد الجازم بأن كل ذلك حق وخبر وإن كل ما يخالفه باطل وشر ، سواء كان ذلك الجزم بدليل قطعي أو اقناعي

أو بغير دليل كما هو رأي الجمهور في صحة إيمان المقلدين. فمن أذعن بالفعل ظاهر أو هو غير مؤمن بما ذكر فهو منافق، ومن اعتقد وأيقن ولم يذعن فهو جاحد مجاهر، كما قال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واسقيقتنأ أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وإن الأذعان والخضوع لبعض ما جاء به الرسول دون بعض كفر كالإيمان ببعضه دون بعض، قال تعالى فيمن خالفوا بعض أحكام كتابهم الدنيوية (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) ولذلك أجمع أهل الحل والعقد من الصحابة بعد التشاور على قتال مانعي الزكاة وعدوهم مرتدين عن الإسلام. وليس منه مخالفة بعض الأوامر والنواهي بجهل أو تأول أو جهالة كقلبة، غضب أو شهوة مع الأذعان النفسي في عامة الأحوال، والعملي فيما سوى هذه الشواذ، فإن الجاهل يرجع إذا زال جهله بالعلم الصحيح، والفاسق يتوب إذا زالت جهالته بذكر الله وتذكر الوعد والوعيد (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فهذا هو الإسلام الذي لا يعتد المسلمون بدين من خالفه ولا يعدونه منهم، فلا يرثونه ولا يرثهم، ولا يحل لهم أن يزوجه مسئلة منهم، ولا أن يدفنوه في مقابرهم. ثم إن ما جاء به الرسول قسيمان قطعي الرواية والدلالة وغير قطعي، وقد بينا حكم كل منهما في تفسير الحزب الماضي من المنار. ومن القطعي المعلوم من الدين بالضرورة أن محمدا (ص) خاتم النبيين وبلزته أن شرع الإسلام باق ما بقي البشر لا ينسخه شيء، وقد أمر الرسول (ص) من كان في عصره من المسلمين أن يبلغوا من بعدهم ولم يفرق أحد من سلف المسلمين وخلفهم بين من بلغتهم دعوته (ص) منه في عصره، ومن بلغته من غيره بعده. فمن يدعي الإسلام ويزعم أن ما جاء به الرسول من أحكام الشرع لم يكلف اتباعه فيه كله إلا الذين كانوا في زمنه لأنه كان حاكمهم، وأن من بعدهم لا يكافون إلا اتباع ما تشريعه لهم حكمهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم، وأنه لا فرق بين هؤلاء الحكم وبين الرسول في كونهم شارعين يجب اتباع أحكام شرعهم في الأمور الشخصية والمدنية والتأديبية على سواء وينسخ المتأخر منهم ما شرعه من قبله من يدعي ما ذكر - فقد جاء بدين جديد معارض لدين الإسلام مع اتعاله لاسمه

ولا يعتد أحد بإسلامه الا من استجاب له وقبل دعوته، كما فعلت فرق الباطنية قديماً وحديثاً فانهم حرقوا أصول الاسلام وفروعه وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فلم يستد المسلمون باتحالمهم لقب الاسلام في الظاهر بل سموهم بأسماء أخرى كالاسماعيلية والدروز والنصيرية والباوية والبهائية، ولم يبح مسلم سني ولا شيعي ولا خارجي أكل ذبائحهم ولا تزويجهم ولا التزوج منهم، لانهم أبعد عن الاسلام من أهل الكتاب الذين يبيع السواد الاعظم من المسلمين أكل ذبائحهم والتزوج منهم، فكيف بالتوارث الذي لا يحل بين المسلمين وأهل الكتاب؟ فيجب على قائل ذلك القول وعلى من صدقه أن يرجعوا عنه إذ قد قالوه عن جهل بحقيقة الاسلام، وهسي أن يكونوا قد فعلوا، فنحن أحرص الناس على عدم اخراج أحد ينتمي للاسلام من حظيرته، وانما نبين الحقيقة عند الحاجة في نفسها، ولا نحكم على شخص معين بها ولا بلوازمها، وانما نمين الاشخاص على الحكم على أنفسهم، وعلى معرفة حكم الله فيمن يفرقون حالهم، سواء كان في مسألة الشارع والتشريع أو في غيرها. ومن الأصول المجمع عليها بين المسلمين أن لا حكم لغير الله بعد ورود شرعه، وسيأتي الكلام في ذلك ومن كان في قلبه شبهة من ذلك القول الناقض لهذا الأصل فيجب عليه أن يبحث حتى يزيلها. ويطمئن قلبه بوجوب اتباع الرسول (ص) في جميع ما ثبت عنه من أمر الشرع وسرد الشبهات التي ذكرها احمد أفندي صفوت في بحث الكتاب والسنة بعد هذه المقدمة التي وفيها بوعدنا في آخر المقالة الثانية. نبدأ بنقل كلام احمد أفندي صفوت على الترتيب الذي ذكرناه في تلك المقالة فنقول:

القياس من أصول الشريعة

القياس ليس من الأصول التي أجمع عليها المسلمون بل الفقهاء فيه فريقان أحدهما يثبته وهم الجمهور ومنهم المقتصد فيه والقاتل بانه ضرورة تقدر بقدرها، ومنهم المقتصد فيه والمبالغ في التوسع، وثنيهما ينكره وهم الظاهرية. وقد يناحجج الفريقين وتحقيق الحق في ذلك في تفسير قوله تعالى (٥: ١٠٤) يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن الآية (١) والقياسيون لم يقولوا بالقياس الا بما ظهر لهم من (١) -راجع في المجلد ١٨ من المنار ذي ج ٧ من التفسير وهو بحث يستغرق ٧٥ صفحة

الدليل عليه من الكتاب والسنة. والظاهرية لم ينفوا القياس الا لاعتقادهم أن نصوص الكتاب والسنة وقواعدهما مفضية عنه

وأما غلاة المتفرنجين فانهم يردون القياس لانه مبني على كتاب الله وصحة رسوله لا لانهم يستغنون عنه بنصوصهما كإظهارية من علماء السنة ، بل هم يرغبون ههنا بالذات وعنه بالتبع لهما ، ويستبدلون بأصولها وأحكامها أحكاماً أخرى يقيسون عليها ، صرح بذلك أحمد أفندي صفوت في خطابه كما نقلناه في المقالة الثانية عن ص ٢١ من رسالته ، قال

« أما القياس فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الأصول الأخرى » أي الأصول التي تشرعها لهم حكوماتهم كاصل الحرية الشخصية في القانون المصري ، وتقدم بيان ذلك والتشيل له في المقالة الثانية ، ولا نطيل القول في هذه المسألة لأنها غير مقصودة لذاتها ، ولأن رده القياس الفقهي ليس الدليل شرعي ولا عقلي على فساد ولا لكونه يناقض الحق والعدل ، وسيأتي له ذكر في الكلام بعد .
الاجماع من أصول الشريعة

قد اختلف علماء أصول الفقه الاسلامي في الاجماع الاصطلاحي الذي عرفوه بقولهم « هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من الأمور » فقال بعضهم بعدم مكانه وبعضهم بعدم إمكان العلم به وبعضهم بعدم إمكان نقله الى من يحتاج به وبعضهم بعدم كونه حجة ، والامام أحمد والظاهرية لا يحتاجون الا باجماع الصحابة ، ويستدل العلماء الذين يحتاجون بالاجماع الاصطلاحي - وهم جمهور سائر المذاهب - بآيات من القرآن وأحاديث فهموا منها اثبات حجة الاجماع أدناها مرتبة في الرواية حديث ابن عمر « لن تجتمع أمتي على الضلالة » كما رواه الطبراني في الكبير عنه ، أو « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذذ الى النار » كما رواه الترمذي عنه ، وقد نوزعوا في دلالة ما استدلوا به على اجماعهم الاصطلاحي ، وقد حررنا بحث الاجماع وما يقوم الدليل عليه منه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٨ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وبيننا هناك أن أصول الشريعة لاسلامية أصح

وأعدل وأفضل من جميع أصول الحكومات الشوروية التي يسمونها في عرف هذا العصر بالنيابية وبالديمقراطية (١)

وأما غلاة المتفرنجين فيردون اجماع المسلمين من الصحابة وغيرهم بغير علم ولا فهم لانهم يزعمون عن كل ما هو اسلامي قديما كان أو حديثا الى قواعد تشريعهم الجديد الذي تذكر بعض مثاله في الاحكام الشخصية من هذا البحث لا لمخافة لاجماع للمعدل أو لمصلحة شأنهم فيه شأنهم في القياس كما تقدم آنفا

قال استنهم احمد افندي صفوت في خطابه المعروف: [وأما الاجماع وحيثهم فيه حديث « لا يجتمع أمتي على ضلال » (٢) فبقسمه الى قسمين اما اجماع العلماء أو حكم ولي لام السابق وبحسب قواعد نظامنا القضائي لا تنقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الى أن نوافق على اجماعهم] اه فجعل حكم ولي الامر السابق داخلا في معنى الاجماع وما هو منه في شيء ، وفسر اجماع العلماء بما يتفق عليه شراح كتب الفقه من الآراء — كما هو المتأخر من عبارته — وهذا الاطلاق باطل كما علم من تعريف الاجماع الذي ذكرناه آنفا . ثم انه زعم ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضا منهم بحكم السابقين (قال) « ونحن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » فهو بعد قوله ان علماء المسلمين يستدلون على حجية الاجماع بالحديث الذي ذكره ولم ينزع في دلالة على ذلك يرفضه بصفته مسلما ويدعى أن المتأخرين وحدهم هم الذين جعلوه حجة . وذلك دليل على انه لا يعرف معنى الاجماع ولا تاريخه ، وانه لا يفهم معنى ما يقوله وما يكتبه بالعربية ، دع ما فيه من الخطأ والغلط اللغوي ، فهو اذا لا يرفض شيئا من أصول الشريعة — دع فروءها — التي هي تبع لها في الرفض — لانه لا دلائل عليه ، ولا لأن دليله معارض بما هو أقوى منه ، ولا لانه غير مطابق لمصلحة المسلمين في هذا العصر ، وان كان هو وأمثاله يزعمون ذلك بغير علم ، بل لانه يستبدل بما شرع الله وبكل ما يبنى عليه ما يشرعه الناس وان اختلف في كل قطر اسلامي باختلاف أفكار الشارعين أصحاب

(١) راجع ذلك في مجلدي المنار ١٣ و ١٤ وفي الجزء الخامس من التفسير

(٢) صوابه ضلالة كما تقدم آنفا

السلطة والنفوذه بحيث يكون للمسلمين عشرات من الشرائع في أحكام الزواج والطلاق وما يتبعهما وفي سائر الأحكام حتى يخرجوا عن كونهم أمة واحدة كما ساءم الله تعالى . ومن يرفض أصول الشريعة الإسلامية وجميع أحكام أهلها من المتقدمين والمتأخرين لما ذكرنا من العلة كيف يبالي بتفريق شمل الأمة . وتقطع جميع الروابط والمقومات التي كانت بها أمة ؟ ومن كان . مكانه من الإسلام والعلم . صالح أهله ما ذكرنا فهل يستبعد منه أن يهد هذا الفساد اصلاحا وطنيا كما نسسم من أفواه هؤلاء المتفرنجين كثير او يرى مثله فيما يكتبون أحيانا ؟ قلنا ان فريق الغلاة من هؤلاء المتفرنجين يرفضون الاجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين لانه اجماع المسلمين ، وما ذاك الا انهم مرقوا من دينهم ولا يحبون ان يبقى لهم به صلة ما بل يحاولون افساد عقيدة كل من استطاعوا فتنه من أهل هذا الدين كما يفعل أمثالهم من دعاة الأديان أو دعاة الاتحاد قلنا انهم يرفضون القياس الإسلامي أيضا لانه يستند على نصوص الكتاب والسنة التي لا يدينون بهما ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنون من نصوص القوانين الوضعية . كما انهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين من أي ملة كانوا ، ومن قبل رأي الأفراد من قوم فهو أجدر بقبول رأي الجماهير منهم وقلنا انهم لا يرفضون ذلك بدليل هتلي ولا شرهي فيكون موضوع المناقشة بيننا وبينهم كما وقع بين من قبلنا من سلفنا كالظاهرية والقياسية ونفاة الاجماع الاصولي هلى اطلاقه ومثبته وكما يقع الآن بين المستقلين في الفهم منا . وأما غير الغلاة المرتدين من المتفرنجين فيوجد فيهم من يجد في صدره حرجا من الفقه الإسلامي اذ يرى كثيرا من فروع غير معقولة أو غير عادلة ويرى ان قائلها لاجحة لهم عليها غير أقيسة لهم يعتقد أنها آراء لهم أو مفهومات عبارات كتب مذهبهم لا يظهر لها أصل من نصوص الكتاب والسنة ، أو دهوى اجماع لم يثبت باتفاق المحدثين والمؤرخين هلى نقله ، ولا حجة على جملة كالنص الذي لا سبيل الى نقضه ، ويوجد فيهم من قد ينكر كون القياس حجة ، أو من ينكر كثيرا مما ذكرناه مسالك العلة ، ومن ينكر حجية الاجماع أو إمكانه أو إمكان العلم به ، وأكثر منهم من ينكر كونه حجة دائمة باقية كالكتاب والسنة ، وكون آراء الفقهاء الاجتهادية

شراً ثابتاً يجب العمل به وإن ظهر لنا من النصوص خلافه ، أو ثبت بالتجربة ضرره في مصالح الامة الشخصية أو المدنية ، أو شذوذها الاجتماعية والسياسية ويوجد فيهم وفي غيرهم من مستقلي الفكر من يظنون بادي الرأي ان أكثر أحكام الفقه القضائية والسياسية آراء للمجتهدين إن كانت كلها أو جلها موافقة للمصلحة في الزمن الذي وضعت فيه فقد صارت غير موافقة لمصلحة المسلمين أنفسهم في هذا الزمن وفي كل فريق ممن ذكرنا مقتصد في تقديم هذا الفقه ومُسرف ، ومستدل ومقلد ، ومن المستدلين الواسع الاطلاع ، والحافظ لقليل مما ينتقد من الاحكام ، ومنها بعض الاحكام الشخصية التي ألغت الاجبة المهودة لاجلها . ومن يراجع مجلد المنار الرابع يرى فيه مناظرة في نقد الفقه الاسلامي بين كاتبين من أشهر الكتاب المعتدلين وقد مر هلى أول بحث حضرته بمصر في هذه المسألة زهاء عشرين سنة وكان في دار سعد زغلول (باشا) ولم أنس كلمة قالها ثم قاسم بك أمين لمن ذكر في الامثلة المتقدمة مسألة الربا وهي : ان تحريم الربا منصوص في القرآن وكل ما نص في القرآن يجب أن يؤخذ بالتسليم من غير بحث ، وإنما نبعث في أقوال الفقهاء . اه وبعد هذا بسنة أو سنتين زرت الأستاذ الامام في يوم هيد فألقيته في مكتبه داخل الدار مع أحمد فتحي زغلول (باشا) محتجبا عن جماهير المهنيين الذين يجلسون في حجرة الاستقبال ريثما يشربون القهوة وينعمرون ، فلما جاست اليها وجدتهما يبحثان في مسألة الاجماع ورأيت الأستاذ يوافق جليسه في بعض ما ينكره من مباحث هذه المسألة ، فقلت لهما اني أفهم في الاجماع معنى آخر غير المشهور في كتب الاصول وهو اتفاق أهل الحل والعقد كما هم أو أكثرهم مجتمعين هلى ما لانص عليه من الامور المتعلقة بمصالح الامة القضائية أو السياسية سواء كان في استنباط الاحكام لها أو في تنفيذها وأرى ان ذلك ينطبق على ادلة الاجماع ويوافق عمل السلف كجميع الخلفاء الراشدين أهل العلم والرأي فتشاور فيما لم يرد فيه نص من الكتاب ولم تجر به سنة نبوية ، وفي مبايعة الخلفاء . فقال الأستاذ ان هذا المعنى صحيح لا اشكال فيه ولا اعتراض عليه واستحسنه أحمد فتحي غاية الاستحسان . وقد بينت هذا المعنى بعد ذلك بما كتبه في المقالة الثالثة عشرة وهي المقالة الاخيرة من مقالات (محاورات المصلح والمقلد) في بحث الوحدة

الاسلامية في السياسة والقضاء المنشورة في مجلد المنار الرابع وقد اطالع عليه الاستاذ الامام يومئذ فأعجبه، ثم زدته بيانا في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) المنشور في أواخر المجلد الثالث عشر وأوائل المجلد الرابع عشر من المنار بعد ان نقلت من الاستاذ الامام قوله انه اهتدى اليه بعد البحث في المسألة والتفكر فيها هذة سنين، وانه كان يظن انه لم يسبق اليه حتى رأي النيسابوري صرح به في تفسيره. وقد ذكرت هنالك ان النيسابوري اخذه من الرازي وزاده بيانا ثم ايدت قولها ووضحته بكلام السعد التفتازاني في مسألة انعقاد المبايعة بالإمامة. وقد حققت في المسألة ان الاجماع في الاسلام في معنى محاليس نواب الامة في القوانين الافرنجية الا انه اكمل منها. والقياس وهو ركن الاجتماع دلالا فراديه هو دعوهم أيضا بجري عليه القضاة وركلا، الدعاوي وشراح القوانين، فاقوم قد اقتبسوا من أصول الفقه الاسلامي وفردعه ما ارتقت به قوانينهم ونحن أهملنا وقصرنا ورضينا بالجهل الذي هو التقليد حتى صار أهل شرعنا ينفرون وينفرون منه ويقلدون الافرنج أو يجتهدون في قوانينهم، ولو لم يحرمهم علماء السوء الجامدون وأمرأه الجهل الظالمون من الاجتهاد في شرعهم، لما فروا الى شرائع الاجانب وقوانينهم، ألا انه لا علاج لردة بعض المرتدين، ولا بتداع كثير من المبتدعين ولا اضمف سائر التفرنجين الذين لا يزالون مؤمنين، الا سلوك سبيل الاستقلال في فهم الشرع، وبيان مكانته من المساواة والعدل، وموافقته لمصالح الناس، من جميع الاجناس، وشرح معنى قولنا انه أعظم مقومات هذه الامة تبقى ببقائه ونزول بزواله، وتفصيل ما يتبع ذلك من مقاصد الدين ربوا هؤلاء التفرنجين على كراهته، وهم لا يشعرون بعلة ذلك ولا بما قبله، فاذا ظان صنف الفقهاء والمتكلمين منا على جهودهم، واجباب تقليد ما اختاره المفكرون المتأخرون الذين يعالجون مصنفاتهم، فيغلبهم هؤلاء التفرنجيون واهوانهم على هدم ما بقي من شرعهم ودينهم، بل يحملونهم أهوانا لهم دلي هذا الهدم، على جهل بذلك أو على علم، وهما نحن أولاء نرى مبدأ تشريع جديد، ووضع طريق يلبس بتليد، يصبح بجانبه مثل هذا الصوت الشديد، الذي أوجب هذا الرد العتيد، وقد رأينا من أصحاب المئات من نصر ذلك القصد الخفي، ولم نر منهم من أنكر هذا الصوت الجلي فأين الفبرة على الدين؟ اننا نراها تظهر على أشدها في تضليل من يدعوا الى هداية

الكتاب والسنة ولم نزلها أثر في مخطئة من يدعوا الى ترك كل من الكتاب والسنة فان كان ذنب الاول انه يؤثر الاجتهاد على التقليد، فثاني يهدم كلام من الاجتهاد والتقليد، وزال اعتذار الجامدين على التقليد بأن كلمة الدهماء مجتمعة عليه. فصار سببا لتفريق الدين والارتداد عنه وإذا كان الاجماع - وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد، - والقياس - وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم، - هما أرق ما اقبحه منا الافرنج، وصبقنا اليهما ثابت بالنقل والمقل، وظهر انه لاعلة لرفض من يرفضهما من المتفرجين المارقين، الا كونهما من هداية الدين، وتقيدهما بنصوص الكتاب والسنة، وكونهما من آثار أئمة هذه الامة، فنتقل الى الكلام معهم في أصلي الكتاب والسنة، لنبين هل يندونهما لذهابهما، أم لعل يستذكرونها فيها، وموهبنا في ذلك المقالة الرابعة

الشيخ عبد الكريم سلمان

في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أرفع علمائه، وأديب من أبرع أدبائه، وكاتب من أبلغ كتابه، وقاض من أعدل قضائه، أحد أعضاء النمضة لاصلاحية الجمالية (الشيخ عبد الكريم سلمان) تفجده الله برحمته وله الفقيه في قرية (جنبواي) إحدى قرى مديرية البحيرة من أبوين كريمي الاخلاق، أما الوالد فالباني الاصل، وأما الوالدة فخرية المحتد، وكان بين بيته وبيت الاستاذ الامام تعارف أهل الجوار، فلما جاؤا في الازهر تعاشرنا معاشرة الاهل لا الطلاب، ولما خرجا الى ميدان المبل تعاونا تعاونا أخلاء الاصحاب، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب، وعاشا معا عايشا متوادين موادة اللذات والأتراب، ثم ما فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب، فمسي أن يكون هذا مصليا لذلك المجلى الى دار الثواب، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام، ولكن هذا فاقه ففاته في الجدل والاجتهاد، وتسد يد سهام الارادة الى كل مراده والمادة أن أكثر الاذكياء يكونون قليلي العناية والاجتهاد في الاعمال العقلية التي توكل اليها رأيهم واختيارهم

(كطالب العلم في مثل الأزهر) والسبب الخفي لذلك أنهم لا يشعرون بما يشعرون به من دونهم في الذكاء إلى التعب في التحصيل ، إلا من كان له من نفسه حافز يحفز به إلى مقصد عظيم ، وكان الأستاذ الامام من هؤلاء ، فإنه طالب العلم بباعث ديني قوي نماه في قلبه سلوك طريق التصوف قبله كما فصلناه في ترجمته فكان وهو يسكن مع الشيخ عبد الكريم في حجرة واحدة يقضي جل ليلته في المطالعة ويحاول الشيخ عبد الكريم هو وغيره أن يحملوه على مشاركتهم في سمرهم وما يلهمون به فيه فيعجبهم ذلك منه ، ولو كان للشيخ عبد الكريم مثل جده وعزيمته لكان للامة منه نايقة طار حيته في الاقطار ، وبلغ من الشهرة ما تبلغه شمس النهار ، على أنه مشى الهويثا فسبق الاقران ، فكان الأستاذ الامام البدء من مردي السيد جمال الدين وكان هو الثانيان (١)

كان أول عمل تولاه الأستاذ الامام هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وإدارة المطبوعات فكان الشيخ عبد الكريم عضداً ، الأول في قلم محرريه ثم كان خلفه بعد اعتزاله العمل باعتقاله مع زعماء المرابين إثر احتلال الانكليز لمصر ، فوضع اسم (عبد الكريم سلمان) في ذيل الجريدة موضع اسم (محمد عبده) وظل في عمله هذا إلى أن أنفي القسم الادبي من الجريدة واستغني عن عمله في المطبوعات بعد عودة الأستاذ الامام من منفاه

ولما شرع الأستاذ بعد استقراره بمصر في اصلاح التعليم في الجامع الأزهر كان الشيخ عبد الكريم ساعده الايمن في ذلك من أول العمل إلى آخره ، وهو هو مؤلف كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهر - في عشر سنين) كتبه عقب استقالتهما من مجلس ادارة الأزهر وطبعناه ونشرناه قبيل وفاة الأستاذ الامام ، بعد اطلاعه عليه واجازته له ، ومنه يعلم قيمة عمل الشيخين في اقامة هذا الركن العظيم من أركان اصلاح الاسلامي ، وعبارته تشهد لما كانا عليه من الاخلاص والتواضع والبعد عن التبجح والدعوى فكفى الشيخ عبد الكريم فضلا وكرامة ان كان عشيرا وديدا للأستاذ الامام في أول نشأته العلمية وعضوا عاملا معه في النهضة الاصلاحية الاولى التي توصل اليها

١٨ تطلق الرب كلمة البدء على السيد الاول في السيادة والتقدم والثانيان على التالي له في ذلك قال الشاعر في تفضيل قومه على غيرهم
تيساتنا ان اتاهم كان بدوهم وبدوهم ان اتانا كان تينا

بإدارة المطبوعات ، وفي الحركة الإصلاحية الثانية التي توسل إليها بإصلاح التعليم في الأزهر، وتفصيل ذلك في سيرة الاستاذ الامام. وقد تخرج مع الاستاذ الامام على يد السيد جمال الدين كثير من الازهرين في الافكار والكتابة والخطابة كلن في مقدمتهم ابراهيم بك اللقاني، واشتغل معهما في المطبوعات أفراد منهم أشهرهم من الاحياء سعد باشا زغلول وابراهيم بك الهلباوي ومن المونى سيد افندي وفاء، ولكن ترك كل أولئك زى العلم الديني، واستبدلوا به الزى الافرنجى العثماني، فكان أكثرهم بعد الثورة المراية محامين في المحاكم الاهلية، ولم يجد الاستاذ الامام من يشتغل معه في الإصلاح بعد العودة الى مصر الا من حافظ على الزى الازهرى وهو الشيخ عبد الكريم . وبهذا يعلم تأثير تغيير الزى في الشؤون الاجتماعية

بعد خروج العقيد من خدمة المطبوعات جعل عضواً (قاضياً) في المحكمة الشرعية العليا فكان فيما قدوة صالحة في تحري المدل، والاستقلال في الرأي، ومن آيات ما وصفناه به من شدة الذكاء انه ولي القضاء بمذهب الحنفية في المحكمة العليا الاستئنافية وهو شافعي لم يتحرن على الاعمال والاحكام القضائية في المحاكم الابتدائية فلم يمجزه أن يضرب مع أكبر القضاة بكل سهم، ويكون سابقاً الى اصابة الحق والمدل في الحكم، وكان له من الشهرة في المحكمة ما هو جدير به. نعم انه كان قد سبق له دراسة بعض كتب الحنفية في الفروع والاصول كما شهد له الشيخ عبد القادر الرافعي وغيره من كبار قضاةهم ولئن وجد في زمن العقيد أفراد يساهمون في فضيلة استقلال القضاء، وأحاد يجارونه في حبة الادب والانشاء، وآخرون يسبقونه بالتوسع في بعض العلوم، أو الاغراب في بعض شوارد الفنون، فقد كاد يكون نسيج وحده في أفضل ما يتفاضل فيه الناس، بما يتعلق بالباطن من معرفة الله، وكمال الايمان والاخلاص، أعني مكارم الاخلاق، وما يلزمها من محاسن الاعمال والآداب، فقد كان عتاراً بالوقار لاخوانه والاخلاص لاخذائه وخلاته، والمروءة والنجدة في قضاء حاجات قاصديه، وان لم يكونوا من أصحابه ومحبيه، وأما أصحابه فكان أسبقهم الى عبادة مريضهم، وتشييم ميتهم، وإصلاح ذات بينهم، وتهنتهم بكل نعمة تحدث لهم، وكثير بما يسافر من بلد الى آخر لم يبق بين متقاضين، والتأليف بين متباغضين، وإزالة الجفاء بين أمرتين.

وكان له من الخدق في الاستغاب ما يسيل به السخائم ، ومن اللطف في العتاب ما يستخرج به الحفائظ ، فلا تكاد تنعاضى حبة على رقبته ، أو تأبى هقعة أن تنحل بنفسه ومن سوء حظ المسلمين ان أسرع اليه اليأس من صلاح حالهم ، فأقعد في آخر عمره هن مساعدة أعمال الإصلاح العام لهم ، وقد كان الاستاذ الامام عناه بقوله لي في أول العهد بمقدمي الى مصر : ان لي أملا كاملا وهنا رجل آخر له نصف أمل . ثم لم يلبث هذا النصف أن ذهبت به وقائم الايام ، حتى كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الاستاذ الامام ، قائلا سترى ما ينتهي اليه أملكما في هذه الامة الميتة ، وما يبلغه اصلاحكما من هذه الشعوب الفاسدة ، وله كلمة في هذا المعنى قلها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ، ألبسها كهادته ثوب الدعابة والهزل ، وقد كنا بدار الاستاذ الامام ، نتحدث فيما أشيع من رغبة الامة اليابانية في التدين بدين الاسلام ، قال الشيخ حسين الجسر : اذا يرجى ان يعود الى الاسلام مجده ، قال الفقيد دعهم فاني أخشى اذا صاروا منا ، أن يفسدهم قبل ان يصلحونا . ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من العبرة المحزنة . والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كان الفقيد طويل القامة عظيم الجثة قوي البنية فاعتراه منذ سنتين مرض في المدة طال عهده وما نقه منه الا وقد ذهب سمه ، وهزل بدنه ، وضمف قلبه ، حتى توفي فجأة بسكتة قلبية ، وكان يعزى أصدقاءه آل محمود في بلدة الرحمانية ، فقلت جثته الى مصر ، وصلى عليه في الجامع الازهر ، ودفن بجوار صديقه الاستاذ الامام ، نعمة الله بالرحمة والرضوان ، وقد حضر تشييع جنازته ولبالي مائة من لا يحصى من العلماء والوجهاء ووفود البلاد من الوجهين البحري والقبلي ، مظهرين لمكانته العالية من أنفسهم ومميزين لنجله المذهب حسان افندي ، والفقيد مقالات كثيرة في موضوعات شتى متفرقة في الصحف - كالوقائع المصرية ومجلة الآداب وجريدتي المؤيد والمقطم ، ولكن يقل فيها ما هو موقع منه أو معزى اليه ، وفي الاستطاعة جمع طائفة كبيرة منها ان وجد من يعنى بذلك . فمسي أن يأذن نجله بذلك لمن شاء ، جاعلا له حق طبعه ونشره ، لاحياء ذكرى والده وحفظ أثره .

حسن جلال باشا

كان حسن باشا جلال المتوفى في ١٨ جمادى الاولى لماضي من رجال العلم والعمل والفضيلة ومكارم الاخلاق الاسلامية، ففي سيرته من العبارة وحسن الاسوة ما يتوخى المنار نشره، ولم يكن تركنا لرحمته عقب موته نعتدا كثيرا تراجم أكثر من يموت من أرباب المناصب والرتب العلمية، والمظاهر النبوية، والعارين مما يتوخاه المنار، وإنما تركناها لان ما نعلمه من سيرته قليل بجل، وكان محمد توفيق أفندي أبوطالب رئيس كتاب محكمة مصر الاهلية قد أخبرنا بأنه شرع في كتابة ترجمته له، فانتظرنا صدورها للاخذ عنها وأكثر ما نرويه خلاصة منها ولد الفقيد بمصر لاربعم خلون من شعبان سنة ١٢٧١ ولما بلغ سن التعليم أدخل في مدرسة خليل آغا فكان لاول من طلبتها في جميع فصولها فهد له ذلك دخول مدرسة دار العلوم التي أنشئت في سنة ١٢٧٨ بطريق الاستثناء لفقده بعض شروطها، فعني وجد الى ان حصل ما كان ينقصه منها، وفي سنة ١٢٩٢ جعل مدرسا بالمدرسة التحضيرية بعد أداء الامتحان المشروط لذلك، وفي سنة ١٢٩٥ اختير لتدريس اللغة العربية لابناء فاضل باشا فرافقهم الى سويسرة وتعلم فيها اللغة الفرنسية، وكان يتردد فيها على وزير مصر الشهير مصطفى رياض باشا دون جميع من هنالك من المصريين (اذ كانوا يجتنبون لقاءه لمغاضبته للخديو اسماعيل باشا) فلما اعتزل اسماعيل وولي توفيق وعاد رياض الى وزارة مصر أرسل الفقيد الى أوربة لتحصيل علم الحقوق على نفقة الحكومة فمال شهادة الحقوق وعاد الى مصر فخدم القضاء مساعدا للنيابة فقاضيا فوكيلا لبعض المحاكم فرئيسا لمدة منها آخرها محكمة الاسكندرية ثولاها عشر سنين ونصف سنة فستشارا في محكمة الاستئناف وكان آخر راتبه الشهري فيها مائة جنيه. ومن خدمته للعلم انه كان عضوا في المجلس الاعلى للازهر والمجاهد الدينية وعضوا في اللجنة الادارية لمدرسة القضاء الشرعي

هذه السيرة الرسمية التي تتلخص لتحصيل مثلها اعناق أكثر المتعلمين ليست مما نحفل بذكر أصحابها في المنار وإنما فضل الرجل عندنا في سيرته العملية وأخلاقه وآدابه الدينية التي فضل بها الحم الفغير من أمثاله رجال القضاء، ومن يمد فوقهم في المنصب والجاه كالوزراء والامراء، كان الرجل محافظا على أوامر دينه ونواهي من من الصبا الى سن الشيخوخة لم يفتن

في شبابه بمعاصي الشهوات، ولا في كونه بمنكرات العظيمة والكبرياء، ولا في شيخوخته بدناءة الطعم والحرص على المال، ولم تنزل الإقامة في البلاد الاوربية، ما نشأ عليه من الآداب الاسلامية، ولم تفسد عليه عفته وورعه، ولم تحوله عن زيه العلمي ولا عاداته، حتى إنه كان يتورع عن أكل ذبائح النصارى لكثرة الملاحظة فيهم، ويذهب من محل اقامته الى جزار يهودي في مكان بعيد يشتري منه اللحم ويهاله لنفسه

وروى أبو طالب عن بعض عشرائه من شبان المصريين طلاب علم الحقوق في فرنسة أنهم أفرأوا به امرأة بارعة الجمال تراوده عن نفسه، وجعلوا لها عشرة جننيات ان هي فتنه عن عفته، فجاءت حجراته متبرجة بما استطاعت من زينة، وطرقت الباب ففتح لها، وسألها قبل الدخول عن حاجتها؟ فضحكت ضحكة دل ومداعبة، ورأأت رأرة مغازلة وملاعبة، وحاولت الدخول عليه، ومدت يدها اليه، فدفعها بنفس وأغلق دونها الباب، فرجعت خائبة تبحر بالهجر والسياب.

ومما رواه من سيرته أنه كان أبر النامس بوالديه وأوصلهم لرحمه، وأحفاهم بأخوانه وأصدقائه، وأشدهم عناية بكل من له عهد وصلة به، مرضت والدته بمصر أيام كان مقيما في الاسكندرية رئيسا لمحكتها فكان يعودها كل أسبوع حاملا معه ملايات فراشها كاملة النظافة والكي ويتولى ترتيب ذلك وفرشه بيده، وكان وهو يطلب الحقوق - أوروبية يرسل اليه في كل شهر جزاء من راتبه. وبلغني أنه كان ينفق ثلث الراتب ويرسل اليها الثلث ويحمل الثلث الثالث للكتب، وما زال محبا للكتب باحثا عن نفائسها المخطوطة طول عمره، وكنت أراه في أواخر عمره يختلف الى صغار باعة الكتب ويجلس عندهم ياتساعها عمام التقطوه من بعض التركات، أو أصحاب الحاجات

قال أبو طالب: وكان وفيا بالعهد فقد عرف في (ق) يوم، لي القضاء فيها بدالا مصري متوسط الحال كان يشتري منه حاجته فلما هاد اليها وهو مستشار سأل عنه فبيل له ان حاله تضعفت وتجارته كسدت وهو الآن يبيع المراوح، فلم يمنعه ذلك من زيارته وتعهده شأنه كلما ذهب الى قنا، ولا تسل عن اغتباط ذلك البدال بمثل هذه الزيارة فانها كانت أشهى اليه من رد ثروته بل شبة به عليه اه

وأفضل ما يؤثر من مناقبه مباالته في الاستقلال والمدل في القضاء حتى انه لم يكن يقبل

شفاعة ولا حديثا في قضية رفعت اليه ولا في ترقية عامل تحت رياسته كما أنه لم يكن يكلم
أحدا من أصدقائه القضاة ولا غيرهم في مثل ذلك. وقد اشتهر بذلك حتى لم يكن أحد
من أقرابه ولا ممن فوقه في المناصب يطعم أن يكلمه في شيء من ذلك، وله مواقف
ووقائع تؤثر في ذلك ذكر بعضها أشرطة اب. ويحجني ماقاله في إثر هذه المناقب، وهو:
« وقد أنفقت التوسع في حياة الفقيد القضائية وذكر الحوادث التي اتفقت له
دلة على ما كان عليه من الفقه في القضاء وعدل والشجاعة مكنتها بأن المعاصرين
أحاطوا بكل هذه الأحوال ويلوح لي أن كتابة تاريخ المعاصر بالتفصيل فيه من
الصعوبة ما لا يظهر لأول وهلة ولذلك قصرت على هذا الامتع اليسير
وما كنت لا طعم أن يكون كل مصريين كحسن باشا جلال فهذا من المحال
قطعا ولا أرجو أن يكون واحد في الآف كذلك بل لذي آمله أن يتصفح هذه
الورقات بامعان وأن لا يستعصروا شأن الحوادث التي سقتها هنا مثلا من أخلاقه
ع-ي أن يحتذي حذوه ويهتدي بهديه فمر من الأمة ليعملوا كما عمل الله يمش
فيها الحياة الحقيقية التي لا يظهرها الا مثل هذه الاخلاق فان الذي يعيش الآن
بين ظهري المصريين لا يمكنه أن يتجاهل العلماء المديدن في كل علم وفن، فصر
ايست تقيرة من هذا النوع، اذ للقضاء رجال وللعلم آخرون وللهندسة والزراعة مثلهم
ولكل مطلب من مطالب الحياة قوم يشغلهم شأنه، وما ينقص المصريين الاشياء
واحد وهو الاخلاق، فان ذوي الاخلاق الفاضلة قليلون بالنسبة لمجموع الأمة
ومدارسها وماهدها، واني على قدر معلوماتي القاصرة لا أرى بابا لهذه الاخلاق الا
النفس التي بين جنبي كل حي من الأمة فما عليه الا أن يروضها على الفضائل التي
شاعت في الكتب وتداولتها السن الصغار وغفلت عنها عقولهم، فان أصغر كتاب
مدرسي فيه بيان لأصول الفضائل، ولوم رنت النفوس مرانا حقيقا عليها لتغيرت الأحوال
تغيرا عظيما في وقت قصير. أما ما نعيش الآن فيه من حيث الاخلاق وآداب
المعاملات فما يسجز من وصفه أكبر كاتب بليغ، واني ليعزني جدا أن أجعل مصدر
هذا الداء الويل الذي تفتش نفسيا مزججا فان ابن عشر سنين يبرز في النفاق
والمداينة على ابن السنين، فنحن تقدم فيها ولكنه تقدم معكوس، لان كل من أهن

هذا الاتفاق هد فطريفا كيسا، وقد عم جهود الاحساس والمواطف كثيرا من هذه الطبقات في هذه الامة ذات المجد القديم والتاريخ العظيم التي تحتاج الى شيء بسيط حتى تكون من ارقى الامم وذلك باعتدال ابناءهم في احوالهم واقوالهم واعمالهم بلا افراط ولا تفريط لان الحالة الوسطى تكاد تكون معدومة وقد ضاعت الحياة فيها وفي النفس حاجات وفيك فطنة ~~سكوني~~ بيان عندها وخطاب

« وعندي ان اصلاح شأن هذه الامة التي سهلت طباعها وزكت نفوسها ولان جانبها وسهل قيادها لا يأتي الا بحسن اختيار الماملين من ابناءها من اصغر عامل عمومي وهو الخفير الى اكبر موظف وهو الوزير، فما كل النفوس بصالحة للخدمة العامة التي تتطلب صفات خاصة تظهر في صاحبها من اول نشأته، فاذا صح اتقاء هؤلاء أصبحت مصر في زمن قليل فردوس الارض لان هذه الامة سريعة التقليد طكامها. اه المراد

[المنار] لقد هدى هذا الكاتب الى ما يجب من المبرة في هذه السيرة الحسنة بعبارة تدل على انه عني بتهديب اخلاقه وتربية نفسه حتى ظن ان ذلك يسير على أكثر الناس المتعلمين. وهيبات هيبات، إنهم عن السمع لمعزولون، وعن الحاجة الى تزكية النفس لغافلون، وهذا التعليم المعروف لا يزيدهم الا غفلة واعراضا عنها، وان يكون ذلك الا بانقلاب يتغير به نظام التربية والتعليم ويكون أمرها موكولا الى أصحاب الفضيلة والحكمة من الامة، وأين هم؟ وكيف السبيل الى تفويض الامر اليهم؟ وأما اختيار أمثالهم لآعمال الحكومة فمن يقدر عليه ويعنى بتنفيذه، ههنا محل التأمل للمتأملين.

﴿ التحول في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح ﴾

هجم الالمان في اول فصل الربيع من هذا العام على الجيوش الانكليزية في شمال الميدان الغربي هجوما لم يسبق له نظير كانوا يضربون به جميع خطوط القتال بمدافعهم في وقت واحد ويمطرون البلاد الواقعة وراء هذه الخطوط وابلا من مدافعهم الى مسافة ٢٨ ميلا وكان غرضهم الفصل بين الجيوش الانكليزية وبين الفرنسية والامريكية لتمكن من سحق الاولى والتفرغ بعدها للآخرى أو تخضع لطلب الصلح بلا شرط ولا قيد. وما كاد يتم لهم مبدأ ما بمحاولته حتى حدث في خطة

دول التحالف أعظم حادث انعقد الاجماع على وجوبه من قبل لولا ما عارضه من تقدم المانع على المقتضي وهو توحيد القيادة لجميع جيوش دولهم، وبذلك تمكن الفرنسيين من وصل ما انقطع من التواصل ومزج الجيوش بعضها ببعض. ثم هجم الالمان هجوميين آخرين عظيمين بلغ من تقدمهم بهما أن قطعوا نهر المارن وصاروا على مقربة من باريس التي كانوا يضربونها كل يوم بمدافع بعيدة المدى. وكان الناس يتوقعون زحفهم عليها في الاسبوع الثاني من شهر شوال وهو الثالث من شهر يوليو (تموز) لان وزراء التحالف كانوا يصرحون بأن تفوق الالمان عليهم في العدد والمعدة عظيم وأن الخطر لا يزول الا اذا اقتضى فصل الصيف وحالت أمطار الخريف دون استمرار شدة القتال وهم ثابتون مصابرون لمدومهم، فاذا تم ذلك لهم زال الخطر ودالت الدولة لهم بدثرة الجيوش الامريكية التي ستكون في صيف السنة المقبلة مساوية لجميع الجيش الالمانى .

بينما ينتظر الناس ذلك اذا فاجأهم خبر شروع الالمان في التقهقر المنظم من جنوب المارن الى شماله ثم من جنوب الاين الى شماله وكان يظن أن ذلك لخطوة حربية يعقبها هجوم أشد مما قبله ، ولما استمر التقهقر ظن قوم أنهم يقصدون خط هندنبرج ليشتوافيه كما فعلوا في العام الماضي ، وأنهم في أثناء ذلك يجمعون جيشا من الحكومات الروسية التي آذنت التحالف بالحرب ، وظن آخرون أن سبب التقهقر اتفاق سري على الصلح ، وقوى هذا الظن ما نقلته البرقيات عن طلعت باشا من أنه قال عقب اجتماع سيامي مع رجال الدولتين الجرمانيتين : إنه لم يبق لاستمرار الحرب فائدة وإن الصلح سيعقد قبل حلول فصل الشتاء من هذا العام . ثم ما زال الالمان يتقهقرون والتحالف يتأثرونهم ويحتلون البلاد التي يغادرونها حتى آخر الشهر وقد ظهر في برلين وغيرها مبادي انقلاب سيامي ربما كان هو السبب الباطن للاروز والانكماش وأما الترك فكانوا يدافعون دفاع المستميت عن كل بقعة أخذها الروس من بلادهم التركية أو الانكليز من بلاد العرب في العراق وفلسطين حتى اذا جاء هذا الشهر فاجأتنا الانباء بأن الجيش الانكليزي في فلسطين شرع يزحف في الاغوار والأنجاد، من تلك الارض الحصينة الخالية من الماء، فاستولى في ١٢ ذي الحجة (١٨ سبتمبر) على خطوط الترك الالمانية في جلجلة والطيرة وطول كرم وفي ١٣ منه تقدم حتى بلغ المغولة

وفي ١٤ منه بلغ بيسان وجنين و نابلس والسامرة وماجا ١٧ منه الا واحتلوا حيفا و تبعتها عكا
وفي ١٩ منه احتلوا طبرية وسمخ و عمان وبلغ عدد من أمروا من الجيش التركي أربعين ألفا
ولم نسمع في أثناء ذلك بمقاومة تؤثر، ولا بعدد من القتل يذكر، وازالوا يوغلون في ولايتي
سورية و بيروت شمالا من الجانب الغربي، و يحاذيهم جيش الامير فيصل العربي من الجانب
الشرقي، حتى دخلوا دمشق في ٢٥ منه وكان الترك قد أجلاو عنها و تألفت فيها حكومة مؤقتة
ولا شك في أن الترك قد قرروا ترك سورية كلها لاهلها و الانكماش الى بلادهم التركية
تمهيدا لطلب الصلح. و اذا يتس الانحاديون من ولاياتهم العربية فانهم يفضلون
ببعض ااعدائهم أو تركهم لهم غنية باردة على ابقائهم لاهلها العرب كما معروف
عنهم، ولكن الامر لم يبق في أيديهم، فهم قد قتلوا أنفسهم وقطعوا أوصال سلطتهم
(امبراطوريتهم) بسيف العصبية الجنسية الذي سلوه على غير الترك من الاجناس
أما أخبار الصلح ومقدماته فأولها ان لنسخة نشرت في ثاني ذي الحجة مذكرة رسمية
في عاصمتها بينت فيها انها أرسلت الى الدول المتحاربة اقترحا تدعوهم فيه الى ارسال
مندوبين من كل منهم الى بلد من البلاد التي على الحياد للمفاوضة السرية في أمر
الصلح وتمهيدا للسبيل الى الاتفاق الممكن في ذلك. وفي ٢١ منه علمنا أن الحكومة البلغارية
طلبت الصلح وعقد الهدنة وأن رئيس وزارة هذه الحكومة عرض الامر على معتمد الولايات
المتحدة فأشار عليه بوجوب قبول شروط الحلفاء للهدنة بدون بحث لانهم يريدون بالشدة
فيها الا من كل خطر في المستقبل ولكنهم يراعون في شروط الصلح العدل والانصاف على
قواعد الجنسية، وقبل نصحه. وروت البرقيات أيضا ان المعتمد نفسه سافر الى مركز قيادة
الحلفاء وحضر توقيع الهدنة وان الترك سيحذون حذو البلغار

ولم ينقض اليوم الاخير من ذي الحجة الا والبرقيات العامة تتلاقى في جواه
ارجاء العالم بأن الدولة الالمانية نفسها خاطبت الرئيس (ولسن) برغبتها ورغبة
حليفتها النمسة والتركية في الصلح على الاصول والشروط التي وضعاها هو. فسيحان
محول الاحوال، ونسأله أن يحول حالتنا الى أحسن حال

(نصحيح أخطا طبع) ملاحظة من التفسير موضعها أواخر السطر ٢٠ ص

٢٦٩ من المجلد التاسع عشر فينبغي أن نكتب إزاء موضعها من الحاشية وهذا نصها :

(ومثل عنهم ما كانوا يقترون) أي وغاب عنهم ما كانوا يختلفونه في الدنيا من
تكون معبوداتهم تشفع لهم عند الله، أو ضلت المعبودات نفسها عنهم فلم تهتد إلى
الشفاعة لهم سبيلا. وغلب ما لا يعقل منها كالاصنام فغير عنهم بما للتقبيح ولأن أكثرهم
ما كان يعبد في هامة أوقاته غيرها.

جملة «أو نفع أصاب حبيبا دعوا له» في ص ٢١ ص ٣٣٢ م ٢٠ محلها قبل جملة
«أو ضرر أصاب عدوا دعوا عليه» في ص ٢٢ بعده

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٢٥	عيال	الاعمال	٣٨٦	٢٢	خنة	أربعة
٣٤٢	٣٠	مافي	على مافي	»	٢٣	سماؤهم	أسماؤهم
٣٤٢	٢١	ليفسد	ليفسد فيها	»	٢٤	بشر وادريس ولوط	البشر وادريس
٣٦٦	٢	دون	حال دون	٣٨٢	١٧	مهندقا	مهنديا
٣٧٦	٦	الاحكام	من الاحكام	٣٩٠	٧	مخلف	مختلف
٣٧٩	٦	واذا	واذ	٣٩٤	٨	وأحد والترمذي	والترمذي

خاتمة المجلد العشرين

بحمد الله نختتم المجلد العشرين من المثار وله الحمد والشكر على نعمة التوفيق والثبات،
وقد جعلنا أجزاء هذا المجلد عشرة كاجزاء المجلد الذي قبله، ولكننا اضطررنا إلى تصغير حجمها
من الجزء الخامس وما بعده، لأن الحرب اشتد غليان سعيها، وجميع الأشياء اشتد غلاء سعرها
وقد ذكرنا في أول خاتمة المجلد السابق أن ما كنا نشتره من الورق بمئة صار مائتين ٤٠٠ أو
٥٠٠ ونقول في هذه الخاتمة أنه تضاعف بعد ذلك إلى ١٠٠٠ بل إلى ١٦٠٠ السعر الأول
فقد علمناه بأنفسنا، وأما السعر الآخر فبما نقل البناء وقد غلت أثمان سائر الأشياء أيضاً حتى
الغذية لوطنية التي بيننا منها في الجزء الثامن قلنا العذر في تصغير حجم المثار مع عدم الزيادة
في قيمة الاشتراك، وقد فعل مثل فطنا أصحاب الجرائد والمجلات في جميع الآفاق
هذا وقد أخرجنا البدء بهذا الجزء الأخير إلى شهر ذي الحجة، كما أخرجنا ما قبله
من أجزاءه (١) وأجزاء ما قبله من سني الحرب فأدغمنا في سنيها الأربع سنة من سني المثار
اذ لم تصدر في هذه السنين الأربع إلا ثلاثة مجلدات، وبذلك واقت مجلدات المثار عدد

(١) قد صدر ما قبله في أواخر ذي القعدة كما علم من آخر خبر في الجزء التاسع

صفيه الشمسية في الجملة ، وذلك ما توقعناه في خاتمة المجلد التاسع عشر من تأثير استمرار الحرب ، فقد صدر أول عدد من سنة المنار الأولى في ٢٢ شوال من سنة ١٣١٥ ووافق ذلك منتصف الشهر الأول من سنة ١٨٩٨ الميلادية . فعلى هذا يكون قد تم لنا المجلد العشرون في السنة العشرين الميلادية ولكن قبل تمامها والمرجو أن يتم الصلح العام بين الأمم المتحاربة في العام الذي نستقبله ، وأن يقيس لنا فيه أن نزيد في حجم المجلد الحادي والعشرين ، وأن كان لا يرحى أن يعود من الورق إلى ما كان عليه قبل الحرب إلا بعد سنين ، فإن عود الرخص إلى المصنوعات أنما يكون بالتدريج البطيء .

الانتقاد على المنار

ورد علينا في هذا العام ذلك الانتقاد الطويل على (ذكرى المولد النبوي) وقد نشرناه برمته في الجزء الثامن والرد عليه في التاسع والعاشر وبقي له بقية تنشر في السنة الجريدة وورد علينا انتقاد آخر لمسألة أبوي النبوي صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبي طالب التي ذكرت استطراداً في الكلام على أبي إبراهيم الخليل (ص) من هذا المجلد . فالناقد ممن يجزمون بنجاة الأبوين الشريفين وأبي طالب خلافاً لما روي في الصحيحين وغيرهما ، وكل ما ذكره في مسألة الأبوين قد تقدم في بحشاه ، وأما إيمان أبي طالب فانتقد علينا عدم ذكر ما ورد في إيمانه من الروايات الضعيفة ولم يكن الكلام في تربيته قد توفى كل ما جاء فيه ، وإنما كان في بيان حكمة ما ورد في كتاب الله وحديث رسوله الصحيح في معنى التصريح بكفر أبي إبراهيم (ص) وقد صرحنا بحظر اعتدائه بيان النصوص وحكمها وأحكامها في ذلك إلى ما بعد إيذاء الرسول (ص) أو لأحد من أهل البيت الذين من ذريتهم ، وإن أقوى ما يستدل به على نجاة الأبوين الشريفين في الآخرة وأرجاه هو ما ورد في امتحان الله تعالى لآمل الفترة في الآخرة ونجاة بعضهم به ، ومن أجدر منهما بذلك ؟ ونتمنى أن نجد أدلة أقوى من هذا ، فإن وجدنا شيئاً نشرناه مضبوطين ، والا سكتنا مؤمنين مفوضين ، ولا نرتاح إلى الرد على المنكرين ، فحسبنا بيان ما ظهر لنا أنه الحق المبين ، وهو خلاف ما نهوى فما نحن للهوى بمنعجين ، (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد العشرين ﴾

ما وضع بين قوسين فهو عنوان في الاصل

صفحة	صفحة	1
الامان . كسرهم للروس والرومان ١٢٨ دعوتهم للصالح ٢٤٦	الاحاديث في التصوير والصور ٢٢١ احاديث الحج (في مظانها)	آباء النبي « ص » مسألة ايمانهم ٢٥٤ آثار الانبياء ، زيارتها ٣٥٣ الآخرة ، النجاة فيها بالايان والعمل دون القديسة والشفاعة ١٨٦ و ٢٦١ و ٣٣١ آدم . دليل نبوته ورسالته ٣٨٧ آزر . اسمه وكفره ٢٥٢ و ٢٦٠ آلهة السكندانيين وثالوثهم ٣٠١ آل البيت . الصلاة عليهم ٣٩٦ بمدهم عن الرياسة والحرب ٤٠٢ مؤدبهم وموالاهم ٣٩٤ آل ياسر . أصلهم وتمذيبيهم ٤٠٠
أمريكا والحرب ٤٨ و ٤ أم القرى . اطلاقه على مكة ٤٢٠ الامم . حريتها ٤٨ و ٦٠ الامة الاسلامية (راجع المسلمون)	(الاحرام بالحج وشدة الرحال الى عرفات) ١٥٦ أحمد صفوت . دعوته الى ابطال أصول الشريعة ٤٠٥	الارمن ٤٦ و ٥١ الازهر . شيخه الجديد ١٦٥ الاسباب ١٣٠ و ٣٣٢ الاستاذ الامام مابنده المعلماء ٤١٣ استقلال الشعوب وأقوال الدول فيه ٤٨ — ٦٠ و ١٩٩ و ٢٤٦ (استقلال ألبانية) ٥٨ استهواء الشياطين ٢١١ (الاسرائيلون وفلسطين) ٢٠٥ الاسرائيليات ٢٥٢ الاسلام والكلمة ٣٨٦ و ٤٢٩ « املاحه وأحكام الرق ٢٠ « وعصية الجلس ٤١
« تشيل قصصهم ٣١٢	الانصار . نصرهم وفضلهم ٤٢٣ الانكبة . حرجهم السياسية ٢٠٢ أردهم على اقتراح ولسن للصالح ١٩٩ غرضهم من الحرب وتأويلهم للغم وهدمه ٥٠ و ٥٥ ومسألة سورية وفلسطين ٥١ و ٢٠٥ أهل السنة من هم ٢٦٨	الى وادي مكة ١٢٤ « استجابة دعائه لكلمة ١٢٦
(أطمعني وليالها) ٣١٦ الايام الممدودات والمطومات ٣١٦ ابطالية . غايتها من الحرب ٥٧ وحاية ألبانية ٥٨ تفسير وزيرها لاستقلال الشعوب ٢٤٧ الايان بالربل اجالا وتفصيلا ٣٨٥	« بره ٢٧٥	— ٢٦٦ و ٢٨٩ — ٣٠٦ ابسال كسب الانسان له ١٨٥ أبو طالب . موته والشفاعة له ٢٥٩ و ٢٦٥ الاتحاديون ٣٥ و ٤٠ و ٤٥ و ١٦٦ و ٢٨٤ و ٤٤٥ الاجام . وضع التفرجيج له ٤٣٢
ب-ت	(اقتراح نظام في الاسلام الاسلامي) ١٢٧	
البابا . دعوته الى الصلح ورد		

صفحة	حديث	صفحة
١٩٩	الدول عليها	١٩٩
٣٦٢ و ١١٢	بحرة بين جدة ومكة	٣٦٢ و ١١٢
١٠٣ و ٣٩٥	البدع . استحسانها ونوعها وويله	١٠٣ و ٣٩٥
٢٥٠	إبطالها	٢٥٠
٢٠٦ و ١٦٦	بغداد . ما قيل فيها	٢٠٦ و ١٦٦
١٤٧	البلاغة . بحصيل مکتبها	١٤٧
ج - خ		
١٩٨ و ١٩٩	جبل الرحمة وصورة	١٩٨ و ١٩٩
٣٦٧	(حرصي زيدان) كتاب	٣٦٧
٨٧	الحرح والجوارح	٨٧
١٧٧	الجار . أصلها لغة	١٧٧
١٠٥	الجمعة . ما يشترط من المدد لا قامت	١٠٥
١٠٥	وفي مكان إقامتها ووقتها	١٠٥
	جمية الأعداء والترقي (راجع	
	الأنحاديون)	
٤٠	الشهري العثمانية	٤٠
١٨٠	الجب . أنواعها وعلاقتها بالناس	١٨٠
٢١٤ و ٢١٤	و (راجع الشيطان)	٢١٤ و ٢١٤
١١٩	(الحالة الروحية والماتك)	١١٩
٢٧٨	(الحالة الـ يـ يـ في الحـ ز)	٢٧٨
٢٣٥ و ١١٩	الحجر . عبادة روحية دينية اجنبية	٢٣٥ و ١١٩
٤٦	وحكمة مناسكه	٤٦
٢٧٨	الحجاز . استقلاله	٢٧٨
١١٤	حكومته وحالاتها	١١٤
١٢٢	الحجر والصخر واخيه	١٢٢
١٤٦	الحجر الاسود وحكمة استلامه	١٤٦
١٤٦	الحديث . رتبته ملكة البلاغة	١٤٦
١٢٨	الحرب . أهم أحداثها	١٢٨
٤٤٤	التحول فيها	٤٤٤
٤٨	غائتها واغراضهم منها	٤٨
٣٦٤	صايتها	٣٦٤
٢٤٦ و ١٩٩	(الحرب والصلح)	٢٤٦ و ١٩٩
٤٣٧	(حسن جلال باشا) ترجمته	٤٣٧
١٨٨	(حكم تارك الصلاة)	١٨٨
٤٢٦	ارم فذلك أبي دمي	٤٢٦
٢٨٨	امطيت خسا	٢٨٨
٤٢٥	الا نرضون	٤٢٥
٢٧١ و ٢٦٢	نماثيل اللب والماوى	٢٧١ و ٢٦٢
٢٢٣	النشيد وحكم اشتغال المسلمة به	٢٢٣
٣١٠	وادخال قصص الانبياء فيه	٣١٠
١٢٠	التلبية في الحج . تأثيرها	١٢٠
٢٢٠ و ٢٣٠	النماثيل	٢٢٠ و ٢٣٠
٣٩٩	ان الله اكرم امة بالانبياء	٣٩٩

صفحة

٣٥٢ و

الشرية تحولها الى قانون ٤٠٤
الشرية. هدم المتفرجين لها ٤٢٩
شريف مكة. خاوتها بنا ١١٦
شريف مكة. صفاته ٣٥٦
الشر في الشاعر والملايك ٣١٩

شيخ الازهر ١٠٤ و ١٦٠
٢٨٨ و ١٦٥

النياطين واسترواؤها الناس ٢٩١
النياطين. تشييدهم بميكروبات
الامراض ١٨٠

ص - ظ

الصالحون. تنظيم قبورهم
وصورهم (راجع القبور)
الصبي - قصة ٣٦٧

الصلاة. لزومها وامدادها للايمان
واستلزامها العمل الصالح ٤٢١

الصلي. معنى كهر تاركها ١٨٩
الصلي. طلب دول التحالف
الجرماني له ١٦٩ و ١٧٦ و ١٨٩
الصهيونيون ٣٠٥

الصور
الصبي. عبادتهم. راسح التصوير
الصور والنقح له ٢٨٨
الصويفية غرورهم وتوهمهم ٢٠٥

الغيم وللغيم ٤٨ - ٥٧ و ٢٨٨
٣٤٦ و

الرحمة. كتابة الله ياها على نفسه ١٢
(رد النار على النار. لذكرى
المولد) ٣٩٥ و ٤٢١

الرحل. الايمان بهم اجمالاً وتقصيلاً
٣١٥
الرفيق لايبض والاسود ١٩
روسيه. ثور. ثور. امرش القيامة
وفها لافيم وآله وانكسارها و
الحرب ١٢٨ اقتراحها حرية
التموب وعدم الغم وانه ٤٨٠
٢٠٦ و

رياضة البدنية في الحج ١١٩

الزكاة. تخصيصها بالانقياء ١٠٧
زمن. سب قجرها ١٢٥
الزهد. منافه ومضاره ١٠٩
الزواوي (راجع عبد يوسف)
زيت «السيدة» قبرها ١٦٤

س - ش

السؤال (التحاذة) ٣٥٩
السكر اللبوني في البحر ٣٦٣

سلطان مسقط. ضيافته لنا ١١٧

سلم البشري. ترجمته ١٦٠ و ٢٨٨

في الماندين للرسول وفي
المتطرفين في دينهم ١٣٦

«السنة الراسمة للحرب» ١٢٨
سورية. حلاء الترك عنها ٤٤٥
«مستقبلها» ٥١ و ٢٠٥
السيوطي. رسائله في الابوين
الشريطين ٢٦٠

صفحة

(حكمة تحريم الدم المسفوح) ١٤٥

حكمة مشروعية الحرب ٤٠٣
حكم مناسك الحج (راجع الحج)
(الحكومة العربية الجديدة ٢٧٨
الحلفاء. واستقلال الامم ٤٨ - ٦٠
وغايتهم من الحرب ١٩٩ و ٢٥٣
الحنيف والحنيفية ٣١٦

خاتمة المجلد العشرين ٤٤٧
«خطبتنا السياسية» معنى ٢٨٢
خالد النقشبندى (الشيخ) ٣٦١
خلق المرأة (كتاب) ٣٦٧
الحلاقة ومباينة الشرف بها ٢٨١

الذكور. وصف حجاجهم ١١١
الدم المسفوح ١٤٥
الدولة العثمانية والمرب ٤١

ذباتم الناسك ٢٧٧

ذكرى للمولود الذي. نقد ٣٤٥
«رد» ٣٩٥ و ٤٢١
الذكورة والانوثة. سنة الله

ز - ر

رأية الفسي ص ٣٩٧

«رحلة الحجاء» ١٠٨ - ١٥٠
١٩٢ و ٢٣ و ٢٢٩ و ٣١٦

	صفحة	(الطعن في رئيس وزراء الانكليز) ٢٠٤
	المواضع والخواص ٢٢	الطوائف والسم ١٢١٩١٨
» تربيته ملكة الابل ١٤٦	٤٨	
	» غاية الخلقاء من الحرب ٥٣	
» دلالة الآثار على صدقه ٣٤٠	٣٦٤	
	الظلمة - اصلاحه ٤٤٦	
	النواصير الالمانية وحوادثها ٢٦٤	
		ع - غ
		البياتيون - التنويه بمهمته ١٩٦
	ف - ق	
	٩٧	عبد الله الزواوي بك ١١٧
	» نسي غايتها من الحرب ٥٣، ٤٨	عبد المطلب - أولاده ٤٢١
	٥٩	(عبد التاريخ - ما قبل في جمع لانكليز بغداد) ١٩٦ و ٢٠٦
قريش - معاداتهم للنبي والتمصب لهم ٣٩٩ و ٣٤٦		
	القائم بن محمد بن أبي بكر ٢٣٤	
القياس - رفض المشرعين له ٤٣١	» قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية ٤٠٤	العرب والاستقلال ١٠٩٥١
ل - ن	قانون الجمع القوي ٦١	٢٨٦٩ ١٩٨٩
» الكتابة وطريق تحصيلها ١٤٦	القبور - تهظيمها وعبادتها ٠٩١	العرب - حضارتهم - عادات ١٦٩
	٧٧٢٦٣٣٥٦٢٣٠٩	» تكوين الترك - اصبحتهم ٤٣
الكمة - تأنيده ٩٢١٥ - دخولها والصلاة فيها ٣٥٤ مفتاحها وحجابتها ١٥٢		» ضعفهم في لغتهم ١٤٨
		» علاقتهم بالترك ٤٤ ٦٠٩
		» والمصيبة الجنسية ونورة الحجاز
		» راجع المسألة العربية
	» استفادة بلاغته وهدايت بالية ١٤٩	مرفعات صفة الرقوف فيها ٢٣٥
٢٣٠ - بيه ٤١٨ - نوعه ١٩٠		» صفتها وخرائطها ١٩٦
١٤٣		(عرفات وحدودها) ١٩٢
الكلاب - امتناع الملائكة من دخول حيث هي وامم الاطفال بها ٢٣٥ و ٢٢٤	» ايجازها بالمطوف على الهدوف ١٥	المقاب رابة قريش ٣٩٧
» بالبنات رجم المائيل والكلاب		الطم الاستغلافي - علاج للكفر والتفرنج ٤٣٦

اللغة . طريق تحصيلها ١٤٧

(مصائب الحرب) ٣٦٤

المصريون في اسراهم ٣٦٥

المفكرة . اثر التوبة والاصلاح ١٣٣

مضامع الفيب . وكونها لا يعلمها الا

الله وقصيرها بالحقس التي في آخر

لقمان . وما يرد عليه ٩٦

(مقدمة ذكرى المولد النبوي) ٣٢٢

سكة . تسخير الله الناس لها ١٢٦

مقامنا وحالنا فيها ١١٧ و ١٥٠

وصف شوارعها ومدخلها

ومخارجها والثقافة منها الى عرفة

١٥٧

اللائكة . لا تدخل بيتا فيه كلب او

صورة ٢٢٣ ٢٢٩ و ٢٢٣

الموكلون بالاحمال والتدبير ٩٦

الملك المظفر . احتفاله بالمولد ٣٢

المنار . الاستقادة عليه ٤٢٩ و ٤٤٨

فوية صاحبه ٤٠٨

رأي الازهرين فيه .

خانة الحمد المشرن ٤٤٧

فأخفنته . واجمال دعوتها ١

الناسك . الحالة الروحية فيها ١٢٠

منى . أيامها ولياليها وصورتها ٣١٩

ومناسكنا وشؤوننا فيها ٢٤٥

٢٧٧ - ٢٨٠

المولد النبوي . حكم الاستفال

به وأمثاله من البدع ٢٣

المؤمن لا يخاف ويرجو غير الله ٣٣٤

ن . ه . و

هذيل . اماتهم ١١٣

(الهاء آل رضا) ٤٠٨

نبينا . الادب مع قرانه ٢٩٦

اعطاه فنانم حنين للمكين

دون الانصار ٤٢٤

ايداه قومه له ٤٢٢

تنظيمه بالابدان ٢٨

واحد . مذكرته للروسية في

المقاومة من الحرب ٤٨

نباته في أحد وجنين ٤٢٣ يوسف الزواري ١١٨ تم ٤

م

الماء . في السفر ١٠٨ و ٣٦٣

(المبيت بمزدلفة الخ) ٢٤٢

المتفرجون والاصلاح الاسلامي

٣٤٠ و ٤٠٤ و ٤٢٩

المتكلمون . آراؤهم في حجة

ابراهيم ٢٩٥ و ٣٠٩

الجملة السلفية ٢٠٨

(الجمع النفوي المصري) ٦١

محمد أبو الفضل شيخ الازهر ١٩٩

محمد نجيب رفيقنا في الحجاز ٣٩١

المزدلفة ١٩٣ و ٢٤٢

المساجد على القبور . واجمع القبور

(مسألة استقلال الشعوب) ٤٨

(المسألة العربية) وفيها بحث

الجنسية والاسلام والخلاف بين

العرب والترك والمانع من تأسيس

دولة عربية والجميات العربية

واستقلال الحجاز ٣٣

المسلمون اتباعهم من قبلهم

للتصوص